اللَّوامِعُ الفَرْدِيّةُ

في شَرحِ الكَواكِبِ الدُّرّيّةِ

ويليها

الكَواكِبِ الدُّرّيّةِ في مَدحِ خَيرِ البَرِيّةِ المعروفة بـ «البُرْدةِ»

النّظمُ للشّيخ الأديب شَرَفِ الدِّينِ البُوصِيريّ (ت ٤٦٥هـ)

محقَّقةٌ ومُقابَلةٌ على عَشْرِ نُسَخٍ خَطِّيّةٍ

بشرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضِر في العقائد والفِرَق

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨ر

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئ الكريم،

مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ

فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،

ونحن لكَ من الشَّاكرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

التوطِئة

الميزان في بيانِ عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْع؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا.

جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شىء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شىء علمًا وأحصَى كلّ شىءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كُلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى]

نقولُ جازمين معتقدِين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أَدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان اللهُ ولا مكان وهو الآنَ على ما عليهِ كانَ بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ

ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلــه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد

ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌ أبديٌ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما

دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة

المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

الكَواكِبِ الدُّرِّيّةِ

في مَدحِ خَيرِ البَرِيّةِ

المعروفة بـ «البُرْدةِ»

للشّيخ الأديب شَرَفِ الدِّينِ البُوصِيريّ (ت ٦٩٥هـ)

محقَّقةٌ ومُقابَلةٌ على عَشْرِ نُسَخٍ خَطِّيّةٍ

تحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضِر في العقائد والفِرَق

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

البُردةُ: فُصولُها وسببُ تأليفِها

قصيدة «البُرْدة» أو قصيدة «البُرْأة» أو «الكواكب الدُّرِّيّة في مَدحِ خَيرِ البَرِيّة»، هي إحدى أشهر القصائد في مدحِ النّبِيّ محمَّدٍ ﷺ، نسَجَها ناظِمُها محمد بن سعيد البوصيري رحمه في القرن السابع الهجري.

وقد اتّفق معظم النُقّاد على أنّ هذه القصيدة من أبلَغِ قصائد المديح النّبوِيّ منذ ذلك العصر إلى يومِنا هذا، حتى إنّ بعضَهُم ذهب إلى القول بأنّها أشهر قصيدة مدح في الشِّعر العربي بين العامة والخاصة.

انتشرت هذه القصيدة انتشارًا واسعًا في البلاد الإسلامية، فقد يقرأها بعض المسلمون في بعض بلاد الإسلام كلَّ ليلةِ جُمعةٍ حُبًّا برسول الله محمَّد ﷺ فعُرِف ذلك عندهم بمجالس البُردة.

تقع قصيدة البردة في عشرة فصول وهي على هذا الترتيب:

الفصل الأول: في الغَزَل وشكوى الغرام.

الفصل الثاني: في التحذير مِن هوَى النفس.

الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين محمَّد ﷺ.

الفصل الرابع: في مدح مولده ﷺ.

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ.

الفصل السادس: في شرَف القُرءانِ ومَدحه ﷺ.

الفصل السابع: في إسرائِه ومعراجِه ﷺ

الفصل الثامن: في جهاد النبيّ ﷺ وأصحابه.

الفصل التاسع: في التوسُّل بالنّبِي ﷺ.

الفصل العاشر: في المُناجاة وعَرْضِ الحاجاتِ.

وعن سَبب وَضْع البُوصِيريّ لهذه القصيدة قال: كنت قد نظمتُ قصائد في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتَّفَق بعد ذلك أن صاحَبَني فالِجٌ أبطَلَ نِصْفي،

ففكرتُ في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعتُ بها إلى الله تعالى أنْ يعافِيَني، وكرّرتُ إنشادها وبكَيت، ودعوتُ وتوَسَّلْت ونِمتُ فرأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في المَنامِ فمَسَح على وجهي بِيَدِه المبارَكة وألقَى عَلَيَّ بُردةً، فانتبهتُ ووَجدتُ فِيَّ نَهْضةً فقُمتُ وخَرجتُ مِن بَيتِي.

ترجمةُ الشّيخ الأديبِ شَرَفِ الدِين البُوصِيريّ

اسمُه كُنيتُه ونِسبتُه:

هو الشيخ الأديب البليغ الشاعر محمَّد بن سعيد بن حَمّادِ بن مُحسِنِ بن عبد الله بن صهناج بن ملال الصهناجي[1] الدّلاصِيري البُوصِيريّ.

مولدِهُ ونشأتُه:

ولد محمد البوصيريّ بدلاص أوّل شوّالٍ (ت ٦٠٨ هـ)، ثم انتقل إلى بوصير. وكان قد بدأ حياته بحِفظ القُرءان الكريم، ثم رحل إلى القاهرة ودرس فيها العلوم الدينية في مسجد الشيخ عبد الظاهر، وأخذَ الطريقةَ

(١) تنبيه: ناظِمُ البُردةِ البُوصيريُّ هو غير الحافظ شهاب الدين البُّوصِيريّ، فالشِّهابُ البُوصيريُّ رحمهُ الله هو أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم البوصيري الكناني الشافعي. ولد في شهر الله المحرم سنة ٧٦٢ هـ ببوصير، ولازم عبد الرحيم العراقي فسمع منه الكثير ثم لازَم ابن حجر العسقلاني وقد التقى بابن حاتم والتَّنُوخِيّ والبُلقِينيّ والهَيثَمِيّ وأَخَذَ منهم. له مصَّنفات كثيرة مِن أشهرِها: «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» و«إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة».

الشاذِليّة مباشرةً عن الشيخ أبي العباس المرسي الشاذِليّ (ت ٦٨٦ هـ) رحمه اللهُ.

وقد نشأ البوصيريّ في أسرة فقيرة فاضطُرّ إلى السّعي لطلب الرِّزق منذ صِغَره، إلّا أنّه يجيد الخَطّ وكتابة الألواح التي توضَع على شواهد القبور ونحو ذلك فكان يَجِدُ له رِزقًا بسبب ذلك، وكان أوّل أمرِه يمدح الوزراء والأمراء بأشعاره فيبذلون له شيئًا مِن عطاياهم، إلى أنْ توَلَّى وظيفة الكاتب بمدِيريّة بلبيس بالشّرقية بمصرَ.

شِعرُهُ وما قيل فيه:

قال فيه الحافظ ابن سَيّد الناس: هو أحسن شعرًا مِن الجَزّار والوَرّاق[1].

وقال ابن العِماد الحنبليّ في «شذرات الذّهب»: والأمر كما قال ابن سيّد النّاس، ومَن سبر شعره عَلِم مزيّته[2].

امتاز شعر البوصيريّ في المراحل الأولى بالشكوى من سوء حاله وضيق ذات يده، وبالتّذَمُّر من الموظّفِين في عصره الذين كانوا يَسرِقون الغلال

---

(١) **حُسن المحاضَرة**، السُّيوطيّ، (١/٥٧٠).

(٢) **شذرات الذهب**، ابن العماد، (٧/٧٥٣).

ليلبَسُوا الحرير ويَشرَبوا الخمور، فكان شعره يصف الحالة الاجتماعية بمِصرَ في عصره. ثّم اتّجه إلى إنشاء القصائد في مدح النبيّ محمَّد ﷺ وذلك بعدما تأثر بالتّصوُّف الذي درسَه على يد أبي العباس المرسي، فبرَعَ في سَبكِ المدائح النّبويّة حتى ذاع صيتُه في الأفاق، وظهرت قصائده بأسلوبٍ عَذبٍ تنبو عن معانٍ صادقةٍ مع براعة في التّصوير والتعبير كلّ ذلك استَلْهَمَهُ مِن حُبِّه للنَّبِّي محمَّد ﷺ.

مِن أبرز مصنَّفاته:

- الكواكب الدرية في مدح خير البرية، الشّهيرة بالبُردة.
- أُمُّ القُرى، المعروفة بالهَمزِيّة.
- المُضَرِيّة في الصّلاة على خير البرية.
- ذُخر المعاد في معارضة بانت سعاد.

وفاتُه:

توفي الشيخ شرف الدين البوصيري بالإسكندرية سنة (٦٩٦هـ) ودفن في زاوية صغيرةً كان يمكث فيها حتّى شُيّد عليها مسجدٌ سنة (١٢٧٤هـ) وهو يقع الآنَ مقابل مسجد أبي العباس المرسي.

أسانيد الشيخ الدكتور جميل حليم الحُسينيّ
في «الكَواكِب الدُّرّيّة في مَدحِ خَيرِ البَرِيّةِ»

لشرف الدِّين الصهناجي البوصيريّ

هو قراءةً لبعضها وسماعًا لباقِيْها **على** العلامة مفتي مكة الفقيه المسنِد السيّد أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرُّقَيمي (اليَمنِيّ وِلادةً ١٣٥٠هـ) وهو تلقِّيًا **على** المحدِّث الفقيه محمد العربي بن التَبَّانِي بن الحسين الواحِدِيّ السّطايفي الجزائريّ (ت ١٣٩٠هـ) **عن** المحدِّث الفقيه حَمْدان بن أحمدَ الوَنِيسِي القُسَنْطِيّ الجزائريّ (ت ١٣٣٨هـ) **عن** القاضي السيّد محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عَزُّوز الحسَنِيّ الإدرِيسي الأشعريّ التونسي (ت ١٣٣٤هـ) **عن** مفتي مكة السيّد أحمد بن زَيني بن أحمد دحلان (ت ١٣٠٤هـ) **عن** الشيخ عثمان بن حسن الدِّمْياطي الأزهريّ (ت ١٢٦٥هـ) **عن** عبد الله الحجازي الشرقاوي (ت ١٢٢٧هـ) **عن** الشِّهاب أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الْمَلَّوِي (ت ١١٨١هـ) **عن** المنلا أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكَوراني (ت ١١٤٥هـ) **عن** أبيه المنلا إبراهيم الكَوراني المدني (ت ١١٠١هـ) **عن** عبد القادر بن أحمد الغَزِّي المعروف

بابن الغصين (ت ١١٠٧هـ) **عن** الشّهاب أحمد بن محمد الْمَقَّرِي التِلِمسانيّ صاحب "إضاءة الدُجُنّة" (ت ١٠٤١هـ) **عن** عمه سعيد بن أحمد الْمَقَّرِي التِلِمساني (ت ١٠٠١هـ) **عن** الحافظ محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التَّنَسِيّ التِلِمساني (ت ٨٩٩هـ) **عن** ابن مرزوق التِلِمساني الحفيد (ت ٨٤٢هـ) **عن** جَدِّه الخطيب ابن مرزوق التِلِمساني صاحب «المسنَد الصحيح الحسن» (ت ٧٨١هـ) **عن** محمد بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٩ هـ) وهو سماعًا عام إحدى وأربعين وسبعمائة **عن** تقي الدين أبي عبد الله فخر الدين التوزري(ت ٦٨٦) وهو سماعًا لجميعها **عن ناظمها شريف الدّين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت ٦٩٦هـ).**

ويرويها الشيخ جميل حليم الحسيني أيضًا **سَماعًا** لبعضِها وإجازةً لباقيها **عن** العلّامة المجتهِد الحافظ المجدِّد شيخ الإسلام والمسلمِين وقدوة الصُّوفيّة الصّادقين في زمانه ومُربِّي الرّجال ومُخَرِّج الأولياء أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن يوسف بن جامع الهَرَرِيّ الشَّيْبِي العَبدَرِيّ المعروف بالحَبَشِي رضي الله عنه (ت ١٤٢٩هـ) وهو **عن** المفتي الشيخ محمد سراج رحمه اللهُ وهو **عن** العلامة المعمَّر الشيخ عمر بن أبي بكر باجُنَيْد الحضرَمِي (ت ١٣٥٤هـ) **عن** السيّد أحمد بن زَيْنِي دَحْلان مفتي

الشافعية بمَكَّة (ت ١٣٠٤هـ) بسنَدِه المتقدِّم إلى **ناظمها شريف الدّين البوصيري (ت ٦٩٦هـ).**

ويرويها الشيخ جميل حليم الحسيني **إجازةً** أيضًا **عن** الشيخ المعمَّر حسَن أستوران مستك التركي **وهو عن** شيخ الإسلام القاضي شهاب الدين أحمد عارف حكمت بن إبراهيم باشا زاده الحنفي (ت ١٢٧٥هـ) **وهو عن** شيخِه محمد عابد بن أحمد علي السِّندي الأيّوبيّ الأنصاريّ المدني الحنفي (ت ١٢٥٧هـ) **عن** محمد حياة السِّندي (ت ١١٦٣هـ) **عن** الشيخ عبد الله بن سالم البصري (ت ١١٣٤هـ) **عن** المنلا إبراهيم الكَوراني المدني (ت ١١٠١هـ) بسنَدِه المتقدِّم إلى **ناظمها شريف الدّين البوصيري (ت ٦٩٦هـ).**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصفُ النُّسَخ الخَطِّيّةِ

اعتمَدنا في تحقيق متن قصيدة «البُردة» على **عشرِ نُسَخٍ خَطِّيّة**:

الأولى: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة الدولة في برلين – ألمانيا»، ذات الرقم (II/١٠٤)، ورمزنا لها بـ (أ). وهي نسخة كاملة خالية من السَّقَط، تشتمل على القصيدة مع تخميسها.

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ نَسخِيّ جميل كبير الحجم، تقع في (٨٥) ورقةً، تشتمل ورقة على صحيفتين وكل صحيفة على بيتَين اثنَينِ مِن القصيدة و(٣٠) بيتًا تخميسًا.

كان الفراغ من نسخها يوم الخميس الحادي والعشرين مِن ذي الحِجّة سنة (٧٦١هـ) أي بعدَ وفاةِ النّاظِم البُوصيريّ بنحو (٦٥) سَنةً.

الثانية: وهي نسخة محفوظة في «معهد الثقافة والدراسات الشّرقيّة في جامعة طوكيو – اليابان»، ذات الرقم (١١٥٧)، ورمزنا لها بـ (ب). وهي نسخة كاملة إلّا أنّه سقَط منها بيتٌ واحدٌ، تشتمل على القصيدة مع تخميسها.

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ نَسخِيّ مقبول، بلَونٍ ذَهبيّ وسَط الحجم، تقع في (٨١) ورقةً، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على بيتَين اثنَينِ مِن القصيدة و(٣) أبياتٍ تخميسًا، و(١٠) أبياتٍ باللُّغة الفارسيّة مع شرح بينها بالفارسيّة أيضًا.

كان الفراغ من نسخها في رَجبِ سنةِ (١٠٤٣هـ).

الثالثة: وهي نسخة محفوظة في «معهد الثقافة والدراسات الشّرقيّة في جامعة طوكيو – اليابان»، ذات الرقم (١٦٦٨)، ورمزنا بها بـ (ج). وهي نسخة كاملة إلّا أنّها تختلِف في بعضِ ألفاظِها عن النُّسخِ المعروفة للقصيدة، وهي تشتمل على «البُردة» مع تخميسها.

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ نَسخِيّ جيّد، وسَط الحجم، تقع في (١١٠) أوراق، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على ثلاثة أبياتٍ مِن

القصيدة و(٩) أبياتٍ تخميسًا، وحاشيةٍ تشرحُ المعنى الإجماليّ للأبياتِ باللُّغة الفارسيّة.

كان الفراغ من نسخها في رَجبِ سنةِ (١٠٥٨هـ).

الرابعة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٦٨٠٥) ورمزنا لها بـ (د). وهي نسخة كاملة كُتِبَت بخطّ نَسخِيّ حسَن، وسَط الحجم، تقع في (١٨) ورقةً، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على خمسةِ أبياتٍ غالِبًا.

كان الفراغ من نسخها في رَجبِ سنةِ (١٠٧٥هـ).

الخامسة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (١/٧٤٨٨) ضمن مجموع (ق ١ ب – ٢/١٥)، ورمزنا بها بـ (هـ). وهي نسخة كاملة مُفتَتَحةٌ بسبب تأليف قصيدة «البُردة»، ثم يعقبها النّظم مبوَّبًا على أبواب «البُردة» العشرة.

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ نَسخِيّ جيّد، وسَط الحجم، تقع في (١٤) ورقةً، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على سبعةِ أبياتٍ، وبين سطور الأبيات معاني الكلمات باللُّغةِ التُّركية.

كان الفراغ من نسخها في رَجبِ سنةِ (١١٧٦هـ).

السادسة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٧٠٤٨) ضمن مجموع هي أوّله، وقد رمزنا لها بـ (و). وهي نسخة كاملة مُفتَتَحةٌ بسبب تأليف قصيدة «البُردة»، ثم يعقبها النّظم.

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ مغربيّ معتاد، صغير الحجم، تقع في (٦) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على ثلاثةٍ وعشرينَ بَيتًا، ويتخلّلُها بعضُ الحواشي.

كان الفراغ من نسخها في رَجبِ سنةِ (١١٩٨هـ).

السابعة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٥١٩٤) ضمن مجموع (ق ٢/١١٥٤)، ورمزنا لها بـ (ز).

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ مغربيّ معتاد، وسط الحجم، تقع في (٦) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على خمسةَ عشَرَ بَيتًا، وهي نسخة كاملة خاليةٌ مِن الحواشي

كان الفراغ من نسخها في رَجبِ سنةِ (١١٩٩هـ).

الثامنة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٧٤٧٨)، ورمزنا لها بـ (ح).

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ نسخٍ معتادٍ، وسط الحجم، تقع في (٨) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على ثمانية أبياتٍ تقريبًا، وهي نسخة كاملة خاليةٌ مِن الحواشي، كُتِب بعضُ أبياتها بالأحمر.

كان الفراغ من نسخها يوم الاثنين من ذي الحِجّةِ سنةَ (١٢٧٥هـ).

التاسعة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٨١١ر٥٠٨) ضمن مجموع (ق ٩ب – ١١ب)، ورمزنا لها بـ (ط).

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ تعليقٍ جَلِيّ (الفارسيّ)، وسط الحجم، تقع في (٨) أوراقٍ، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على إحدَى عَشْرةَ بَيتًا تقريبًا، سقطَ مِنها بيتٌ واحِدٌ، كُتِب بعضُ أبياتها بالأحمر.

كان الفراغ من نسخها بدِمشقَ في الخامس عشَر من رَجَبِ سنةِ (١٢٩٩هـ).

العاشرة: وهي نسخة محفوظة في «مكتبة جامعة سعود بالرياض – قسم المخطوطات»، ذات الرقم (٧٥٩٠)، ورمزنا لها بـ (ي).

كُتِبَت هذه النّسخة بخطّ نسخٍ معتادٍ، كبير الحجم، تقع في (٢١) ورقةً، تشتمل كل ورقة على صحيفَتين، وكل صحيفة على خَمسةِ أبياتٍ تقريبًا، وهي نسخة كاملة خاليةٌ مِن الحواشي والتّبويب، وكُتِبت سنةَ (١٢٩٩هـ) تقريبًا.

صُوَر النُّسَخِ الخَطِّيّةِ المُستعانِ بِها


أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض

الورقة الأولى من النسخة (أ)



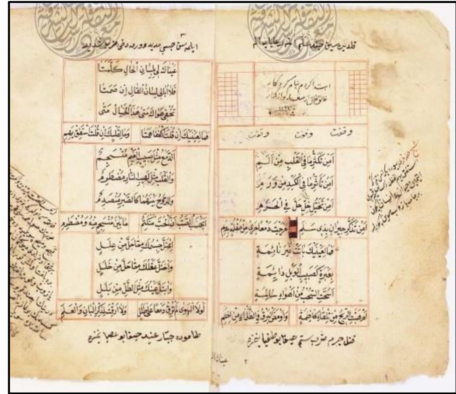
الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



الورقة الأولى من النسخة (ب)



الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



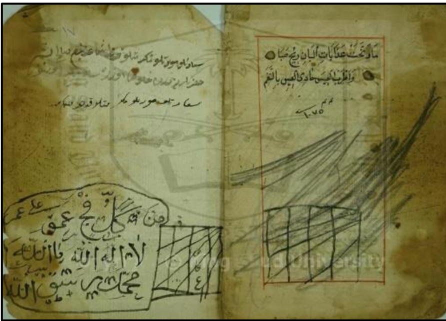
الورقة الأولى من النسخة (ج)



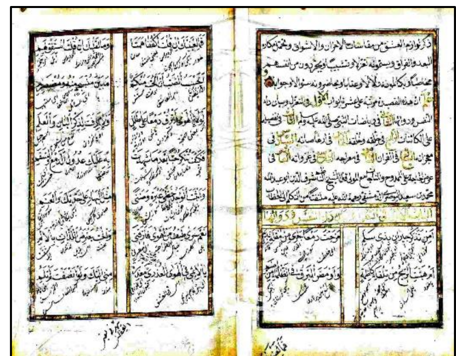
الورقة الأخيرة من النسخة (ج)



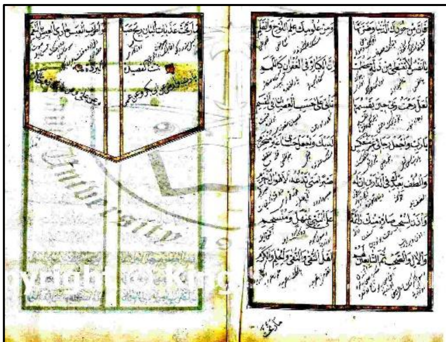
الورقة الثانية من النسخة (د)



الورقة الأخيرة من النسخة (د)



الورقة الثانية من النسخة (هـ)



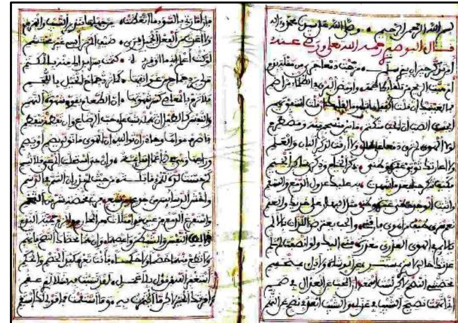
الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)



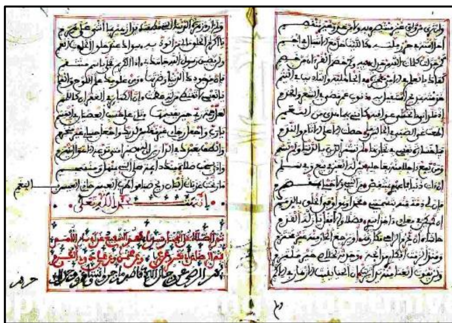
بداية البردة في النسخة (و)



نهاية البردة في النسخة (و)



الورقة الأولى من النسخة (ز)



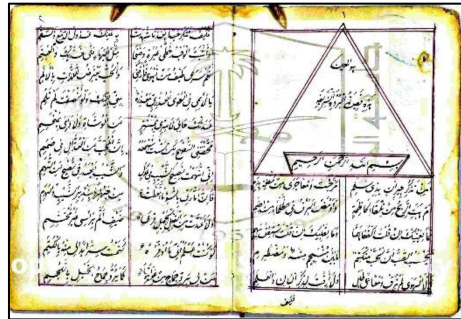
الورقة الأخيرة من النسخة (ز)



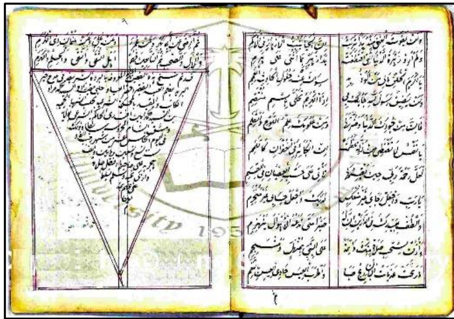
الورقة الثانية من النسخة (ح)



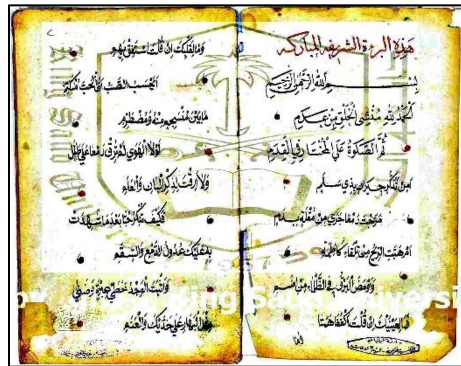
الورقة الأخيرة من النسخة (ح)



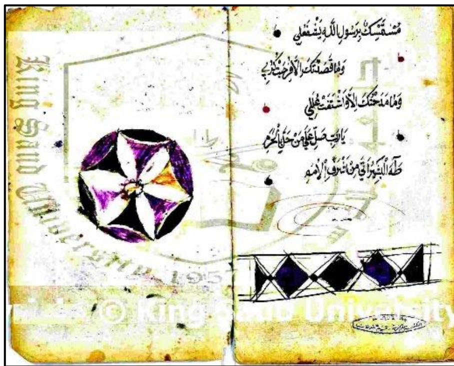
بداية البردة في النسخة (ط)



نهاية البردة في النسخة (ط)



الورقة الأولى من النسخة (ي)



الورقة الأخيرة من النسخة (ي)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري رَحِمَهُ اللهُ:

الفصل الأول: في الغَزَل وشكوَى الغَرام

١- أَمِــنْ تَــذَكُّرِ جِــيرَانٍ بِــذِي سَــلَمِ

مَزَجْــتَ دَمْعًــا جَــرَى مِــنْ مُقْلَــةٍ بِــدَمِ

٢- أَمْ هَبَّــتِ الــرِّيحُ مِــنْ تِلْقَــاءِ كَاظِمَــةٍ

وَأَوْمَــضَ الــبَرْقُ فِي الظَّلْمَــاءِ مِــنْ إِضَــمِ

٣- فَمَــا لِعَيْنَيْــكَ إِنْ قُلْــتَ اكْفُفَــا هَمَتَــا

وَمَــا لِقَلْبِــكَ إِنْ قُلْــتَ اسْــتَفِقْ يَهِــمِ

٤- أَيَحْسَـــبُ الصَّـــبُّ أَنَّ الحُـــبَّ مُنْكَـــتِمٌ
مَـــا بَـــيْنَ مُنْسَـــجِمٍ مِنْـــهُ وَمُضْـــطَرِمِ

٥- لَـــوْلَا الهَـــوَى لَـــمْ تُـــرِقْ دَمْعًـــا عَلَى طَلِـــلٍ
وَلَا أَرِقْـــتَ لِذِكْـــرِ البَـــانِ والعَلَـــمِ

٦- فَكَيْـــفَ تُنْكِـــرُ حُبًّـــا بَعْـــدَمَا شَـــهِدَتْ
بِـــهِ عَلَيْـــكَ عُـــدُولُ الدَّمْـــعِ وَالسَّـــقَمِ

٧- وَأَثْبَـــتَ الوَجْـــدُ خَطَّـــيْ عَـــبْرَةٍ وضَـــنًى
مِثْـــلَ البَهَـــارِ عَلَى خَـــدَّيْكَ وَالعَـــنَمِ

٨- نَعَـــمْ سَرَى طَيْـــفُ مَـــنْ أَهْـــوَى فَـــأَرَّقَنِي
وَالحُـــبُّ يَعْـــتَرِضُ الـــلَّذَّاتِ بِـــالأَلَمِ

٩- يــا لَائِــمِيْ فِي الهَــوَى العُــذْرِيّ مَعْــذِرَةً
مِــنِّي إِلَيْــكَ وَلَــوْ أَنْصَــفْتَ لَــمْ تَلُــمِ

١٠- عَــــدَتْكَ حَــــالِيَ لَا سِرِّيْ بِمُسْـــــتَتِرٍ
عَـــنِ الوُشَـــاةِ وَلَا دَائِي (بِمُنحَسِـــمِ)[١]

١١- مَحَضْـتَنِي النُّصْـحَ لَكِـنْ لَسْــتُ أَسْــمَعُهُ
إِنَّ المُحِـــبَّ عَـــنِ العُـــذَّالِ في صَـــمَمِ

١٢- إِنِّي اتَّهَمْــتُ نَصِــيحَ الشَّــيْبِ فِي (عَــذَلٍ)[٢]
وَالشَّــيْبُ أَبْعَــدُ فِي نُصْــحٍ عَــنِ التُّهَــمِ

---

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ): (عَذَلِي).

(٢) في (ب): (بمُنْسَجِم).

الفصل الثاني: في التّحذير مِن هوَى النفس

١٣- فَــإِنَّ أَمَّــارَتِي بِالسُّــوءِ مَــا اتَّعَظَــتْ
مِــنْ جَهْلِهَــا بِنَــذِيرِ الشَّــيْبِ وَالهَــرَمِ

١٤- وَلَا أَعَــدَّتْ مِــنَ الفِعْــلِ الجَمِيــلِ قِــرَى
ضَــيْفٍ أَلَــمَّ بِــرَأْسِي غَــيْرَ مُحْتَشِــمِ

١٥- لَــوْ كُنْــتُ أَعْلَــمُ أَنِّي مَــا أُوَقِّــرُهُ
كَتَمْــتُ سِرًّا بَــدَا لِي مِنْــهُ بِــالكَتَمِ

١٦- مَــنْ لِي بِــرَدِّ جِمَــاحٍ مِــنْ غَوَايَتِهَــا
كَمَــا يُــرَدُّ جِمَــاحُ الخَيْــلِ بِــاللُّجُمِ

١٧- فَــلَا تَــرُمْ بِالمَعَــاصِيْ كَسْــرَ شَــهْوَتِهَا

إِنَّ الطَّعَـــامَ يُقَـــوِّيْ شَـــهْوَةَ النَّهِـــمِ

١٨- (وَالنَّفْسُ)[1] كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُـــبِّ الرَّضَـــاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـــهُ يَـــنْفَطِمِ

١٩- فَـــاصْرِفْ هَوَاهَـــا وَحَـــاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـــهُ
إِنَّ الهَـــوَى مَـــا تَـــوَلَّى يُصْـــمِ أَوْ يَصِـــمِ

٢٠- وَرَاعِهَـــا وَهْيَ فِي الأَعْمَـــالِ سَـــائِمَةٌ
وَإِنْ هِيَ اسْـــتَحْلَتِ المَـــرْعَى فَـــلَا تُسِـــمِ

٢١- كَـــمْ حَسَّـــنَتْ لَذَّةً لِلْمَـــرْءِ قَاتِلَـــةً
مِـــنْ حَيْـــثُ لَـــمْ يَـــدْرِ أَنَّ السُّـــمَّ فِي الدَّسَـــمِ

---

(١) في (أ): (فالنَّفْسُ).

٢٢- وَاخْـشَ الدَّسَـائِسَ مِـنْ جُـوعٍ وَمِـنْ شِـبَعٍ
فَـــرُبَّ مَخْمَصَـــةٍ شَرٌّ مِـــنَ التُّخَـــمِ

٢٣- وَاسْـتَفْرِغِ الدَّمْـعَ مِـنْ عَـيْنٍ قَـدِ امْـتَلَأَتْ
مِـــنَ المَحَـــارِمِ وَالْـــزَمْ حِمْيَـــةَ النَّـــدَمِ

٢٤- وَخَـــالِفِ النَّفْـــسَ وَالشَّـــيْطَانَ وَاعْصِـــهِمَا
وَإِنْ هُمَـــا مَحَّضَـــاكَ النُّصْـــحَ فَـــاتَّهِمِ

٢٥- وَلَا تُطِـــعْ مِنْهُمَـــا خَصْـــمًا وَلَا حَكَمًـــا
فَأَنْـــتَ تَعْـــرِفُ كَيْـــدَ الخَصْـــمِ وَالحَكَـــمِ

٢٦- أَسْـــتَغْفِرُ اللّٰهَ مِـــنْ قَـــوْلٍ بِـــلَا عَمَـــلٍ
لَقَـــدْ نَسَـــبْتُ بِـــهِ نَسْـــلًا لِذِي عُقُـــمِ

٢٧- أَمَرْتُــكَ الخَــيْرَ لَكِــنْ مَــا ائْتَمَــرْتُ بِــهِ
وَمَــا اسْــتَقَمْتُ فَمَــا قَــوْلِي لَــكَ اسْــتَقِمِ

٢٨- وَلَا تَـــزَوَّدْتُ قَبْـــلَ الْمَـــوْتِ نَافِلَـــةً
وَلَــمْ أُصَــلِّ سِــوَى فَــرْضٍ وَلَــمْ أَصُــمِ

الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين محمَّد ﷺ

٢٩- ظَلَمْـــتُ سُـــنَّةَ مَـــنْ أَحْيَــا الظَّــلَامَ إِلَى
أَنِ اشْــتَكَتْ قَــدَمَاهُ الضُّــرَّ مِــنْ وَرَمِ

٣٠- وَشَــدَّ مِــنْ سَــغَبٍ أَحْشَــاءَهُ وَطَــوَى
تَحْــتَ الحِجَــارَةِ كَشْــحًا مُــتْرَفَ الأَدَمِ

٣١- وَرَاوَدَتْـــهُ الجِبَـــالُ الشُّـــمُّ مِـــنْ ذَهَـــبٍ
عَـــنْ نَفْسِـــهِ فَأَرَاهَـــا أَيَّمَـــا شَـــمَمِ

٣٢- وَأَكَّـــدَتْ زُهْـــدَهُ فِيهَـــا ضَرُورَتُـــهُ
إِنَّ الضَّـــرُورَةَ لَا تَعْـــدُوْ عَلَى العِصَـــمِ

٣٣- وَكَيْـــفَ تَـــدْعُو إِلَى الدُّنْيَـــا ضَرُورَةُ مَـــنْ
لَـــوْلَاهُ لَـــمْ (تُخْـــرُجِ)[1] الدُّنْيَـــا مِـــنَ العَـــدَمِ

٣٤- مُحَمَّدٌ سَـــيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ (وَالفَرِيقَيْنِ)[2] مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

٣٥- نَبِيُّنَـــا الآمِـــرُ النَّـــاهِيْ فَـــلَا أَحَـــدٌ
أَبَـــرَّ فِي قَـــوْلِ «لَا» مِنْـــهُ وَلَا «نَعَـــمِ»

---

(١) في (ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ح) و(ط): (تَخْرُجِ).

(٢) في (ح): (خَيْرُ الفَرِيقَيْنِ) ولا يَستقيمُ الوزنُ بذَلِكَ.

٣٦- (هُــوَ)[١] الحَبِيــبُ الَّذِي تُــرْجَى شَــفَاعَتُهُ

لِــكُلِّ هَــوْلٍ مِــنَ الأَهْــوَالِ (مُقْــتَحَمِ)[٢]

٣٧- دَعَا إِلَى اللهِ فالمُسْتَمْسِــــــكُونَ بِـــــهِ

مُسْتَمْسِــكُونَ بِحَبْــلٍ غَــيْرِ (مُنْفَصِــمِ)[٣]

٣٨- فَـــاقَ النَّبِيِّــينَ فِي خَلْـــقٍ وَفِي خُلُـــقٍ

وَلَـــمْ يُـــدَانُوهُ فِي عِلْـــمٍ وَلَا كَـــرَمِ

٣٩- وَكُلُّهُـــمْ مِـــنْ رَسُـــولِ اللهِ مُلْـــتَمِسٌ

غَرْفًـا مِـنَ البَحْـرِ أَوْ رَشْـفًا مِـنَ الدِّيَـمِ

---

(١) في (أ): (وَهْوَ).

(٢) في (أ) و(د) و(ز) و(ي): (مُقتَحِمِ) بكسر الحاء.

(٣) في (أ) و(ج) و(ي): (مُنْقَصِمِ).

٤٠- وَواقِفُــــونَ لَدَيْـــهِ عِنْـــدَ حَـــدِّهِمِ

مِـنْ نُقطَـةِ العِلْـمِ أَوْ مِـنْ شَـكْلَةِ الحِكَـمِ

٤١- (فَهْــوَ)[1] الَّذِي تَــمَّ مَعْنَـاهُ وَصُــورَتُهُ

ثُـمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَـارِئُ النَّسَمِ

٤٢- مُـنَزَّهٌ عَــنْ شَرِيـكٍ فِي مَحَاسِـنِهِ

فَجَـوهَرُ الحُسْـنِ فِيـهِ غَـيْرُ مُنْقَسِـمِ

٤٣- دَعْ مَـا ادَّعَتْـهُ النَّصَـارَى فِي (نَبِـيِّهِمُ)[2]

وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَـدْحًا فِيـهِ وَاحْـتَكِمِ

٤٤- وَانْسُـبْ إِلَى ذَاتِـهِ مَـا شِـئْتَ مِـنْ شَرَفٍ

---

(١) في (ب): (وَهْوَ).

(٢) في (أ) و(هـ) و(ح) و(ط) و(ي): (نَبِيِّهِمِ).

وَانْسُــبْ إِلَى قَــدْرِهِ مَــا شِــئْتَ مِــنْ عِظَــمِ

٤٥- فَـــإِنَّ فَضْـــلَ رَسُـــولِ اللهِ لَـــيْسَ لَهُ

حَـــدٌّ فَيُعْـــرِبَ عَنْـــهُ نـــاطِقٌ بِفَـــمِ

٤٦- لَـــوْ ناسَـــبَتْ قَـــدْرَهُ ءَايَاتُـــهُ عِظَمًـــا

أَحْيَـــا اسْـــمُهُ حِـــينَ يُـــدْعَى دَارِسَ الـــرِّمَمِ

٤٧- لَـــمْ يَمْتَحِنَّـــا بِمَـــا تَعْيَـــا العُقُـــولُ بِـــهِ

حِرْصًـــا عَلَيْنَـــا فَلَـــمْ نَرْتَـــبْ وَلَـــمْ نَهِـــمِ

٤٨- أَعْيَـــا الـــوَرَى فَهْـــمُ مَعْنَـــاهُ (فَلَـــيْسَ)[١] يُـــرَى

(١) في (ج): (وَلَيْسَ).

(فِي القُــرْبِ وَالبُعْــدِ)[1] فِيــهِ غَــيْرُ مُــنْفَحِمِ

٤٩- كَالشَّــمْسِ تَظْهَــرُ لِلْعَيْنَــيْنِ مِــنْ بُعُــدٍ
صَــغِيرَةً (وَتُكِــلُّ الطَّــرْفَ)[2] مِــنْ أَمَــمِ

٥٠- (وَكَيْــفَ)[3] يُــدْرِكُ فِي الدُّنْيَــا حَقِيقَتَــهُ
قَــوْمٌ نِيَــامٌ تَسَــلَّوا عَنْــهُ بِــالحُلُمِ

٥١- فَمَبْلَــغُ العِلْــمِ فِيــهِ أَنَّــهُ بَشَــرٌ
وَأَنَّــهُ خَــيْرُ خَلْــقِ اللهِ كُلِّهِــمِ

٥٢- وَكُلُّ ءَايٍ أَتَى الرُّسْــلُ الكِــرَامُ بِهَــا

(١) في (ب): (لِلعِلْمِ والحِلْمِ)، وفي (ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ي): (لِلْقُرْبِ وَالبُعْدِ).

(٢) في (أ) و(ب): (وَيَكِلُّ الطَّرْفُ).

(٣) في (د): (فَكَيْفَ).

فَإِنَّمَـــا اتَّصَـــلَتْ مِـــنْ نُـــورِهِ بِهِـــمِ

٥٣- فَإِنَّـــهُ شَـــمْسُ فَضْـــلٍ هُـــمْ كَوَاكِبُهَـــا
يُظْهِـــرْنَ أَنْوَارَهَـــا لِلنَّـــاسِ فِي الظُّلَـــمِ

[حَـتَّى إِذَا طَلَعَـتْ فِي الكَـوْنِ عَـمَّ هُـدًى
لِلْعَــالَمِينَ وَأَحْيَــتْ سَــائِرَ الأُمَــمِ](١)

٥٤- أَكْـــرِمْ بِخَلْـــقِ نَـــبِيٍّ زَانَـــهُ خُلُـــقٌ
بِالحُسْـــنِ مُشْـــتَمِلٌ بِالبِشْـــرِ مُتَّسِـــمِ

٥٥- كَالزَّهْـــرِ فِي تَـــرَفٍ وَالبَـــدْرِ فِي شَرَفٍ

(١) هذا البيتُ زيادةٌ مِن (هـ) و(و) و(ز).

وَالبَحْــرِ فِي كَـرَمٍ وَالدَّهْــرِ فِي (هِمَــمِ)[1]

٥٦- كَأَنَّــهُ وَهْــوَ فَــرْدٌ (مِــنْ)[2] جَلَالَتِــهِ

فِي عَسْــكَرٍ حِــينَ تَلْقَــاهُ وَفِي حَشَــمِ

٥٧- كَأَنَّمَــا اللُّؤْلُــؤُ المَكْنُــونُ فِي صَــدَفٍ

مِــنْ مَعْــدِنَيْ مَنْطِــقٍ مِنْــهُ وَمُبْتَسَــمِ

٥٨- لَا طِيْــبَ يَعْــدِلُ تُرْبًــا ضَــمَّ أَعْظُمَــهُ

طُــوبَى لِمُنْتَشِــقٍ مِنْــهُ وَمُلْتَــثِمِ

---

(١) في (ب): (عِظَمِ).

(٢) في (أ) و(ب) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح): (فِي).

الفصل الرابع: في مدح مَولِده ﷺ

٥٩- أَبَــانَ مَــوْلِدُهُ عَــنْ طِيْــبِ عُنْصُــرِهِ
يَــا طِيْــبَ (مُفْتَــتَحٍ)[١] مِنْــهُ ومُخْتَــتَمِ

٦٠- يَــومٌ تَفَــرَّسَ (فِيــهِ)[٢] الفُــرْسُ أَنَّهُــمُ
قَــدْ أُنْــذِرُوا بِحُلُــولِ البُــؤْسِ والنِّقَــمِ

٦١- وَبَــاتَ إِيــوَانُ كِسْــرَى وَهْــوَ مُنْصَــدِعٌ
كَشَــمْلِ أَصْــحَابِ كِسْــرَى غَــيْرَ مُلْتَــئِمِ

٦٢- وَالنَّــارُ خَامِــدَةُ الأَنْفَــاسِ مِــنْ أَسَــفٍ
عَلَيْــهِ وَالنَّهْــرُ سَــاهِي العَــيْنِ مِــنْ سَــدَمِ

---

(١) في (هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (مُبْتَدَإٍ).

(٢) في (ب): (مِنْهُ).

٦٣- وَسَــــاءَ سَــــاوَةَ أَنْ غَاضَــــتْ بُحَيْرَتُهَــــا

وَرُدَّ وَارِدُهَــــا بِــــالغَيْظِ حِــــينَ ظَــــمِيْ

٦٤- كَــــأَنَّ بِالنَّــــارِ مَــــا بِالْمَــــاءِ مِــــنْ بَلَــــلٍ

حُزْنًــــا وَبِالمَــــاءِ مَــــا بِالنَّــــارِ مِــــنْ ضَرَمِ

٦٥- وَالجِــــنُّ تَهْتِــــفُ وَالأَنْــــوَارُ سَــــاطِعَةٌ

وَالحَــــقُّ يَظْهَــــرُ مِــــنْ مَعْــــنًى وَمِــــنْ كَلِــــمِ

٦٦- عَمُــــوا وَصَــــمُّوا فَــــإِعْلَانُ البَشَــــائِرِ لَــــمْ

(تُسْــــمَعْ)[1] وَبَارِقَــــةُ الإِنْــــذَارِ لَــــمْ تُشَــــمِ

٦٧- مِــــنْ بَعْــــدِ مَــــا أَخْــــبَرَ الأَقْــــوَامَ كَاهِــــنُهُمْ

---

(١) في (ج): (يُسْمَعْ).

بِــــأَنَّ دِيـــــنَهُمُ المُعْـــوَجَّ لَــــمْ يَقُــــمِ

٦٨-   وَبَعْــدَما عَايَنُــوا فِي الأُفْــقِ مِــنْ شُــهُبٍ
مُنْقَضَّــةٍ وَفْــقَ مَــا فِي الأرضِ مِــن صَــنَمِ

٦٩-   حَــتَّى غَــدَا عَــنْ طَرِيــقِ الــوَحْيِ مُنْهَــزِمٌ
مِــنَ الشَّــيَاطِينِ يَقْفُــو إِثْــرَ مُنهَــزِمِ

٧٠-   كَــأَنَّــهُــمْ هَــرَبًــا أَبْــطَــالُ أَبْــرَهَــةٍ
أَوْ عَسْــكَرٌ بِالحَصَــى مِــنْ رَاحَتَيْــهِ رُمِيْ

٧١-   نَبْــــذًا بِــــهِ بَعْـــدَ تَسْــبِيحٍ بِبَطْنِهِمَــــا
نَبْــذَ المُسَـــبِّحِ مِــنْ أَحْشَــاءِ مُلْــتَقِمِ

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ

٧٢- جَـــاءَتْ لِدَعْوَتِـــهِ الأَشْـــجَارُ سَـــاجِدَةً
تَمْشِـــي إِلَيْـــهِ عَلَى سَـــاقٍ بِـــلَا قَـــدَمِ

٧٣- كأَنَّمَـــا (سَـــطَرَتْ)[1] سَـــطْرًا لِمَـــا كَتَبَـــتْ
فُرُوعُهَـــا مِـــنْ بَـــدِيعِ الخَـــطِّ فِي اللَّقَـــمِ

٧٤- (مِثْـــلَ)[2] الغَمَامَـــةِ أَنَّى سَـــارَ (سَـــائِرَةً)[3]
تَقِيـــهِ حَـــرَّ وَطِـــيسٍ لِلْهَجِـــيرِ حَـــمِيْ[4]

---

(١) في (أ) و(ب) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (سَطَّرَتْ).

(٢) في (ب): (مِثْلُ).

(٣) في (ب) و(ج) و(هـ): (سائِرَةٌ).

(٤) قال القَاضي زكريّا الأنصاريُّ في «الزُّبدةِ الرّائقةِ»: "قالَ بعضُهم: ولستُ على يَقينٍ مِن ثُبوتِ هذا البَيتِ في الرِّوايَة" اهـ.

تنبيه: في البيتِ الآتِي قَسَمٌ بالقَمَرِ، والقسَمُ بغير اللهِ مكروهٌ عند بعضِ الفقهاءِ حرامٌ عند بَعضٍ

٧٥- أَقْسَـــــمْتُ بِـــــالقَمَرِ الْمُنْشَـــــقِّ إِنَّ لَهُ
مِـــنْ قَلْبِـــهِ نِسْـــبَةً مَـــبْرُورَةَ القَسَـــمِ

٧٦- وَمَـا حَـوَى الغَـارُ مِـنْ خَـيْرٍ وَمِـنْ كَـرَمِ
وكُلُّ طَـرْفٍ مِـــنَ الكُفَّـــارِ عَنْـــهُ عَـــمِيْ

٧٧- فالصِّـدْقُ فِي الغَارِ وَالصِّـدِّيـــقُ لَمْ (يَرِمَا)[1]
وَهُـــمْ يَقُولُـــونَ مَـــا بِالغَـــارِ مِـــنْ أَرِمِ

٧٨- ظَنُّـــوا الحَمَـــامَ وَظَنُّـــوا العَنْكَبُـــوتَ عَلَى

(١) في (د): (يُرَيَا).

خَـــيْرِ البَرِّيَّـــةِ لَـــمْ تَنْسُـــجْ وَلَـــمْ تَحُـــمِ

٧٩- وِقَايَـــةُ اللهِ أَغْنَـــتْ عَـــنْ مُضَـــاعَفَةٍ
مِـــنَ الدُّرُوعِ وَعَـــنْ عَالٍ مِـــنَ الأُطُـــمِ

٨٠- مَا (ضَـامَنِي)[1] الدَّهرُ (يَوْمًا)[2] وَاسْـتَجَرتُ بِهِ
إِلَّا وَنِلْـــتُ جِـــوَارًا مِنْـــهُ لَـــمْ يُضَـــمِ

٨١- وَلَا الْتَمَســـتُ غِـــنَى الدَّارَيْـــنِ مِـــنْ يَـــدِهِ
إِلَّا اسْتَلَمتُ (النَّـدَى)[3] مِـنْ خَـيْرِ مُسْـتَلَمِ

٨٢- (لَا تُنكِـــرِ الـــوَحْيَ)[4] مِـــنْ رُؤْيَـــاهُ إِنَّ لَهُ

---

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(هـ) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (سَامَنِي).
(٢) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ي): (ضَيْمًا).
(٣) في (ب) و(ز): (النِّدَاْ).
(٤) في (أ): (لَا يُنْكَرُ الوَحْيُ).

قَلْبًـــا إِذَا نَامَـــتِ العَيْنَـــانِ لَـــمْ يَـــنَمِ

٨٣- (وَذَاكَ)[١] حِـــينَ بُلُـــوغٍ مِـــنْ نُبُوَّتِـــهِ
(فَلَـــيْسَ)[٢] يُنْكَـــرُ فِيـــهِ حَـــالُ مُحْـــتَلِمِ

٨٤- تَبَـــارَكَ اللهُ مَـــا وَحيٌ بِمُكْتَسَـــبٍ
وَلَا نَـــبِيٌّ عَلَى غَيْـــبٍ بِمُـــتَّهَمِ

٨٥- كَـــمْ أَبْـرَأَتْ (وَصِـبًا)[٣] بِـاللَّمْسِ رَاحَتُـهُ
وَأَطْلَقَـــتْ أَرِبًـــا مِـــنْ رِبْقَـــةِ اللَّمَـــمِ

٨٦- وأَحْيَـــتِ السَّـــنَةَ الشَّـــهْبَاءَ دَعْوَتُـــهُ

---

(١) في (و) و(ح) و(ط): (فَذَاكَ).

(٢) في (أ): (فَكَيْفَ)، وفي (ح): (وَلَيْسَ).

(٣) في (أ) و(د) و(و) و(ز) و(ح): (وَصَبًا) بفتحِ الصّادِ.

حَــتَّى حَكَــتْ غُــرَّةً فِي الأَعصُــــرِ الدُّهُــمِ

٨٧- بِعَــارِضٍ جَــادَ أَوْ (خِلْــتُ)[1] البِطَــاحَ بِهَــا
سَــيْبٌ مِــنَ اليَــمِّ أو سَــيْلٌ مِــنَ العَــرِمِ

الفصل السادس: في شرَف القُرءانِ ومَدحه ﷺ

٨٨- (دَعْــــنِي وَوَصْــــفِيَ ءايَــــاتٍ لَهُ ظَهَــــرَتْ
ظُهُــورَ نَــارِ القِــرَى لَيْــلًا عَلَى عَلَــمِ)[2]

٨٩- (فَــالدُّرُ)[3] يَــزْدَادُ حُسْــنًا وَهْــوَ مُنْــتَظِمُ

(١) في (أ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط): (خِلْتَ).

(٢) سَقَطَ هذا البَيتُ مِن (ب).

(٣) في (أ): (كالدُّرِّ).

وَلَــيْسَ (يَــنْقُصُ)[1] قَــدْرًا غَــيْرَ مُنْــتَظِمِ

٩٠- (فَمَــا تَطَــاوُلُ ءامَــالِ)[2] المَــدِيحِ إِلَى
مَــا فِيــهِ مِــنْ كَــرَمِ الأَخْــلَاقِ وَالشِّــيَمِ

٩١- ءايَــاتُ حَــقٍّ مِــنَ الــرَّحْمنِ مُحْدَثَــةٌ
قَدِيمَــةٌ صِــفَةُ المَوْصُــوفِ بِالقِــدَمِ

٩٢- لَــمْ (تَقْــتَرِن)[3] بِزَمَــانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَــا
عَــنِ (المَعَــادِ)[4] وَعَــنْ عَادٍ وَعَــنْ إِرَمِ

٩٣- دَامَــتْ لَدَيْنَــا فَفَاقَــتْ كُلَّ مُعْجِــزَةٍ

---

(١) في (ج) و(هـ) و(و): (يُنْقَصُ).

(٢) في (ج) و(د) و(هـ) و(ز) و(ي): (فَمَا تَطاوَلَ ءامالُ).

(٣) في (ح): (يَقْتَرِنْ).

(٤) في (ج): (القُرُونِ).

مِـــنَ النَّبِيِّـــينَ إِذْ جَـــاءَتْ وَلَـــمْ تَـــدُمِ

٩٤- (مُحَكَّمَـــاتٌ)[1] فَمَـــا (تُبْقِـــينَ)[2] مِـــنْ شُـــبَهٍ
لِذِي شِـقَاقٍ (وَمَـا تَبْغِـينَ)[3] مِـنْ حَكَـمِ

٩٥- مَـــا حُورِبَـــتْ قَـــطُّ إِلَّا عادَ مِـــنْ حَـــرَبٍ
أَعْـــدَى الأَعَادِي إِلَيْهَـــا مُلْـــقِيَ السَّـــلَمِ

٩٦- رَدَّتْ بَلَاغَتُهَـــا دَعْـــوَى مُعارِضِـــهَا
رَدَّ الغَيُـــورِ يَـــدَ الجَـــانِي عَـــنِ (الحُـــرَمِ)[4]

---

(١) في (أ): (مُحَكَّماتٍ).

(٢) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط): (يُبْقِينَ).

(٣) في (أ) و(ب) و(ج): (وَمَا يَبْغِينَ)، وفي (د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ي): (وَلَا يَبْغِينَ).

(٤) في (ج) و(و) و(ي): (الحُرُمِ) بِضمّ الرّاءِ.

٩٧- لَهَــا مَعَــانٍ كَمَــوْجِ البَحْــرِ فِي مَــدَدٍ
وَفَــوْقَ جَــوْهَرِهِ فِي الحُسْــنِ وَالقِــيَمِ

٩٨- (فَــلَا)(١) تُعَــدُّ وَلَا تُحْصَــى عَجَائِبُهَــا
وَلَا تُسَــامُ عَلَى الإِكْثَــارِ بِالسَّــأَمِ

٩٩- قَــرَّتْ بِهَــا عَــيْنُ قَارِيْهَــا فَقُلْــتُ لَهُ
لَقَــدْ ظَفِــرْتَ بِحَبْــلِ اللهِ فَاعْتَصِــمِ

١٠٠- إِنْ تَتْلُهَــا خِيْفَــةً مِــنْ حَــرِّ نَــارِ لَظَــى
....(٢)

---

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط) و(ي): (فَمَا).

(٢) تضافَرَت نُصوصُ القُرءانِ والسُّنّة والإجماع على أنّ نارَ جهَنَّم لا تَفنَى ولا تنطَفِئُ ولا لِلَحظةٍ، أمّا عَجُزُ هذا البيتِ كما هو في النُّسَخ المُتداوَلة ففاسِدٌ ونصُّه: (**أَطْفَأْتَ نَارَ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ**) وفي روايةٍ: (**أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ**)، وكِلاهُما مُخالِفٌ لِنَصّ القُرءانِ والسُّنّة والإجماعِ، واعتقادنا في الناظم

١٠١- **كَأَنَّهـــا الحَـــوْضُ تَبْــيَضُّ الوُجُــوهُ بِـــهِ**

مِـــنَ العُصَـــاةِ وَقَـــدْ جَـــاؤُوهُ كَالحُمَـــمِ

١٠٢- **وَكَالصِّـــــــــرَاطِ وَكَالمِـــــــيزَانِ مَعْدِلَـــــــةً**

فَالقِسْــطُ (مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ)(١) لَمْ يَقُمِ

رحمه الله أنّه بريء منه ولا يُستَبعَدُ أن يكون قد حَصَل تصحيفٌ في بعض ألفاظه.

أمّا ما تَكَلَّف له بعضُ شُرّاح «البُردة» مِن حَملِهم لعَجُز هذا البيت الفاسِد على معنَى أنّ التالِيَ للآيات يَنجُو مِن العذابِ ويُطفِئُ النّارَ عن نَفسِه فهو تأويلٌ بعيدٌ وتَكَلُّفٌ في غَيرِ محلِّه، فلَأَنْ يُقال: أخطأَ ناسِخٌ أو صَحَّف بَعضُهُم أو حرَّف ءاخَرون أهوَنُ بألفِ مَرّةٍ بل أكثرَ مِن أن يُعتَقَد ظاهِرُ لَفظٍ يُصادِمُ الشّريعةِ وأهوَنُ مِن أنْ يُنسَبَ للبُوصيرِيّ كلامٌ مُخالِفٌ للشّريعةِ وهو مِن ذلكَ بريءٌ، فنحنُ نُبرّئُه مِن كُلِّ ما عارَضَ الشّريعةَ بلا تَوَقُّفٍ، والأدَب كلّ الأدب في الوقوفِ مع القرءانِ وعِندَ حُدودِه لا معارَضتِه ومُخالَفتِه.

(١) في (ج): (فِي غَيْرِهَا لِلنّاسِ).

١٠٣- لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ

١٠٤- قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

الفصل السابع: في إسرائِه ومعراجِه ﷺ

١٠٥- يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْيًا وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

١٠٦- وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

تنبيه: في البيتِ الآتِي تَسمِيةُ "المسجِد الأقصَى" حَرَمًا وهو خِلافُ الصَّواب

١٠٧- سَرَيْــتَ مِــنْ حَــرَمٍ لَيْــلًا إِلَى حَــرَمٍ[١]
كَمَــا سَرَى البَــدْرُ فِي دَاجٍ مِــنَ الظُّلَــمِ

١٠٨- ((وَبِــتَّ)[٢] تَــرْقَى إِلَى أَنْ نِلْــتَ مَنْزِلَــةً
مِــنْ قَــابَ قَوْسَيْنِ لَــمْ تُــدْرَكْ وَلَــم تُــرَمِ)[٣]

١٠٩- وَقَــدَّمَتْكَ جَمِيــعُ الأَنْبِيَــاءِ بِهَــا
وَالرُّسْــلِ تَقْــدِيمَ مَخْــدُومٍ عَلَى خَــدَمِ

---

(١) الصّوابُ أنّ المسجِد الأقصى بِبَيتِ المَقدِس ليسَ حَرَمًا وليس له مِن حيث الأحكام كُلُّ ما لِحَرَمِ مَكّةَ أو المَدِينةِ المنوّرةِ.

(٢) في (ج): (فَظَلْتَ).

(٣) سَقَطَ هذَا البَيتُ مِن (ط).

١١٠- وَأَنْــتَ تَخْــتَرِقُ السَّــبْعَ الطِّبَــاقَ بِهِــمْ
فِي مَوْكِــبٍ كُنْــتَ فِيــهِ صَــاحِبَ العَلَــمِ

١١١- حَــتَّى إِذَا لَــمْ تَــدَعْ شَــأْوًا لِمُسْــتَبِقٍ
مِــنَ الدُّنُــوِّ وَلَا مَــرْقًى لِمُسْــتَنِمِ

١١٢- خَفَضْــتَ كُلَّ مَقَــامٍ بالإِضَــافَةِ إِذْ
نُودِيــتَ بِــالرَّفعِ مِثْــلَ المُفْــرَدِ العَلَــمِ

١١٣- كَيْمَــا تَفُــوزَ بِوَصْــلٍ أَيِّ مُسْــتَتِرِ
عَــنِ (العُيُــونِ)[1] وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَــتِمِ

١١٤- فَحُــزْتَ كُلَّ فَخَــارٍ غَــيْرَ مُشْــتَرَكٍ
وَجُــزْتَ كُلَّ مَقَــامٍ غَــيْرَ مُــزْدَحَمِ

---

(١) في (أ): (الوُشاةِ).

١١٥- وَجَـلَّ مِقْـدَارُ مَـا (وُلِّيـتَ)[1] مِـنْ رُتَـبٍ

وَعَـزَّ إِدْرَاكُ مَـا أُوْلِيْـتَ مِـنْ نِعَـمِ

١١٦- بُشْـرَى لَنَـا مَعْشَـرَ الإِسْـلَامِ إِنَّ لَنَـا

مِـنَ العِنَايَـةِ رُكْنًـا غَـيْرَ مُنْهَـدِمِ

١١٧- لَمَّـا دَعَا اللهُ دَاعِينَـا لِطَاعَتِـهِ

بِـأَكْرَمِ الرُّسْـلِ كُنَّـا أَكْـرَمَ الأُمَـمِ

الفصل الثامن: في جهاد النبيّ ﷺ وأصحابه

١١٨- رَاعَـتْ قُلُـوبَ العِـدَاْ أَنْبَـاءُ بِعْثَتِـهِ

(١) في (أ) و(و): (أُوتِيْتَ).

كَنَبْــأَةٍ أَجْفَلَــتْ غُفْــلًا مِــنَ الغَــنَمِ

١١٩- مَـــــا زَالَ يَلْقَـــــاهُمُ فِي كُلِّ مُعْـــــتَرَكٍ
حَــتَّى حَكَــوْا بِالقَنَــا لَحْمًــا عَلَى وَضَــمِ

١٢٠- وَدُّوا الفِــرَارَ (فَــكَادُوا)[1] يَغْبِطُــونَ بِــهِ
أَشْــلَاءَ شَــالَتْ مَــعَ العُقْبَــانِ وَالــرَّخَمِ

١٢١- تَمضِــــيْ اللَّيَــالِي وَلَا يَــدْرُونَ عِــدَّتَهَا
مَــا لَــمْ تَكُــنْ مِــنْ لَيَــالِيْ الأُشْــهُرِ الحُــرُمِ

١٢٢- كأنَّمَــا الدِّيْــنُ ضَــيْفٌ حَــلَّ سَــاحَتَهُم
بِكُــلِّ قَــرْمٍ إِلى لَحْــمِ العِــدَا قَــرِمِ

(١) في (أ): (فكَانُوا).

١٢٣- يَجُـــرُّ بَحْــرَ خَمِـــيسٍ فَـــوْقَ سَـــابِحَةٍ

يَـــرْمِي بِمَـــوْجٍ مِـــنَ الأَبْطَـــالِ مُلْـــتَطِمِ

١٢٤- مِـــــنْ كُلِّ مُنْتَـــــدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِـــــبٍ

يَسْـــطُوْ بِمُسْتَأْصِـــلٍ لِلْكُفْـــرِ مُصْـــطَلِمِ

١٢٥- حَـــتَّى غَـــدَتْ مِلَّـــةُ الإِسْـــلَامِ وَهْيَ بِهِـــمْ

مِـــنْ بَعْـــدِ غُرْبَتِهَـــا مَوْصُـــولَةَ الـــرَّحِمِ

١٢٦- مَكْفُولَـــــةً أَبَـــــدًا مِـــــنْهُمْ بِخَــــيْرِ أَبٍ

وَخَـــيْرِ بَعْـــلٍ فَلَـــمْ تَيْـــتَمْ وَلَـــمْ تَـــئِمِ

١٢٧- هُـــمُ الجِبَـــالُ فَسَـــلْ عَـــنْهُم مُصَـــادِمَهُم

مَـــاذَا (لَـــقِيْ)[١] مِـــنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْـــطَدَمِ

---

(١) في (أ) و(ب) و(هـ) و(ز) و(ح) و(ط): (رَأَى)، وفي (د) و(و) و(ي): (رَأَوا).

١٢٨- وَسَـــلْ حُنَيْنًـــا وَسَـــلْ بَـــدْرًا وَسَـــلْ أُحُـــدًا
فُصُـــولَ حَتْـــفٍ لَهُـــمْ أَدْهَى مِـــنَ الـــوَخَمِ

١٢٩- المُصْـــدِرِي البِـــيضَ حُمـــرًا بَعْـــدَمَا وَرَدَتْ
مِـــنَ العِـــدَاْ كُلَّ مُسْـــوَدٍّ مِـــنَ اللِّمَـــمِ

١٣٠- وَالكَاتِبِـــينَ بِسُـــمْرِ الخَـــطِّ مَـــا تَرَكَـــتْ
أَقْلَامُهُـــمْ حَـــرْفَ جِسْـــمٍ غَـــيْرَ مُـــنْعَجِمِ

١٣١- شَـــاكِيْ السِّـــلَاحِ لَهُـــمْ سِـــيْمَاْ تُمَـــيِّزُهُمْ
وَالـــوَرْدُ يَمْتَـــازُ بِالسِّـــيْمَاْ (عَـــنِ)[١] السَّـــلَمِ

١٣٢- تُهْـــدِي إِلَيْـــكَ رِيَـــاحُ النَّصْـــرِ نَشْـــرَهُمُ

(١) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح): (مِنَ).

فَتَحْسَــبُ الزَّهْــرَ فِي الأَكْمَــامِ كُلَّ كَـــمِيْ

١٣٣- كَـأَنَّـهُـمْ فِي ظُـهُـورِ الخَـيْـلِ نَـبْـتُ رُبًى

مِـــنْ شَـــدَّةِ الحَـــزْمِ لَا مِـــنْ شَـــدَّةِ الحُـــزُمِ

١٣٤- طَــارَتْ قُلُــوبُ العِـدَاْ مِــنْ بَأْسِــهِمْ فَرَقًــا

فَمَـــا تُفَـــرِّقُ بَـــيْنَ البَهْـــمِ وَالبُهَـــمِ

١٣٥- وَمَــنْ (تَكُــنْ)[1] بِرَسُــولِ اللهِ نُصْــرَتُهُ

إِنْ تَلْقَـــهُ الأُسْـــدُ فِي ءاجَامِهَـــا تَجِـــمِ

١٣٦- وَلَــنْ تَــرَى مِــنْ وَلِيٍّ غَــيْرَ مُنْتَصِــرٍ

بِـــهِ وَلَا مِـــنْ عَـــدُوٍّ غَـــيْرَ مُنْقَصِـــمِ

(١) في (أ) و(د) و(ح): (يَكُنْ).

١٣٧- أَحَـــلَّ أُمَّتَـــــهُ فِي حِــــرْزِ مِلَّتِـــــهِ
كَاللَّيْــثِ حَــلَّ مَــعَ الأَشْــبَالِ فِي أَجَـمِ

١٣٨- كَــمْ جَــدَّلَتْ كَلِمَــاتُ اللهِ مِــنْ جَــدِلٍ
فِيــهِ وَكَــمْ خَصَّــمَ البُرْهَــانُ مِــنْ خَصِـمِ

١٣٩- كَفَـــاكَ بِـــالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِـــزَةً
فِي الجَاهِلِيَّــــةِ وَالتَّأْدِيـــبِ فِي اليُـــتُمِ

الفصل التاسع: في التوسُّل بالنَّبِّي ﷺ

١٤٠- خَدَمْتُـــــهُ بِمَـــدِيحٍ أَسْـــتَقِيلُ بِـــهِ
ذُنُــوبَ عُمْــرٍ مَضَــى فِي الشِّــعْرِ والخِــدَمِ

١٤١- إِذْ قَـــلَّدَانِيَ مَـــا تُخْشَـــى عَوَاقِبُـــهُ

كَــأَنَّنِي بِهِمَــا (هَــدْيٌ)[1] مِــنَ النَّعَــمِ

١٤٢- أَطَعْــتُ غَيَّ الصِّــبَا فِي الحَــالَتَيْنِ وَمَــا
حَصَــلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَــامِ وَالنَّــدَمِ

١٤٣- فَيَــا خَسَــارَةَ نَفْــسٍ فِي تِجَارَتِهَــا
لَــمْ تَشْــتَرِ الدِّيــنَ بِالدُّنْيَــا وَلَــمْ (تَسُــمِ)[2]

١٤٤- وَمَــنْ يَبِــعْ ءاجِــلًا مِنْــهُ بِعَاجِلِــهِ
يَــبِنْ لَهُ الغَــبْنُ فِي بَيْــعٍ وَفِي سَــلَمِ

١٤٥- إِنْ ءاتِ ذَنْبًــا فَمَــا عَهْــدِي بِمُنْــتَقِضٍ
مِــنَ النَّــبِيِّ وَلَا حَــبْلِي بِمُنْصَــرِمِ

---

(١) في (ب): (هَدْيًا).

(٢) في (ج): (تُسِمِ).

١٤٦- فَــــإِنَّ لِي ذِمَّــــةً مِنْــــهُ بِتَسْــــمِيَتِي
مُحَمَّــــدًا وَهْــــوَ أَوْفَى الخَلْــــقِ بِــــالذِّمَمِ

١٤٧- إِنْ لَــمْ يَكُــنْ فِي مَعَــادِي ءاخِــذًا بِيَــدِيْ
فَضْــلًا وَإِلَّا فَقُــلْ يَــا زَلَّــةَ القَــدَمِ

١٤٨- حَاشَــاهُ أَنْ (يَحْــرِمَ)[1] الــرَّاجِيْ مَكَارِمَــهُ
أَوْ يَرجِــعَ الجَــارُ مِنْــهُ غَــيْرَ مُحْــتَرَمِ

١٤٩- وَمُنْــــذُ أَلْزَمْــــتُ أَفْــــكَارِي مَدَائِحَــــهُ
وَجَدْتُــــهُ لِخَــــلاصِيْ خَــــيْرَ مُلْــــتَزِمِ

١٥٠- وَلَــنْ يَفُــوتَ الغِــنَى مِنْــهُ يَــدًا تَرِبَــتْ

(١) في (ج) و(هـ): (يُحْرَمَ).

إِنَّ الحَيَـــاْ يُنْبِـــتُ الأَزْهَـــارَ فِي الأَكَـــمِ

١٥١- وَلَــمْ أُرِدْ زَهْــرَةَ الدُّنْيَــا الَّــتِي اقْتَطَفَــتْ

يَــدَا زُهَــيْرٍ بِمَــا أَثْــنَى عَلَى هَــرِمِ

الفصل العاشر: في المُناجاة وعَرْضِ الحاجاتِ

١٥٢- يَـا أَكْـرَمَ (الرُّسْـلِ)[١] مَـا لِي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ
سِـوَاكَ عِنْـدَ حُلُـولِ الحَـادِثِ العَمِـمِ

١٥٣- وَلَـــنْ يَضِـــيقَ رَسُـــولَ اللهِ جَاهُـــكَ بِيْ
إِذَا الكَـرِيمُ (تَحَـلَّى)[٢] بِاسْـمِ مُنْـتَقِمِ

١٥٤- فَـــإِنَّ مِـــنْ جُـــوْدِكَ الدُّنْيَـــا وَضَرَّتَهَـــا
.... (٣)

---

(١) في (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ط) و(ي): (الخَلْقِ).

(٢) في (أ) و(ج) و(د) و(هـ) و(و) و(ز) و(ح) و(ط): (تَجلَّى).

(٣) أنْ يُنسَبَ إلى النّبِيّ أنّهُ يعلَمُ كُلَّ ما في اللّوحِ المحفوظِ فهذا غُلُوٌّ وكلامٌ مردودٌ فاسِدٌ مُعارِضٌ لكثيرٍ مِن النُّصوصِ الشّرعيّة يكفي في رَدِّه قولُ الله تعالَى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ

١٥٥- يَـا نَفْـسُ لَا تَقْنَطِـيْ مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ
إِنَّ الكَبَـــائِرَ في الغُفْـــرَانِ كالَّلمَـــمِ

١٥٦- لَعَـــلَّ رَحْمَـــةَ رَبِّيْ حِـــيْنَ يَقْسِـــمُهَا
تَـأْتِي عَلَى حَسَـبِ العِصْـيَانِ (فِي القِسَـمِ)[1]

١٥٧- يَـا رَبِّ وَاجْعَـلْ رَجَـائِيْ غَـيْرَ مُـنْعَكِسٍ
لَدَيْـكَ وَاجْعَـلْ حِسَـابِيْ غَـيْرَ مُنْخَـرِمِ

نَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التَّوبة: ١٠١]، أمّا عَجُزُ هذا البيتِ كما هو في النُّسَخ المُتداوَلة ففاسِدٌ ونصُّه: (**وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوحِ وَالقَلَمِ**)، فالنّبِيّ ﷺ يعلَم بعضَ ما في اللّوح المحفوظ مِمّا أطلَعَهُ اللهُ عليه مِن الأمورِ الّتي حصلَتْ وستَحصُلُ في الدُّنيا وليسَ يَعلَمُ كُلَّ ما في اللَّوحِ المحفوظِ لأنّ اللَّوحَ المحفوظَ مكتوبٌ فيهِ كُلُّ ما يجري في هذه الدُّنيا إلى نهايَتها أي إلى يومِ القيامةِ.

فاعتقادنا في الناظم رحمه الله أنّه بريء منه ولا يُستَبعَدُ أن يكون قد حَصَل تصحيفٌ في بعض ألفاظ البيتِ.

(١) في (ب): (والقَسَمِ).

١٥٨- وَالْطُــــفْ بِعَبْــــدِكَ فِي الدَّارَيْـــــنِ إِنَّ لَهُ
(صَــبْرًا)[١] مَــتَى تَدْعُــهُ الأَهْــوَالُ يَنْهَــزِمِ

١٥٩- وَائْــذَنْ لِسُــحْبِ صَــلَاةٍ مِنْــكَ (دَائِمَــةٍ)[٢]
عَلَى النَّـــــبِيِّ بِمُنْهَـــــلٍّ وَمُنْسَـــــجِمِ

[وَالآلِ وَالصَّـــحْبِ ثُــــمَّ التَّــــابِعِينَ لَهُـــمْ
أَهْــلِ التُّــقَى وَالنُّــقَى وَالحِلْــمِ وَالكَــرَمِ][٣]

١٦٠- مَــا رَنَّحَــتْ عَــذَبَاتِ البَــانِ رِيْــحُ صَــبَا
وَأَطْــرَبَ العِــيْسَ حَــادِيْ العِــيْسِ بِــالنَّغَمِ

(١) في (أ): (قَلْبًا).
(٢) في (د) و(ه) و(و) و(ط): (دَائِمَةً).
(٣) هذا البيتُ زيادةٌ مِن (ب) و(ج) و(د) و(ه).

اللَّوامِعُ الفَرْدِيّةُ

في شَرحِ الكَواكِبِ الدُّرّيّةِ

شرحٌ على «بُردة المديح» نَظمِ شَرَفِ الدِّينِ البُوصِيريّ (ت ٦٩٥هـ)

شرح وتحقيق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضِر في العقائد والفِرَق

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري رَحِمَهُ اللهُ:

الفصل الأول: في الغَزَل وشكوَى الغَرام

١- أَمِــنْ تَــذَكُّرِ جِـيرَانٍ بِــذِي سَـلَمِ
مَزَجْـتَ دَمْعًـا جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ
٢- أَمْ هَبَّـتِ الـرِّيحُ مِـنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمَـةٍ
وَأَوْمَـضَ الـبَرْقُ فِي الظَّلْمَـاءِ مِـنْ إِضَـمِ

اللُّغة: (الجِيران): المجاوِرون جَمعُ جارٍ. و(ذو سَلَم): موضع بين مكّة والمدينة. و(مزَجْتَ): خَلَطتَ. و(المُقْلة): شَحْمةُ العين. (هَبَّتِ الرِّيحُ):

هاجَتْ. و(**تِلقاء**): بمعنَى حِذاءَ. و(**كاظِمة**): اسمُ طريقٍ إلى مكّة. و(**أَومضَ**): لمَعَ. و(**إِضَم**): اسمُ وادٍ دُونَ المدِينة.

المعنَى: استَفهَمَ عن عِلّة نُزول الدّمع فقالَ: (**أَمِنْ**) أيْ أَبِسبَبِ (**تَذَكُّرِ**)كَ لـ(**ـجِيرَانٍ**) أي أحِبّةٍ لكَ قاطنِينَ (**بِذِي سَلَم**) بالحِجازِ قَدْ (**مَزَجْتَ**) أي خَلَطْتَ (**دَمْعًا جَرَى**) مِنكَ (**مِنْ مُقْلَةٍ بِدَم**) مِنكَ (**أَمْ**) سببُ بُكائِكَ أنْ (**هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ**) ناحِيةِ الأحِبّةِ مِنْ (**كَاظِمَةٍ**) بالحِجازِ (**وَأَوْمَضَ البَرْقُ**) لَمَعانًا (**فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ**) ناحِيَتِهم بالحِجازِ فأثارَ ذلكَ فيكَ الشّوقَ إلَيهِم فلَم تَقدرِ على أنْ تُمسِكَ دَمعَكَ.

اللّامعة: كانت قلوب السَّلَف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين ومن اتّبعهم بإحسان عامرةً بحُبّ الله تعالى وحب رسوله المصطفى ﷺ، وقد ورد أن أصحاب النبي المصطفى ﷺ كانوا بعد وفاته ﷺ لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعَرَّتْ جلودهم وبكَوا شوقًا إليه.

فعن عَبْدة بنت خالد بن معدان تخبر عن أبيها فتقول: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من

المهاجرين والأنصار، يسمِّيهم ويقول: هم أصلي وفَصلي، وإليهم يَحِنُّ قلبي، طال شوقي إليهم فعَجِّل رَبِّ قَبضِي إليك، حتى يغلِبَه النومُ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأَحَبُّ إليَّ مِن نفسي، وأَحَبُّ إِلَيّ مِن أهلي، وأَحَبُّ إِلَيّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرُكُ فما أصبِر حتى ءاتيَك فأنظرَ إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك عرفتُ أنّكَ إذا دخلتَ الجنة رُفِعتَ مع النبيين، وإن دخلتُ الجنّةَ خشيتُ أن لا أراك، فلم يَرُدَّ عليه النبي ﷺ حتى نَزلت عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: ٦٩].

٣- فَمَـــا لِعَيْنَيْـــكَ إنْ قُلْـــتَ اكْفُفَـــا هَمَتَـــا
وَمَـــا لِقَلْبِـــكَ إنْ قُلْـــتَ اسْـــتَفِقْ يَهِـــمِ

اللُّغة: (اكْفُفا): امتَنِعا مِن البكاء. و(هَمَتا): سالَتا. و(يَهِم): مِن الهُيام وهو الحُبّ الشّديد.

المعنَى: (**فَـ**)ـيا مُنكِر الحُبّ (**مَا**) الّذي حصل (**لِعَيْنَيْكَ**) حتّى إنّك (**إِنْ قُلْتَ**) لَهُما (**اكْفُفَا**) أيِ احبِسا الدموعَ (**هَمَتَا**) أيْ سالَتْ دُموعُهما، و(**مَا**) الّذي حصل (**لِقَلْبِكَ**) حتّى إنّك (**إِنْ قُلْتَ**) له (**اسْتَفِقْ**) أيْ أَفِقْ مِن غَمْرة العِشق (**يَهِم**) فيه.

٤- **أَيَحْسَــــبُ الصَّــــبُّ أَنَّ الحُــــبَّ مُنْكَــــتِمٌ**
مَـــا بَـــيْنَ مُنْسَـــجِمٍ مِنْـــهُ وَمُضْـــطَرِمِ

اللُّغة: (**يَحسَب**): يَظُنّ. و(**الصَّبُّ**): العاشقُ. و(**المنسَجِمُ**): الدَّمعُ السائل. و(**المضْطَرِمُ**): القلبُ المشتعِل بالحُبّ.

المعنَى: التَفَتَ من الخطاب إلى الغَيبة فقال: (**أَيَحْسَبُ**) أي هل يَظُنُّ (**الصَّبُّ**) أي العاشقُ (**أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ**) عن الناسِ وهو (**مَا بَيْنَ**) دَمعٍ (**مُنْسَجِمٍ**) أي هاطِلٍ (**مِنْهُ وَ**) بينَ قلبٍ (**مُضْطَرِمٍ**) أيْ مُلتَهِبٍ.

اللّامعة: **الحُبّ** هو صحابيٌّ جاء إلى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكني أحبُّ اللهَ ورسولَهُ، قال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فما فرحنا ـ أي أصحاب محمد ﷺ ـ بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

الحُبّ هو عليٌّ بن أبي طالب كَرَّمَ الله وجهَهُ حينما سئل يومًا: كيف كان حُبُّكم لرسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: «كان واللهِ أحبَّ إلينا ـ أي معشر الصحابة ـ من أموالنا وأولادنا وءابائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ».

الحُبّ هو أبو بكرٍ الصدّيقُ لَمَّا كان ليلة الغار قال: يا رسول الله دعني أدخل قبلك؛ فإن كان حيةٌ أو شيءٌ كانت لي قبلك، قال: «**ادْخُلْ**»، فدخل أبو بكر، فجعل يلتمس بيده كُلَّمَا رأى جُحْرًا شقَّ ثوبه ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمعَ، فبقي جحر فوضع عَقِبَه عليه ثم أدخَل رسولَ الله. فلَمَّا أصبح قال له النبي ﷺ: «**فَأَيْنَ ثَوْبُكَ يا أَبَا بَكْرٍ؟**»، فأخبَرَه بالذي صنَع.

الحُبّ هو بلالُ الحبشي لَمَّا احتُضِر رضي الله عنه وكان مؤذِّنَ رسولِ الله ﷺ، نادت امرأته: وا حُزناه، فقال رضي الله عنه: وا طَرَباه، غدًا ألقَى الأحِبّة، محمَّدًا وحِزْبه.

الحُبّ هو سعدُ بن مُعاذ حينما قال لرسول الله ﷺ: قد ءامنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردتَ فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخُضناه معك ما تخلَّف مِنّا رجل، وما نكرَهُ أن تلقَى بنا عدوَّنا غدًا، إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينُك، فَسِرْ على بركة الله، فسُرَّ النبيّ بذلك.

وقد رُوِيَ أنّه لَمّا أَخرَجَ أهلُ مكّةَ زيدَ بن الدَّثِنَّةِ مِن الحرم ليَقتُلُوه قال له أبو سفيان بنُ حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أنّ مُحَمَّدًا الآن عِندَنا مكانَك يُضرَبُ عُنُقُه وأنّكَ في أَهلِك؟ فقال زَيدٌ: واللهِ ما أُحِبُّ أنّ مُحَمَّدًا الآنَ في مكانِه الّذِي هو فيه تُصِيبُه شَوكةٌ وإنّي جالِسٌ في أهلِي، فقال أبو سفيانَ: ما رأيتُ مِنَ النّاسِ أحَدًا يُحِبُّ أحَدًا كحُبِّ أصحابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.

٥- لَــوْلَا الهَــوَى لَــمْ تُــرِقْ دَمْعًــا عَلَى طَلِــلٍ
وَلَا أَرِقْــــتَ لِذِكْــــرِ البَــــانِ والعَلَــــمِ

<u>اللُّغة</u>: **(الهَوَى)**: الحُبّ. و**(تُرِق)**: تَصُبّ. و**(الطَّلَل)**: ما ارتفَع مِن ءاثار الدِّيار. و**(أَرِقتَ)**: سَهِرتَ. و**(البان)**: شَجَر و**(العَلَم)**: اسمُ جَبَل، والمراد بهما هنا موضِعان بالحِجاز.

المعنَى: ثم الْتَفَت مِن الغَيبة إلى الخِطاب فقال: **(لَوْلَا الهَوَى)** محبّتُك وهواك **(لَمْ تُرِقْ دَمْعًا)** أيْ لَمَا بَكَيتَ **(عَلَى طَلِلٍ)** ءاثارِ ديارِ الحبيبِ **(وَلَا أَرِقْتَ)** أي ولا ذهَبَ نَومُك **(لِذِكْرِ)** شجَرِ **(البَانِ و)** جَبلِ **(العَلَمِ)** الكائنانِ بالحِجاز.

<u>**اللامعة**</u>: مما ورد في شِدّة عِشق الصحابة لنبيّهم المصطفى ﷺ وزيارتهم له ﷺ بعد موته والتبَرُّك بقبره الشريف أنّ بلالًا الحبشي رضي الله عنه مؤذِّنَ الرسول ﷺ كان بعد وفاة النبي ﷺ قد ترك المدينة المنورة وتوجه

إلى الشام فأقام فيها، فرأى رضي الله عنه في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له: «**ما هذه الجَفْوةُ يا بلالُ؟ أما ءانَ لكَ أن تَزُورَنِي يا بِلالُ؟**» فانتبَهَ بلالٌ رضي الله عنه مِن نومه حزينًا وَجِلًا خائفًا، فركب راحلته وقصَد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاةُ وأتَمُّ التّسليم، فأتى قبرَ النبي ﷺ، فجعل يبكي عنده ويمرّغ وجهَه عليه، فأقبَلَ الحسنُ والحُسينُ سِبْطَا رسول الله ﷺ فجعل يضُمُّهما ويقَبّلُهما رضي الله عنهما فقالا له: نشتهي نسمع أذانَك الذي كنت تؤذِّنُ به لرسول الله ﷺ في المسجد، ففعل، فعَلَا سطحَ مسجد النبي ﷺ فوقف موقِفَه الذي كان يَقِفُ فيه فلَمَّا قال: «اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ» ارتَجَّتِ المدينةُ، فلَمَّا قال: «أشهد أن لا إله إلا اللهُ» ازدادت رَجَّتُها، فلَمَّا قال: «أشهد أنّ محمَّدًا رسول الله» خرجت العواتِقُ(١) مِن خُدُورِهِنّ وقُلنَ: أبُعِثَ رسول الله ﷺ؟ فما رؤي يومٌ أكثر باكيًا ولا باكيةً بالمدينة بعدَ رسول الله ﷺ مِن ذلك اليوم. رواه الحافظ تقي الدين السبكي في كتابه «شِفاء السّقام» بإسناد جيد، وقال الذّهبي المُجسِّمُ في «تاريخ الإسلام»: "إسناده جيّد ما فيه ضَعيفٌ" اهـ.

---

(١) أي النِّساء الشّابّات.

وفي هذه القِصّة دليل على أمورٍ كثيرةٍ، مِنها: جوازُ شَدّ الرِّحال بقصد زيارة قبر النبيّ ﷺ، وجواز التبرُّك بقبر النبيّ ﷺ والتّمسُّح والتّمَرُّغِ به وبترابِه، وإقرار الصّحابةِ لذلك كُلِّه، فكان منهُم إجماعًا سكُوتيًا، فلا سيّدُنا عُمَرُ اعتَرَض ولا غَيرُه.

٦- فَكَيْــفَ تُنْكِــرُ حُبًّــا بَعْــدَمَا شَــهِدَتْ
بِــهِ عَلَيْــكَ عُــدُولُ الدَّمْــعِ وَالسَّــقَمِ

اللُّغة: (العُدُول): جمع عادِل وهو مقبولُ الشّهادة. و(السَّقَم): طُول المرَض.

المعنَى: (**فَكَيْفَ تُنْكِرُ**) أيها المخاطَب (**حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ عَلَيْكَ عُدُول**) مِنَ (**الدَّمْعِ**) الهاطِلِ (**وَالسَّقَمِ**) أي الأمراضِ النّاشئَين عن حُبِّك.

اللامعة: كان عبد الرحمنِ بنُ القاسم بنِ أبي بكرٍ الصدّيق رضي الله عنهم يَذكُر النَّبِيَّ ﷺ فيُنظَر إلى لونِه كأنّه نُزِف منه الدَّمُ، وقد جَفّ لسانُه في فمه هيبةً منه لِرَسول الله ﷺ.

وكان عامر بن عبد الله بنِ الزُّبَير إذا ذُكِر عنده النبي ﷺ بكَى حتى لا يبقَى في عينيه دموع.

وكان صفوانُ بنُ سُلَيم، أحمد المتعَبّدِين المجتهِدِين، إذا ذُكِر النبيُّ ﷺ بكَى، فلا يزال يبكي حتى يقوم النّاسُ عنه ويتركُوه.

٧- وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

اللُّغة: **(الوَجْد)**: الحُبّ والحُزْن. و**(العَبْرة)**: البُكاء. و**(الضَّنَى)**: الضَّعف والهُزال والمَرَض. و**(البَهار)**: بتخفيف الهاء هو وَرد أصفرُ طيّب الرائحة. و**(العَنَم)**: شجَرةٌ حِجازِيّةٌ لها ثمرةٌ حمراءُ.

المعنَى: كيفَ تُنكِرُ محبَّتَك (**وَ**)قد (**أَثْبَتَ الوَجْدُ**) أي الحزنُ بسبب حُبّكَ أمرَين ظاهِرَينِ على خَدَّيك أحدُهُما (**خَطَّيْ**) سَيلِ دموعِ (**عَبْرَةٍ**) أي بُكاءٍ، (**وَ**) ثانيهِما أَثَرٌ في الخُدود والوَجناتِ ناشئٌ عنْ (**ضَنًى**) أي مرضٍ، ويظهرُ أثرُ المرضِ (**مِثْلَ البَهَارِ**) أي لونَ صُفرةٍ (**عَلَى خَدَّيْكَ**) ووَجناتِكَ (**وَ**)كذلك ترَكَ خَطَّا الدُّموعِ في الوَجنتَينِ أثرًا مثلَ لَونِ ثِمارِ شجَرِ (**العَنَمِ**) في الحُمْرة.

٨- نَعَـــمْ سَرَى طَيْـــفُ مَـــنْ أَهْـــوَى فَـــأَرَّقَنِي
وَالحُـــبُّ يَعْـــتَرِضُ الـــلَّذَّاتِ بِـــالأَلَمِ

اللُّغة: (**سَرَى**): سارَ ليلًا. (**الطَّيْفُ**): الخَيال في النَّوم. و(**أَرَّقَنِي**): أَسهَرَني.

المعنَى: اعترَفَ بالحُبِّ وقال: (**نَعَمْ**) صدقتَ ولكِن بسببِ شِدّة تعلُّقِي بِمَحبُوبي (**سَرَى**) في نَومِي (**طَيْفُ**) أي خيالُ (**مَنْ أَهْوَى**) فرأيتُهُ فانتبهتُ مِن نَومِي فرِحًا (**فَأَرَّقَنِي**) هذا الشيء أي مَنَعنِي مِنَ النّومِ (**وَالحُبُّ**) هذا

شأنُهُ فإنّه (**يَعْتَرِضُ**) أي يَحولُ بينَ المُحِبّ و(**اللّذّاتِ بِـ**)ـطَرحِ (**الأَلَمِ**) بَينَهُما بسببِ نشوء ذلك عن عدم الوَصل مِن المحبُوب.

<u>**اللامعة**</u>: روَى جابِرُ بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ كان يَخطُب إلى جِذْعِ نَخلةٍ فقيل له: يا رسول الله إنّ الإسلام قد استَطار وكَثُرَ النّاسُ وتأتِيكَ الوُفودُ مِن الآفاقِ، فلَو أمَرتَ بِصَنعةِ شىءٍ تَشخَصُ عليه، فدَعا رَجُلًا فقال: «**اصْنَعْ مِنْبَرًا**»، فقالَ: نَعَم، قال: «**ما اسْمُكَ؟**»، قال: فُلانٌ، قال: «**لَسْتَ صَاحِبَهُ**»، ثُمّ دَعا ءاخَرَ فقالَ لَهُ مِثلَ هذه المَقالةِ، فدَعا ءاخَرَ فقال: «**أَتَصْنَعُ الْمِنْبَرَ؟**»، قال: نَعَم إنْ شاءَ اللّهُ؟ «**ما اسْمُكَ؟**»، قال: إبراهيمُ، قال: «**خُذْ فِي صَنْعَتِهِ**»، فلَمّا صَنَعه وَصَعِد عليه رَسولُ الله ﷺ فَحَنَّ جِذعُ النَّخْلةِ الّتي كان يَقُومُ علَيها حَنِينَ النّاقةِ، فسَمِع أهلُ المَسجدِ صَوتَها شَوقًا إلى رسول الله ﷺ، فنزَل فالْتَزَمَها وقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَرَكْتُهَا حَنَّتْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

وكانت السُّمَيراء بنت قيس قد سارعت تُحَرّض ولَدَيها النعمان وسُلَيم، حين نفَر المسلمون إلى أُحُد، للنّفرة مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ثم تَمضي خلف رَكْب الجيش مع نَفر مِن نساء المسلمين تستَطلِعُ

أخبارَ القتال. فلمّا احتَدَم القتال والسُّميراءُ ورَهطُها يراقِبْنَ عن بُعدٍ مَجرَى المعركة إذْ لاح لها فارِسٌ يَقترب فنَهضت إليه تستوقِفُه وتسأله عن أخبار المعركة، فعَرَفها الفارس فنَعَى إليها ولدَيها النُّعمانَ وسُليمًا، فما زادت أنْ قالت: «إنّا للهِ وإِنّا إليهِ راجِعُون»، ثمّ عادَت إلى الرَّجُل تقول: يا أخا الإسلام، ما عَنهُما سألتُكَ، أخبِرني ما فَعَل رسولُ الله ﷺ؟ قال الرجلُ: خيرًا إنْ شاء الله، هو بِحَمدِ الله على خَيرٍ ما تُحِبّينَ، قالت: أَرِنِيهِ أنظُرْ إليه، فأشار إليهِ فقالت وقد تَهَلَّلَ وَجهُهَا ونَسِيَت مُصيبَتَها بولَدَيها: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ[1] يا رسولَ الله، وما هي إلا سُوَيعاتٌ حتّى جِيء لها بوَلَديها الشّهيدَين، فقَبَّلَتهُما وحمَلَتهُما على ناقَتِها ورجَعَتْ بهما إلى المدينة، فقابَلَتها في الطريق عائشةُ أُمُّ المؤمنين رضيَ الله عنها فقالت: «ما وراءَك يا سُمَيراءُ؟» قالت: أمَّا رَسولُ الله ﷺ فهو بِحَمدِ اللهِ بِخَيرٍ، وأَمّا المسلِمونَ فقَدِ اتَّخَذ اللهُ منهم شُهداءَ، وأَمّا الكافِرُون ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾، قالت عائشة: «فمَن هؤلاءِ الّذين فوق النّاقةِ يا سُمَيراءُ؟» قالت: هما وَلَداي

(١) أي هَيّنٌ.

النُّعمانُ وسُلَيمٌ، قد شَرَّفني اللّٰهُ باستِشهادِهما، وإِنّي لأَرجُو اللّٰهَ أَنْ يُلحِقَني بهِما في الجَنّة.

وقد ذكَرَ القاضي المؤرِّخُ الحُسين الدِّيار بَكرِيّ (ت ٩٦٦هـ) في «تاريخ الخَمِيس» في قِصّة ذهابِ مُعاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه مِن أجلِ نَشِر الإسلام في اليَمنِ ما نصُّه: "ومضى معاذٌ حتى أتَى صنعاءَ اليمَنِ فصعد على مِنبَرِها فحَمِدَ اللّٰهَ وأثنَى عليه ثم صلَّى على النّبِيّ ﷺ ثم قرَأَ عليهم عَهْدَ رسولِ الله ﷺ ثُمّ نزَل، فأتاه صنادِيدُ صنعاءَ فقالوا: يا معاذُ هذا نُزُلٌ قد هَيَّأنا لكَ ومَنزِلٌ قد فَرَغنا لك، فقال معاذٌ: ما بِهذا أوصاني حبيبي رسولُ الله ﷺ، فَمَكَث مُعاذُ بنُ جَبَلٍ أربعةَ عشَرَ شَهْرًا، فبينَما هو ذاتَ لَيلةٍ على فِراشِه إذا هو بِهاتِفٍ يَهتِف به عند رأسِه ويقول له: يا معاذُ كيفَ يَهْنأُ لكَ العَيشُ ومُحَمَّدٌ ﷺ في سَكَراتِ المَوتِ؟! فوَثَب مُعاذٌ فَزِعًا ما ظنّ إلّا أنّ القِيامةَ قد قامَتْ، فلَمَّا رأى السَّماءَ مُصْحِيةً[1] والنُّجومَ ظاهرةً استعاذ بالله مِن الشّيطانِ الرَّجيمِ، ثُمَّ نُودِيَ في اللَّيلة الثانيةِ: يا معاذُ كيفَ يَهنأُ لك العيشُ ومحمَّدٌ بين أطباقِ التُّرابِ؟! فوَثَبَ مُعاذٌ

(١) أي لا غَيمَ فيها.

ووَضَع يَدَهُ على أُمِّ رَأسِه وجَعَل يُنادِي بأَعلى صَوتِه: «**يا مُحَمَّداهُ، يا مُحَمَّداهُ**»، فخَرَج العواتِقُ مِن النِّساء والشَّبابُ مِن الرِّجال، فجَعَلوا يقولون ما الَّذِي جاءَك وما الَّذِي دَهاكَ؟ فجَعَل يبكي ويُنادِي بأَعلى صَوتِه: «**يا مُحَمَّداهُ**» حتَّى أصبَحَ، فلَمَّا أصبَحَ شَدَّ على راحِلَتِه فأخَذَ جِرابًا فيه سَوِيقٌ وأَخَذ إداوَةً مِن ماءٍ ثُمّ قال: لا أَنزِلُ عَن ناقَتِي هذه إنْ شاء اللهُ إلّا لِوَقتِ صَلاةٍ أو لِوَقتِ قَضاءِ حَاجةٍ حتَّى إذا كان علَى ثلاثِ مَراحِلَ مِن المدينةِ فاذا هو بهاتِفٍ يَهتِفُ عن يَسارِ الطّريقِ وهو يقول: «**يا مُحَمَّداهُ**»، فعَلِم مُعاذٌ بأنّ مُحَمَّدًا قد ذاقَ الموتَ وفارَقَ الدُّنيا، فقال مُعاذٌ: أيُّها الهاتِفُ في هذا اللَّيل الغاوِي مَن أنتَ يَرْحَمُك اللهُ؟ فقال له: أنا عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، فقالَ له مُعاذٌ: وأينَ تُرِيدُ يَرْحَمُك اللهُ، فقال: إنّ مَعِي كِتابًا مِن أبي بَكرٍ الصِّدّيقِ إِلى مُعاذِ بنِ جَبَلٍ باليَمن يُعْلِمُه بأنّ مُحَمَّدًا قد ذاقَ الموتَ وفارَقَ الدُّنيا، قال له: فإِنْ كان مُحَمَّدٌ قد فارقَ الدُّنيا فمَنْ لِلْأَراملِ واليَتامَى والضُّعفاءِ مِن بَعْدِهِ ﷺ؟! ثُمّ سارَ وهو يَقولُ: يا عَمّارُ كيفَ تَرَكتَ أصحابَ مُحَمَّدٍ؟ قال: يا معاذُ تَرَكتُهم كالغَنَم لا راعِيَ لها، ثمّ قال: يا عَمّارُ كيفَ تركتَ المدينةَ؟ قال: تركتُها وهي على أَهلِها أَضيَقَ مِن الخاتَم، قال: فوَضَع مُعاذٌ يدَهُ على

أُمِّ رَأْسِه وجَعَل يَبكي ويَقولُ: «**يا مُحَمَّداهُ، يا مُحَمَّداهُ**» حتَّى وَرَد المدينةَ نِصفَ اللَّيل" اهـ.

٩- يــا لَائِـــمِيْ فِي الهَـــوَى العُـــذْرِيِّ مَعْـــذِرَةً
مِـــنِّي إِلَيْـــكَ وَلَـــوْ أَنْصَـــفْتَ لَـــمْ تَلُـــمِ

اللُّغة: (**الهَوَى**): الحُبُّ. و(**العُذْرِيّ**): مَنسُوبٌ إلى بَنِي عُذْرة، وهي قبيلة اشتهر رجالُهم بشِدّة العِشق ونساؤُهم بفَرط العَفافِ. و(**مَعذِرةً**): أي صَفْحًا وعَفوًا عن الإساءة.

المعنَى: (**يا لَائِمِيْ**) مَن يَلومُني ويَعذِلُني (**فِي الهَوَى العُذْرِيِّ**) أي الشّبيهِ بِحُبِّ بَنِي عُذْرة، (**مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ، وَلَوْ أَنْصَفْتَ**) في حالي (**لَمْ تَلُمـ**)ـنِي.

لامعة: تعبيرًا عن حُبِّ المسلمينَ للنبيّ ﷺ وتعظيمِهم له وإظهارًا للبَهجةِ بولادَتِه ﷺ يَحتفِلُ المُسلِمُون كُلَّ عامٍ بولادَتِه ﷺ، وهو شىءٌ دَرَجوا عليهِ منذُ مِئاتِ السِّنِينَ. وقَد كَفَّرَ الوهّابيّةُ المُجسِّمةُ المُسلِمِينَ لاحتفالهم

بولادة النّبيّ محمَّد ﷺ، وقد تَعامَوا عن أقوالِ العُلماء، منذ مِئات السِّنين إلى يومِنا هذا، الّذِين أفتَوا بجواز الاحِتفال بولادة النّبيّ محمَّد ﷺ، ونذكُر بعضَ منِ اشتَهَر مِنهُم فإنّه لا يُحصِيهم إلّا اللهُ، منهم:

١- أبو الخطاب بنُ دِحية الكلبي السّبتي (ت ٦٣٣هـ) فإنّ كِتابه «التَّنوير في ميلاد السِّراج المنير» أقدَم ما يُعرف من الكتب المؤلَّفة في المولد، وقد أَلَّفه لحاكِم إربِل صِهر الملِك النّاصِر صَلاحِ الدِّينِ الأيّوبيّ رحمهُما الله وذلك لِما رأَى عِنايته بالاحتفال بالمولد النبوي.

٢- القاضي أبو العباس أحمد اللَّخمي العزفي السّبتي (ت ٦٣٣هـ) وألَّف فيه كتابَه: «الدُّرّ المُنَظَّم في مولد النّبِيّ المُعَظَّم».

٣- الحافظ أبو شامةَ شهابُ الدِّين عبد الرحمن المقدسي (ت ٦٦٥هـ) شيخ الحافظ النووي قال: "ومِن أحسَنِ ما ابتُدِعَ في زماننا هذا ما يُفعل كلَّ عامٍ في اليوم الموافِق لِيَوم مولِد الرّسولِ ﷺ من المعروفِ والصَّدَقات وإظهارِ الفَرَح والسُّرور، فإنّ ذلك مع ما فيه مِن الإحسان للفُقراء يُشْعِر بمَحَبّة رَسولِ اللهِ ﷺ وتَعظيمِه في قَلْبِ فاعِلِ ذلك" اهـ.

٤- الحافظُ تقِيُّ الدِّين السُّبكي (ت ٦٦٤هـ): ذكر نور الدّين الحَلَبِيّ (ت ١٠١٤هـ) في سِيرَتِه أنّ التّقِيّ السُّبكِيّ رئيس علماء الشافعية بمِصرَ اجتَمَع عنده في مجلسه كثيرٌ مِن علماءِ عَصرِه احتفالًا بمولدِ رسولِ الله ﷺ فقام وحصَلَ أُنسٌ كثير من ذلك المجلس.

٥- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): استَنبَطَ تخريج جواز عملِ المولد مِن حديث ثابت في الصحيحين عن النَّبِيّ ﷺ أنه "قَدِمَ المدينة فوَجَد اليهود يصومونَ عاشوراءَ فسألهم فقالوا: هو يَومٌ أغرَقَ الله فيه فِرعونَ ونَجَّى فيه موسى فنحن نصومُه شُكرًا لله، فقال ﷺ: «**نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُم**»، قال الحافظ: "فيُستفادُ منه فِعلُ الشُّكرِ للهِ على ما مَنَّ به في يومٍ مُعَيَّنٍ مِن إسداءِ نِعمةٍ أو دَفْعِ نِقْمةٍ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليومِ مِن كُلِّ سَنَةٍ، والشُّكرُ للهِ يَحصلُ بأنواع العبادة كالسُّجود والصيامِ والصَّدَقةِ والتِّلاوة، وأَيُّ نِعمةٍ أعظَمُ مِنَ النِّعمةِ بِبُروزِ هذا النَّبِيّ نَبِيّ الرَّحمةِ في ذلك اليَوم [...] وأما ما يُعمَلُ فيه فيَنبغِي أنْ يُقتصَرَ فيه على ما يُفهِمُ الشُّكرَ لله تعالى مِن نَحوِ ما تَقَدَّم ذِكرُه مِنَ التِّلاوةِ والإطعام والصَّدَقةِ

وإنشادِ شىءٍ مِنَ المدائحِ النَّبوِيّةِ والزُّهْدِيّةِ المُحَرِّكةِ للقُلوبِ إلى فِعلِ الخَيرِ والعَملِ للآخِرة" اهـ.

٦- الحافظ شمسُ الدِّين السَّخاوِيُّ (ت ٨٧٦ هـ) قال: "إنَّ عمَلَ المولِد أُحدِثَ بعد القرون الثلاثة الأولَى ثُمّ لازال أهلُ الإسلام بِسائرِ الأقطار يَعمَلونَهُ ويَتَصَدَّقونَ في لَيالِيهِ بأنواع الصَّدَقات ويَعتَنُون بقراءة مَولِدِه الكريم ويَظهَرُ عليهم مِن بركاته كلُّ فَضلٍ عَظِيم" اهـ.

٧- الحافظ جلال الدِّين السُّيوطِيُّ (ت ٩١١هـ): ألَّف فيه رسالة «حُسنُ المَقصِد في عمَلِ المَولِد» وضمَّنها أقوال العلماء المُجِيزِين الاحتفالَ بهذه المناسَبة.

٨- المُحدِّث شِهابُ الدِّين القَسطَلّاني (ت ٩٢٢هـ): أثبَتَ في شرحه على «صحيح البخاري» جَوازَ الاحتفال بالمولد النَّبَوِيّ بما هو مشروعٌ لا مُنكَرَ فيه، واستخرَجَ ذلك مِن حديثٍ في البُخارِيّ في باب الجنائز.

١٠- عَـــــدَتْكَ حَـــــالِيَ لَا سِرِّيْ بِمُسْـــــتَتِرِ

عَـــــنِ الوُشَـــــاةِ وَلَا دَائِي بِمُنحَسِـــــــمِ

اللُّغة: (**عَدَتْك**): تجاوزَتْك. و(**الوُشاةُ**): جَمع وهو الكَذّاب. و(**مُنْحَسِم**): مُنْقَطِع.

المعنَى: تلومُني وقَدْ (**عَدَتْكَ**) أي بَلَغتْكَ (**حَالِيَ**) وتحقَّقْت لَوْعتي وغَرامي فـ(**ـلَا سِرِّيْ بِمُسْتَتِرٍ**) مَكتومٍ (**عَنِ الوُشَاةِ**) الكذابِينَ الساعين في الفسادِ (**وَلَا دَائِي**) أي مَرَضِي (**بِمُنحَسِمِ**) مُنقَطِعٍ، فمرَضِي يَدُلُّ على حالي.

اللامعة: رُوِي عن امرأةٍ من المتعَبِّدات أنّها قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشِفِي لي عن قَبرِ رَسولِ الله ﷺ فكَشَفَتْ لها فبَكَت حتَّى ماتَتْ.

وأنشَدَ بعضُ زُوّارِ قبرِ رسولِ اللهِ ﷺ:

أَتَيْتُـــــكَ زَائِـــــرًا وَوَدِدْتُ أَنِّي ۞۞۞ جَعَلْتُ سَوَادَ عَيْـنِي أَمْتَطِيـهِ

وَمَا لِي لَا أَسِيرُ عَلَى الأَمَاقِي[1] ۞۞۞ إِلَى قَـــبْرٍ رَسُـــولُ اللهِ فِيـــهِ

(١) مُوقُ العَينِ يُجمَع على ءاماقٍ ومَآقٍ وأَمواقٍ وأَماقٍ.

١١- مَحَضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ

اللُّغة: (مَحَضْتَني): أي أخلَصْتَنِي. و(العُذّال): اللُّوَّام. و(الصَّمَم): عدمُ السَّمع.

المعنَى: قد (مَحَضْتَنِي) أيْ أخلَصْتَنِي (النُّصْحَ) أيها الناصحُ (لَكِنْ) مِن شِدّة مَحبَّتِي فالنُّصحَ (لَسْتُ أَسْمَعُهُ) سَماعَ قَبولٍ (إِنَّ المُحِبَّ) كثيرًا ما يكونُ (عَنِ العُذَّالِ) الّذينَ يَلومونَهُ في حُبِّه (في صَمَم) عنهُم لا يَقبَلُ لَومَهُم.

١٢- إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

اللُّغة: (**اتَّهَمْتهُ**): شَكَّكتُ في نُصحِه. و(**العَذَل**): اللَّوم. و(**التُّهَم**): جَمع تُهَمة وهي الرِّيبة والشَّكّ.

المعنَى: (**إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ**) أي نُصحَ من يَنصَحُني أنّه لائِمٌ عاذِلٌ حتّى وصلَ اتّهامي إلى (**الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ وَالشَّيْبُ**) حالُه (**أَبْعَدُ**) مَن توجَّه إليَّ (**فِي نُصْحٍ عَن**) مواقعِ (**التُّهَمِ**) فإنّ العاذِلَ غيرُه وأمّا الشّيبُ فلا يُتصَوَّر مِنهُ شيءٌ مِن ذلكِ عادةً.

الفصل الثاني: في التّحذير مِن هوَى النفس

١٣- فَــــإِنَّ أَمَّـــــارَتِي بِالسُّــــوءِ مَــــا اتَّعَظَـــــتْ
مِــــنْ جَهْلِهَــــا بِنَــــذِيرِ الشَّــــيْبِ وَالهَــــرَمِ

اللُّغة: (**الأَمّارة بالسُّوء**): بتشديدِ الميم أي التي تأمُرُ بالقبائح، وهي النَّفْسُ. و(**نذِيرُ الشّيب**): أي إنذارُه بالموت. وَ(**الهَرَم**) كِبَر السِّنِّ.

المعنَى: (**فَإِنَّ أَمَّارَتِي**) أي نَفسِي التي هي كثيرةَ الأمرِ (**بِالسُّوءِ**) لي (**مَا اتَّعَظَتْ مِنْ**) فَرطِ (**جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ**) لها (**وَ**) لا اتَّعَظَتْ بـ(**ـالهَرَمِ**) كِبَرِ السِّنّ وضَعف القُوَى، مع أنّ الشّيبَ غالبًا والهرَمَ نَذيرانِ بدُنُوّ الأجَل.

اللامعة: أوَّلُ مَن شابَ إبراهيمُ ﷺ، فسأَلَ اللهَ جَلَّ وعَزَّ عن ذلِكَ، فأوحَى الله إليهِ أنَّه وَقارٌ، فقال: "يا رَبِّ زِدْنِي وَقارًا"، رواهُ البُخاريُّ في «الأدَب المُفرَد» والحاكِم في «المُستَدرَك» وغيرُهما.

وقد رُوي عنِ النّبِيّ ﷺ قال: «**مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»، قال الطِّيبيُّ: "وذلك لأنّ الشّيبَ قد يمنَعُ الشَّخصَ عنِ الغُرور والطَّرَب ويَمِيل بهِ إلى الطاعةِ والتّوبةِ، فتنكسر نفسُه عن الشّهَواتِ ويصير ذلك نورًا له يدخُلُ بسببِه الجنّة" اهـ.

١٤- وَلَا أَعَـــدَّتْ مِـــنَ الفِعْـــلِ الجَمِيـــلِ قِـــرَى
ضَـــيْفٍ أَلَـــمَّ بِـــرَأْسِي غَـــيْرَ مُحْتَشِـــمِ

اللُّغة: (**أَعَدَّ**): هَيَّأَ. و(**القِرَى**): الإحسانُ إلى الضَّيف، واسمٌ لِمَا يُكرَم به الضّيفُ. و(**أَلَمَّ**): نَزَل. و(**المُحْتَشِم**): المُسْتَحْيِي.

المعنَى: (**وَلَا أَعَدَّتْ**) أيْ ولا هيَّأتْ (**مِنَ**) ثمَراتِ (**الفِعْلِ الجَمِيلِ**) والخِصال الحسَنةِ (**قِرَى**) أي ضِيافةً لقُدوم (**ضَيْفٍ**) كريمٍ وهوَ الشَّيبُ الّذي (**أَلَمَّ**) نُزولًا (**بِرَأْسِي**) فلَم أُكرِمْه عندَ نُزولِه بي ولا احتشَمتُهُ كما يَنبَغِي بل بقِيتُ على حالِي مِنَ التّقصير في العَملِ (**غَيْرَ مُحْتَشِم**) مِن نُزولِه بي وإنذارِه لي بِدُنُوِّ أجَلِي، فيَا حَسرتِي على ما فرَّطتُ.

اللامعة: قِرَى الضَّيفِ خَصلةٌ مِن مَكارِم الأخلاق، وقد حثَّ عليه النَّبِيُّ ﷺ فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

وقد رَوى البُخاريُّ وغيرُه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا أتى النَّبِيَّ ﷺ فبَعَث إلى نسائه فقُلنَ: ما مَعَنا إلا الماءُ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟**»، فقال رجُلٌ مِن الأنصار: أنا، فانطَلَق به إلى امرأته فقال: أَكرِمِي ضَيفَ رسولِ الله ﷺ، فقالت: ما عِندَنا إلا قُوتُ صِبْيانِي،

فقال: هَيِّئِي طَعامَكِ، وأَصبِحِي سِراجَكِ، ونَوِّمِي صِبْيانَك إذا أَرادُوا عَشاءً، فهَيَّأَتْ طَعامَها وأصبَحَتْ سِراجَها ونَوَّمَتْ صِبيانَها، ثُمّ قامَت كأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فأطْفأَتْهُ، فجَعَلا يُرِيانِه أنهما يأكُلان فباتا طاوِيَينِ، فلَمَّا أصبحَ غدَا إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ[1] أَوْ عَجِبَ[2]، مِنْ فَعَالِكُمَا» فأنزَلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]" اهـ.

١٥- لَـــوْ كُنْـــتُ أَعْلَـــمُ أَنِّي مَـــا أُوَقِّـــرُهُ

---

(١) قال الحافظُ النّوَوِيُّ: ضَحِكُ الله تعالى مِنهُ هو رِضاهُ بفِعلِ عَبدِه ومحَبَّتُه إيّاهُ وإظهارُ نِعمَتِه علَيه وإيجابُها علَيه" اهـ.

وقال الشيخ أحمدُ بن إسماعيل الكورانيُّ: "الضَّحِك والتّعَجُّب مِن الأعراض النَّفْسانية وهما مُحالان عليه تعالى، والمرادُ لازِمُهما وهو كمالُ الرِّضا وقَبولُ العَمَل، والمخاطَبونَ بُلَغاءُ مُبْدِعُونَ في أنواع المَجاز، لا يَخفَى علَيهِم أمثالُ هذه المَجازات" اهـ.

(٢) الشّكُّ مِنَ الرّاوي، وهو مُفَسِّرٌ للّفظِ الأوّلِ المُتَشابِه.

كَتَمْـــــتُ سِرًّا بَـــدَا لِي مِنْـــــهُ بِـــالكَتَمِ

اللُّغة: (**التَّوقِير**): التَّعظِيم. و(**الكَتَم**): بفَتح التاء، نَبْتٌ يُخضَب به كالحِنّاء.

المعنَى: (**لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ**) كنتُ قبل نُزول الشَّيبِ بي (**أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ**) أي لا أُراعيهِ إذا نَزَل بي لـ(**ـكَتَمْتُ**) أيْ سَتَرتُ (**سِرًّا**) أي شَيبًا (**بَدَا**) أيْ ظَهَرَ (**لِي مِنْهُ**) في رأسِي بخَضبِي له (**بِالكَتَمِ**) أي الحِنّاءِ لِكَيلا أُنسَبَ إلى عدمِ مراعاتِي للحالِ التي أنا فيها مِن نُزول الشّيبِ بي ولا يلحقَنِي زيادةُ المَلامةِ والاعتِراضِ بِسبَبِ اتّباعي نَفسِيَ الأمّارةَ بالسُّوء.

اللامعة: رُوِي في الصِّحاح أنّه أُتِيَ بأبي قُحافةَ[1] يومَ فَتحِ مَكّة ورأسُه ولِحيَتُه كالثُّغامة[2] بياضًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا بِشَيءٍ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**».

---

(١) اسمُه عُثمانَ وهو ولَدُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي اللهُ عنهُ، أسلَمَ يومَ فَتحِ مَكّةَ.

(٢) قالَ أبو عُبَيدٍ: هو نَبْتٌ أبيضُ الزَّهرِ والثَّمَرِ، شُبِّهَ بَياضُ الشَّيبِ بِه.

قال الحافِظُ النّوَوِيُّ رحِمهُ اللهُ: "ومذهَبُنا استحبابُ خِضاب الشَّيب للرَّجُل والمرأة بصُفرةٍ أو حُمرةٍ ويَحرُمُ خِضابُه بالسَّوادِ على الأصَحّ، وقيل: يُكرَهُ كراهةَ تَنزيهٍ، والمُختارُ التَّحرِيمُ لِقَولِه ﷺ: «**وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**»، هذا مذهَبُنا. وقال القاضي: اختَلَف السَّلَف مِن الصحابةِ والتابعِين في الخِضاب وفي جِنْسِه فقال بعضُهم: تَركُ الخِضاب أفضَلُ، ورَوَوا حديثًا عنِ النَّبِيّ ﷺ في النَّهي عن تَغييرِ الشَّيبِ لأنّهُ ﷺ لم يُغَيِّر شَيبَهُ، رُوِي هذا عن عُمَر وعَلِيّ وأُبَيٍّ وءاخَرِينَ رضي الله عنهمُ، وقال ءاخَرُون: الخِضابُ أفضَلُ.

وخَضَب جماعةٌ مِن الصَّحابة والتابعِينَ ومَن بَعدَهم للأحاديث الَّتِي ذكرَها مُسلِمٌ وغَيرُه، ثمَّ اختَلَف هؤلاء فكان أكثرُهُم يَخضِبُ بالصُّفرة، منهم ابنُ عُمَرَ وأبو هُريرةَ وءاخَرُونَ، ورُوِي ذلك عن عَلِيّ، وخَضَب جماعةٌ مِنهُم بالحِنّاءِ والكَتَمِ وبعضُهم بالزَّعفرانِ، وخضَبَ جماعةٌ بالسَّوادِ رُوِي ذلك عن عُثمانَ والحسَنِ والحُسَينِ ابْنَيْ عَلِيّ وعُقبةَ بنِ عامرٍ وابنِ سِيرِينَ وأبي بُرْدَةَ وءاخَرِينَ"، ثُمّ قال: "والأَصَحُّ الأوفَقُ للسُّنَّةِ ما قَدَّمناهُ عن مَذهَبِنا" اهـ.

١٦- مَـــنْ لِي بِـــرَدِّ جِمَـــاحٍ مِـــنْ غَوَايَتِهَـــا
كَمَـــا يُـــرَدُّ جِمَـــاحُ الخَيْـــلِ بِـــاللُّجُمِ

اللُّغة: (جِماحُ الفَرَس): غَلَبة الفَرَس فارِسَه. و(الغَواية): الضَّلالة. و(اللُّجُم): الحَديدُ المُعْتَرِضةُ في فَمِ الفَرَس.

المعنَى: (مَنْ لِي) كَفِيلٌ (بِرَدِّ) أي صَرفِ وإرجاعِ نفسِي الأمّارةَ بالسُّوءِ عن (جِمَاحٍ) أي خروجِها عليَّ بلَجمِها عَمّا هي عليه (مِنْ غَوَايَتِهَا) أي مِنْ إضلالِها لي عَن الصّوابِ فيَلجُمها لجَمًا حتّى تُرَدَّ عن حالِها (كَمَا يُرَدُّ) ويُمنَعُ (جِمَاحُ الخَيْلِ) أي غلَبَتُه راكِبَهُ رَدًّا (بِـ)ـواسِطةِ (اللُّجُمِ) الشّديدةِ الّتي تكونُ في حَنَكِ الخَيل.

اللامعة: رُوِيَ عَن جَابِرِ بن عَبْدِ الله عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «أَخْوَفُ ما أَخَافُ علَى أُمَّتِي اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ».

وقال الصُّوفيُّ الزّاهِدُ إبراهيمُ بن أدهَمَ رضيَ الله عنهُ: «مَنْ مَنَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا فَقَدِ اسْتَرَاحَ مِنَ الدُّنْيَا وَبَلَائِهَا وَكَانَ مَحْفُوظًا مُعَافًى مِنْ أَذَاهَا».

وقال الحافِظُ ابنُ أبي الدُّنيا: حدَّثَني بعضُ أهلِ العِلم قال: قال رَجُلٌ مِن العرَبِ لابنِه: «أَيْ بُنَيَّ، إِنَّهُ مَنْ خَافَ الْمَوْتَ بَادَرَ الْفَوْتَ، وَمَنْ لَمْ يَكْبَحْ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ أَسْرَعَتْ بِهِ التَّبِعَاتُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَكَ».

وقال الإمام أبو القاسِم القُشيرِيُّ رَحِمهُ اللهُ: "أصلُ المجاهَدةِ ومِلاكُها فَطْمُ النَّفْس عن المألوفاتِ، وحملُها على خِلافِ هواها في عُمومِ الأوقات. فإذا جَمَحتِ النَّفسُ عند ركوب الهوَى وجَب كَبحُها بلِجامِ التَّقوَى" اهـ.

١٧- فَــلَا تَــرُمْ بِالمَعَــاصِيْ كَسْــرَ شَــهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَــامَ يُقَــوِّيْ شَــهْوَةَ النَّهِــمِ

اللُّغة: **(لا تَرُم)**: لا تَقْصِد. و**(النَّهِم)**: الحرِيصُ على الأَكل.

المعنَى: (**فَلَا تَرُمْ**) تَطلُبْ أيُّها المخاطَبُ (**بِـ**)ـشيءٍ مِن (**المَعَاصِيْ كَسْـرَ شَهْوَتِهَا**) أيْ شَهوةِ نَفسِكَ فـ(**ـإِنَّ الطَّعَامَ**) اللّذيذَ إذا أُكِلَ (**يُقَوِّيْ شَهْوَةَ النَّهِمِ**) أي المرءِ الحريصِ الشّديدِ الشّهوةِ إلى الطّعام، فكذلكَ إذا أَلِفَتِ النّفسُ العِصيانَ فإنّ المعاصِيَ تُقوّي شَهوتَها إلى ارتِكابِها. وقد جاءَ في الحديث الشريفِ مَرفوعًا: «**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**».

<u>**اللامعة**</u>: عَن أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قالَ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا بِكَسْرَةِ خُبْزٍ لِرَسُولِ الله ﷺ فقالَ: «**مَا هَذِهِ الْكِسْرَةُ يَا فَاطِمَةُ؟**» قَالَتْ: قُرْصٌ خَبَزْتُهُ وَلَمْ تَطْلُبْ نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتُكَ بِهَذِهِ الْكِسْرَةِ، فقالَ: «**أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمُ أَبِيكِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ**» وَفِي بَعْض الروايات جاءت فاطمة رَضِيَ الله عَنْهَا بقِرص شَعِير(١).

وقال أبو سُلَيْمَان الدَّارانِيُّ رضيَ الله عنهُ: مفتاح الدنيا الشِّبَع ومفتاح الآخرة الجوع.

---

(١) قال الحافظ العراقي: رواه الحارث بن أبي أسامة في مُسنَده بسند ضعيف.

١٨-   **وَالنَّفْــسُ كَالطِّفْــلِ إِنْ تُهْمِلْــهُ شَــبَّ عَلَى**

حُــبِّ الرَّضَــاعِ وَإِنْ تَفْطِمْــهُ يَــنْفَطِمِ

اللُّغة: (**شَبَّ**): كَبُر. و(**فِطَم**): عَن الشَّيء: أي فُصِل عنه.

المعنَى: (**وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ**) الرَّضِيع أي تُشبِهُهُ في أنّ الرَّضِيعَ (**إِنْ تُهمِلْهُ**) أي تترُكْه في شأنِ الفِطامِ عنِ الرَّضاع تَراهُ (**شَبَّ**) أي بَلَغَ أوانَ الشّبابِ وهو مُستمِرٌّ (**عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم**) أي يَمتنِعْ مِنَ الرَّضاعِ ولا يتضَرَّر مِن الفَطْم.

١٩-   **فَــاصْرِفْ هَوَاهَــا وَحَــاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَــهُ**

إِنَّ الهَــوَى مَــا تَــوَلَّى يُصْــمِ أَوْ يَصِــمِ

اللُّغة: (**الهَوَى**): المرادُ به هُنا مَيْلُ النَّفسِ المذمومُ. و(**تَوَلَى**): الهَوَى: أي صار والِيًا على المرءِ. و(**يُصْمِي**): يَقتُل. و(**يَصِم**): يَعِيب.

المعنَى: (**فَـ**)ـأَمسِكْ بعِنان النَّفْس و(**اصْرِفْ هَواهَا**) عمَّا هي عليه مِن طلَبِ اللَّذّاتِ والانهِماكِ في الشَّهَواتِ (**وَحَاذِرْ**) أي احذَرْ جاهِدًا مِنْ (**أَنْ تُوَلِّيَهُ**) أي تؤَمّرَ الهوَى المذمومَ على أمرٍ (**إِنَّ**) سُلطانَ (**الهَوَى مَا تَوَلَّى**) أيْ ما دامَ والِيًا على المرءِ إمّا أن (**يُصْمِـ**)ـيَ صاحِبَهُ أي يَقتُلَه (**أَوْ يَصِم**)ـهُ أي أنْ يَعِيبَهُ.

اللامعة: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ[1]﴾، وعَن عبدِ الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ[2] حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» أي يكونَ مَيلُ قَلبِه تبعًا لِما جاء بِهِ النّبِيُّ ﷺ مِن أحكام الشّريعة.

---

(١) أي وقوفه بين يدي الله للسؤال والحساب، معناه الوقوف للحساب وليس معناه أنّ الله له جارحة ولا يعني ذلك أنّه يكون مقابلةٌ بين الله وخَلْقه.

(٢) أي الإيمانَ الكامِلَ.

جاء في الحديث مرفوعًا: «**الهَوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ**» فالهَوَى هنا ما تَمِيل إليه النَّفْسُ مِمّا يُخالِفُ الشَّرعَ، فهو يُعمِي عن رؤيةِ الحَقِّ حقًّا ويُصِمُّ عَن سامِعِ الحَقّ حقًّا، ومَن لا يخالِفُ هواه لا يَتَرَقَّى، ومَنِ اتَّبَع الهَوَى هَوَى. وقالَ بَعضُ الصّالِحِينَ: "تَرَكتُ الهَوَى فتَرَبَّعتُ في الهَوَا".

وقال الجُنَيد البّغداديُّ رضي الله عنهُ: «النَّفْسُ الأمّارة بالسوءِ هِيَ الداعية إلَى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتّهمة بأصناف الأسواء[1]».

٢٠- وَرَاعِهَــــــا وَهْيَ فِي الأَعْمَــــــالِ سَـــــــائِمَةٌ
وَإِنْ هِيَ اسْـــتَحْلَتِ المَـــرْعَى فَــلَا تُسِـــمِ

اللُّغة: (**راعِها**): لاحِظْها. و(**سائِمة**): راعِيةٌ في العُشب المُباح.

المعنَى: (**وَرَاعِهَا**) أي أَحْسِن رِعايةَ نَفْسِك ومُراقبتَها (**وَ**) الحالُ أنْ (**هْيَ فِي**) رِياضِ (**الأَعْمَالِ**) الصّالحةِ (**سَائِمَةٌ**) أي سائرةٌ تنتقل مِن عملٍ إلى

(١) أي الآفات.

ءاخَرَ، (**وَإِنْ هِيَ**) تَمادَتْ في سَومِها وانتِقالِها بينَ الأعمالِ المندوبةِ فـ(**ـاسْتَحْلَتِ المَرْعَى**) الّذي هيَ تسرَحُ فيه أيْ وجدَتْ حَلاوتَهُ (**فَلَا تُسِم**) أي لا تُبقِ نفسَكَ تَسرَحُ مِن دُونِ أنْ تُراقِبَها، فقدْ تقَعُ في العُجبِ أوِ الرِّياءِ إنْ أطلَقْتَها كما أنّها قد تترُكُ الواجِباتِ وتنحُو نحوَ المندوباتِ فرَحًا مِنها بِلَذّة تِلكَ العبادات فتكونُ مغرورةً بتركِ الأولَى والأعلَى والأفضَلِ الذي يَجِبُ عليها إلى شىءٍ أدوَنَ مرتبةً وفضلًا مِمّا لا يَجِبُ عليها، فتقعَ في الحرامِ بِتَرْكِ الواجبِ.

اللامعة: قال الحافظُ ابن حَجرٍ العَسقلانيُّ: قال بعضُ الأكابِر: «مَن شغَلَهُ الفَرضُ عنِ النَّفل فهو معذُورٌ، ومَن شغَلَهُ النَّفلُ عن الفرضِ فهو مَغرُورٌ».

وقد جاء في الحديثِ القُدسِيّ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**» والقُربُ هنا القُربُ المعنَوِيُّ لأنّ الله تعالَى موجودٌ أزَلًا وأبَدًا بلا مكانٍ ولا جِهةٍ، ويُستفادُ مِن هذا الحدِيثِ أنّ أداء الفرائض أحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالَى، ولن يَبلُغ الإنسان مَقام الولاية مهما أكثَرَ مِن النّوافلِ إنْ كان تارِكًا للفَرائِضِ.

٢١- كَـــمْ حَسَّـــنَتْ لَذَّةً لِلْمَـــرْءِ قَاتِلَـــةً
مِــنْ حَيْــثُ لَــمْ يَــدْرِ أَنَّ السُّـــمَّ فِي الدَّسَــمِ

المعنَى: إيّاكَ وتَلبِيسَ النَّفسِ فـ(**ـكَمْ حَسَّنَت**) النّفسُ كثيرًا (**لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً**) لَهُ فأقبلَ على ذلكَ المطعومِ أو غيرَه (**مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ**) مطروحٌ (**فِي الدَّسَمِ**) مِمّا يأكُلُه ويَلتَذُّ بهِ.

اللامعة: رَوَى النَّسَائِيّ عَن عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا قَالَت: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ الْمَوْتِ**»

وقال الصُّوفِيُّ الزّاهِدُ جعفرُ بن محمد الخُلْدِيُّ الخَوّاصُ رضيَ الله عنهُ: "لا يجد العبدُ لَذَّة المعامَلة مع الله معَ لَذّة النَّفْس، لأنَّ أهل الحقائق قطَعُوا العلائِقَ التي تَقطَعُهم عن الحَقِّ[1] قبل أنْ تقطعَهم العلائِقُ".

(١) أي تركَوا ما يشغلهم عن طاعةِ اللهِ الحَقِّ.

٢٢- وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

__اللُّغة__: (**الدَّسائِس**): المكايد التي تُخْفِيها النَّفْس. و(**المَخْمَصة**): الجُوع. و(**التُّخَمة**): فسادُ الطَّعام في المَعِدة مِنَ الامتلاء.

__المعنَى__: (**وَاخْشَ الدَّسَائِسَ**) المَهالِكَ الخَفِيّةَ الحاصلُ بعضُها (**مِنْ جُوعٍ**) كسُوءِ خُلُقٍ وغيرِ ذلك (**وَمِنْ شِبَعٍ**) ككَسلٍ وغلَبةِ شَهوةٍ (**فَرُبَّ**) أي وقَدْ يحصلُ بِسبَبِ (**مَخْمَصَةٍ**) أي جُوعٍ (**شَرٌّ**) يَنشأُ عنهُ أكثرَ مِمّا يحصُلُ (**مِنَ التُّخَمِ**) أي امتلاءِ المعِدة بالطّعامِ إلى حَدِّ فسادِهِ، فقد يؤدّي المرءُ العِبادةَ على شِبَعٍ ويمتنِعُ مِنها بلا عُذرٍ مِن سُوءِ خُلُقٍ نشأَ عِندَه بِسَبب الجُوع.

__اللامعة__: عَن أبي هُرَيرةَ أنّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ**» أيِ الفقرِ الذي يُودِي بالإنسان إلى الكَفِّ عن الواجباتِ والخيراتِ أو الوقوعِ في معصيةِ اللهِ بسبَبِ عدمِ الصَّبرِ على هذا الفقرِ.

ورُوِي أنّ بناتِ رَجلٍ قُلنَ لأَبِيهِنَّ: يا أبَه، لا تُطعِمْنا إلا الحلالَ فإنّ الصَّبرَ على الجوع أيسَرُ مِنَ الصَّبرِ على النّارِ.

٢٣- وَاسْـتَفْرِغِ الدَّمْـعَ مِـنْ عَـيْنٍ قَـدِ امْـتَلأَتْ
مِـــنَ المَحَـــارِمِ وَالْـــزَمْ حِمْيَـــةَ النَّـــدَمِ

<u>**اللُّغة**</u>: (**اسْتَفْرِغ**): مِن التّفريغ. و(**المَحارِم**): هي المحرَّمات. و(**الحِمْية**): الامتِناع مِمّا يَضُرّ.

<u>**المعنَى**</u>: انظُر ما أنتَ عامِلٌ وأكثِر البُكاءَ على خَطِيئَتِك (**وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ**) أي أَفرِغْهُ (**مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ مِنَ**) الالتِذاذِ بـ(**ـالمَحَارِمِ**) أي الحَرامِ (**وَالْزَمْ**) الورَعَ واحتَرِزْ عنِ الحرامِ حامِيًا لِنفسِك مِنهُ (**حِمْيَةَ**) التّائبِ (**النَّدَمِ**) أي النّادمِ على ما فَرَط مِنهُ، فلا تَقل: أُجَرِّبُ الحرام ثُمّ أتوب منهُ وأندَمُ، بل احتَرِزْ مِنهُ ابتِداءً.

اللامعة: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله تَعَالَى حَتَّى يَلِجَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ**».

رَوى ابن ماجَه مِن حديث ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ، وَإِنْ كَانَ مِثْلَ رَأْسِ الذُّبَابِ، مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثُمَّ تُصِيبُ شَيْئًا مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**».

وعَن عُقبةَ بن عامِرٍ الجُهَنِيّ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما النَّجاةُ؟ فقال ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**».

٢٤- وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

اللُّغة: (**مَحَّضَاك**): أخْلَصاك. و(**اتَّهِمِ**): النَّفسَ أي لا تُصَدِّقها.

المعنَى: (**وَخَالِفِ النَّفْسَ**) الأمّارة بالسُّوءِ (**وَالشَّيْطَانَ**) فيما يأمُرانِك به مِنَ الشّرِّ وينهيانِك عنه منَ الخَيرِ (**وَاعْصِهِمَا**) في ذلكَ (**وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ**) أي أخلَصَا لكَ (**النُّصْحَ**) ظاهرًا (**فَاتَّهِمِ**)ـهُمَا فيهِ ولا تَركَنْ إليهِمَا لجَوازِ أن يكونَ لهُما مآرِبُ سيّئةٌ فيما بعد ذلك، فإنّ لهُما حِبالًا وتلبيساتٍ.

اللامعة: قال الله تعالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يُوسف: ٥٣]، وقال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطِر: ٦]، وقالَ جَلّ جلالُه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النِّساء: ١٢٠]، وقال أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقال أيضًا: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

وقال أيضًا: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي خافَ الحِسابَ يومَ القيامة لعِلمِه أنّ للعَبدِ مَقامًا يومَ القيامةِ يحاسِبُه فيه رَبُّه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ﴾ الأمّارةَ بالسُّوءِ ﴿عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ المذمومِ المؤذي أي بأنْ زَجَرها عنِ اتّباعِ الشَّهَواتِ.

وقالَ الصُّوفِيُّ الزّاهِدُ أبو العَبّاسِ بنُ عَطَاءٍ: «النَّفْسُ مَجبولةٌ علَى سوء الأدبِ والعبدُ مأمورٌ بمُلازَمةِ الأدَب، فالنَّفْس تجري بطَبعها في مَيدان المخالفةِ والعبدُ يَرُدُّها بجهدِه عَن سوءِ المُطالَبة، فمَن أطلَقَ عنانها فَهُوَ شرِيكُها معها في فَسادها».

٢٥- وَلَا تُطِـــعْ مِنْهُمَـــا خَصْـــمًا وَلَا حَكَمًـــا
فَأَنْــتَ تَعْــرِفُ كَيْــدَ الخَصْــمِ وَالحَكَــمِ

اللُّغة: (**الخَصْم**): المُخاصِم. و(**الحَكَم**): الحاكِم. و(**الكَيْد**): الخَدِيعة والمَكْر.

المعنَى: (**وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا**) أحدًا، سواءٌ كانتِ النّفسُ الأمّارةُ بالسُّوءِ (**خَصْمًا**) لكَ في أمرٍ فليسَ يصلُح الشّيطانُ أن يكونَ حكَمًا بينَكُما، أو سواءٌ كانَ مُخاصِمُكَ الشّيطانَ فإنّ النّفسَ الأمّارةَ بالسُّوءِ لا تصلُح أن تكونَ في ذلك حَكَمًا، فلا يُركَنُ إليها ولا تُطاع، لا حال كَونِها خصمًا (**وَلَا**) حالَ جَعلِكَ لَهَا (**حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ**) ولا يخفى على مِثلِكَ (**كَيْدَ**) أي مَكرُ (**الخَصْمِ وَ**) ظُلمُ (**الحَكَمِ**) أي الحاكِم المتَعَصِّب.

اللامعة: **قصّة بَرْصِيصَا**:

قال تعالَى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

كان راهِبٌ مِن بَنِي إسرائيلَ يقال له بَرْصِيصَا يعبد الله تعالَى في صومعة له سَبعينَ سنةً حتّى أعيي أمرُه إبليس فجمع ذات يوم إبليسُ مرَدة الشياطين وقال ألَا أحد منكم يكفيني أمرَ بَرْصِيصَا؟ فقال شيطانٌ منهم: أنا أكفيك أمره، فانطلق فتزَيَّن بزينة الرُّهبان وحَلَق وسط رأسه

وأتى صومعةَ بَرْصِيصَا فناداه فلم يجبه، فلما رأى الشيطانُ أنه لا يجيبه أقبلَ على الإتيان بصورة العبادة في أصل الصومعة، فلما انفتل بَرْصِيصَا من صلاته اطَّلَع مِن صومعته فرأى رَجُلًا قائمًا يصلّي في هيئة حسنة على هيئة الرُّهبان فلَمَّا رأى ذلك مِن حاله لامَ نفسَه حين لم يُجِبْه، فقال له: إنّكَ نادَيتنَي وكنت مشتغِلًا عنك فما حاجتُك؟ فقال الشيطانُ المتشكّل بصورة راهِبٍ: حاجتي أني جِئتُ لأكون معك فأتأدَّبَ بأدَبِك وأقتَبِس مِن عمَلِك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، قال بَرْصِيصَا: إنّي لَفِي شُغل عنك، فإن كنت مؤمِنًا كامِلًا فإنّ الله سيجعل لك فيما للمؤمنين الكامِلِينَ نصِيبًا إن استجاب لي، ثمّ أقبل على صلاته وتركه، فأقبل الشيطانُ يأتي بصورة الصلاة، فلم يَلتَفِت إليه بَرْصِيصَا أربعين يومًا، فلما انفتل مِن صلاتِه بعدها رءاهُ قائِمًا يصلّي في اجتهادٍ شديدٍ، فتقاصَرت نفسُ بَرْصِيصَا إليه وأعجبه شأن الرّاهبِ، فقال الشيطان لبَرْصِيصَا: إنّي مُنطَلِقٌ، فإنّ لي صاحبًا غيرَك ظننتُ أنكَ أشَدُّ اجتِهادًا مما رأيتُ، وكان يبلُغُنا عنك غيرَ الذي رأيتُ، فدخل من ذلك على بَرْصِيصَا أمرٌ شديد وكَرِهَ مفارقَته لِمَا رأَى مِن كثرة اجتهادِهِ، فَلَمَّا وَدَّعَه الشيطانُ قال له: إنّ عندي دعواتٍ أُعَلِّمُكَها تدعو بهِنّ يَشفِي اللهُ بها السّقمَ

ويعافي بها المبتلَى والمجنونَ، قال بَرْصِيصَا: إنّي أخاف إنْ عَلِم النّاس بذلك شغلوني عن العبادة، فلم يَزَل به الشيطانُ حتى عَلَّمهُ ثُمّ انطَلَق حتى أتى إبليسَ فقال: قد واللهِ أهلكتُ الرَّجُلَ، فانطلقَ الشّيطانُ فتعَرَّض لرَجُلٍ فخَنَقه ثم جاء في صورة رَجُلٍ مُتَطبّب فقال لأهلِه: إنّ بصاحبِكم جُنونًا أفأُعالِجُه؟ قالوا: نعم، فعالَجه فلم يُفِد، فقال لهم: إنّي لا أقوَى على جِنَّتِه ولكن سأرشدكم إلى مَن يَدعو اللهَ فيعافِيه، انطَلِقوا إلى بَرْصِيصَا. فانطلَقوا إليه فسَأَلوه ذلك فدعا بتلك الكلِماتِ فذَهبَ عنه الشّيطانُ، فكان الشّيطانُ يَفعل ذلك بالنّاس ويُرشِدهم إلى بَرْصِيصَا فيَدعو لهم فيعافَون، فانطَلَق فتَعَرَّض لجاريةٍ مِن بني إسرائيل ولها ثلاثةُ إخوةٍ، فخَنَقَها وعَذَّبها، ثم جاء إليهم كما كان يأتي الناس في صُورة مُتَطبّب فقال لهم: أعالِجُها؟ قالوا: نعم، فقال إنّ الّذي عَرَض لها مارِدٌ لا يُطاق ولكن سأُرشِدُكم إلى مَن تَثِقُون به تَدعُونها عِندَه، فإذا عَلِمتُم أنها قد عُوفِيَت تَرُدُّونها صحيحةً، قالوا: ومَن هو؟ قال: بَرْصِيصَا، قالوا: وكيف لنا أن يُجِيبنا إلى هذا وهو أعظَم شأنًا مِن ذلك، قال: انطَلِقوا فابنُوا صَومعةً إلى جَنب صَومعَتِه حتى تُشرِفَ عليه فإنْ قَبِلها وإلا فضَعُوها في صومَعَتِها وقولوا له: هذه أمانةٌ عِندَك فاحتَسِب أمانَتَك. فانطَلقُوا فسألوه

ذلك فأبَى عليهم فبَنَوا صَومعةً على ما أمَرَهُم الشّيطانُ ثم انطَلَقوا فوضَعوا الجارية في صومَعَتِها وقالوا: يا بَرْصِيصَا هذه أختُنا أمانةٌ عِندَك فاحتَسِب فيها، ثم انصَرَفوا. فلَمّا انفَتَل بَرْصِيصَا عن صلاته عايَنَ الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبِه ودخل عليه أمرٌ عظيمٌ، فجاءَها الشّيطانُ فخَنَقها، فدعا بَرْصِيصَا بتلك الدعوات فذَهَب الشّيطانُ عنها ثم أقبل بَرْصِيصَا على صلاته، فجاءها الشيطان فخَنَقها فكانت تَكشِف عن نفسها وتتعرض لبَرْصِيصَا، فجاءه الشّيطانُ عرَّفَه نفسَه وقال له: ويحَك واقِعْها فلم تَجِد مِثلَها جمالًا وستتوبُ بعد ذلك فتُدرِكُ ما تريدُ مِن الأمر، فلم يَزَل به حتى زَنا بها، فلم يزل كذلك يأتيها حتى حَمَلَتْ وظهر حَمْلُها، فقال له الشّيطانُ: وَيحَكَ يا بَرْصِيصَا قد افتَضَحَتْ فهَل لك أن تَقتُلها وتَتُوب؟ فإنْ سألوك فقُل: ذَهَب بها شيطانها فلم أَقِف عليه فقَتَلها، ففعل ذلك ثم انْطَلَقَ بها فدَفَنها إلى جانب الجبل، فجاءَه الشّيطان وهو يَدفِنها باللَّيل فأخذ بطرف إزارِها فبَقي خارِجًا مِن التُّراب، ثم رجع بَرْصِيصَا إلى صومعته وأَقْبَل على صلاته، فجاء إِخوَتُها يتعاهدون أختهم، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها ويُوصُونه بها، فقالوا: يا بَرْصِيصَا ما فعلَتْ أختُنا؟ قال: قد جاء شَيطانُها فذَهَب بها ولم أُطِقْه

فصَدَّقوه وانصرَفوا، فلما أمسَوا وهم مَكروبون جاء الشيطان إلى أكبَرِهم في منامه فقال: ويحَك إنّ بَرْصِيصَا فعل بأُختِك كذا وكذا وإنه دفَنَها في موضع كذا وكذا، فقال: هذا حلم وهو مِن الشّيطان، إن بَرْصِيصَا خيرٌ من ذلك، فتتابَع عليه ثلاثَ ليالٍ فلم يَكتَرِث به، فانطَلَق الشّيطان إلى أوسَطِهم فقال الأوسط مِثل ما قال الأكبَرُ ولم يُخبِر به أحدًا، فانطَلَق إلى أصغَرِهم بمثل ذلك قال الأصغر لأخويه: واللّٰهِ لقد رأيتُ كذا وكذا، فقال الأوسطُ: أنا واللّٰهِ قد رأيتُ مِثلَه، فقال الأكبرُ: أنا واللّٰهِ قد رأيتُ مثله، فانطَلَقوا إلى بَرْصِيصَا فقالوا له: ما فعَلَتْ أختُنا؟ فقال: أليسَ قد أعلَمتُكُم بحالها فكأنَّكُم قدِ اتَّهَمتُموني، فقالوا: لا واللّٰهِ لا نَتَّهِمُك، واستَحيَوا منه وانصَرَفوا، فجاءَهم الشّيطانُ فقال: ويحَكُم إنّها لَمَدفونةٌ في موضِع كذا وكذا، وإنّ طرَفَ إزارَها خَرَج مِن التُّراب، فانطَلَقوا فرَأَوا أُختَهم على ما رأَوهُ في النّوم فمَشَوا في مَوالِيهم وغِلْمانِهم معَهُم الفُؤُوس والمَساحِي فهَدَموا صَومعةَ بَرْصِيصَا وأنزَلوه منها وكَتَّفوه ثمّ انطَلَقوا به للمَلِك فأقَرَّ بَرْصِيصَا على نَفسِه وذلك أنّ الشّيطانَ أتاهُ فوَسوَسَ له فقال له: تَقتُلُها ثم تكابِرُ يَجتمع عليك أَمْرانِ قتلٌ ومكابَرةٌ، اعتَرِفْ! فلَمَّا اعتَرَف أمَرَ المَلِك بقَتْلِه وصَلْبِه على خَشَبةٍ، فلَمَّا صُلِب أتاهُ الشّيطانُ

فقال: يا بَرْصِيصَا أتَعرِفُني؟ قال: لا، فقال: أنا صاحِبُك الّذي عَلّمتُكَ الدَّعَواتِ وكُنتَ إذا دَعوتَ بهِنّ يُستجابُ لكَ، ويحكَ ما اتَّقيتَ اللهَ في أمانَتِك خُنْتَ أهلهَا وإنّك زعمتَ أنَّكَ أَعْبَدَ بَنِي إسرائيلَ، أمَا استَحْيَيْتَ؟! فلم يَزَل يُعَيّرُه ويُعَنّفُه حتى قال في ءاخِرِ ذلك: أَلَمْ يَكْفِكَ ما صَنعتَ حتى أقرَرتَ على نفسِك وفضحتَها؟ فإنْ مِتَّ على هذه الحالة لن تُفلِحَ أبدًا، قال بَرْصِيصَا: فكيف أصنَعُ؟ قال: تُطيعني في خَصلةٍ واحِدةٍ حتى أخَلِّصَك مما أنتَ فيه فآخُذُ بأعْيُنِهم وأُخرِجُك مِن مَكانِك قال: وما هِيَ؟ قال تَسجُد لي، قال: ما أستطيعُ أنْ أفعَلَ، قال: بِطَرْفِك افْعَلْ، فسجَد له بَرْصِيصَا، فلَمَّا أتوا ببَرْصِيصَا إلى القتل تبرَّأَ الشّيطانُ منه وقال له: يا بَرْصِيصَا هذا الّذي أرَدتُ مِنكَ، صارَتْ عاقبةُ أَمرِك إلى أنْ كَفَرتَ برَبّك، فما لَبِثَ أنْ قُتِل بَرْصِيصَا على الكفر.

٢٦- **أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ**

لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمِ

<u>اللُّغة</u>: (**النَّسْل**): الوَلَد. و(**ذُو عُقم**): هو العَقِيم أيْ مَن لا يُولَد له.

<u>المعنَى</u>: إنّي (**أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ**) تقصِيري في عملِي، فإنّي كنتُ ءامُرُ غيرِي بالخَيرِ بـ(**ـقَوْلٍ**) مِنّي وأنهاهُ عنِ القبيحِ مجرَّدَ قولٍ (**بِلَا عَمَلٍ**) مِنّي بمُقتضى قَولِي، ولَمَّا لم يُنتِج قولِي عمَلًا مِنّي كانَ كالرَّحِم العَقِيمةِ التي لم تُنتِج ولَدًا (**لَقَدْ نَسَبْتُ**) صُدورَ (**بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمِ**)

<u>اللامعة</u>: يَختَلِف مدلولُ الاستِغفار بحَسَب حال المتلَفِّظ به. فما جاءَ في قولِه ﷺ: «**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ مائَةَ مَرَّةٍ**» وقولُه ﷺ: «**تُبْ عَلَيَّ**» أو ما يُعطِي هذا المعنَى فهو محمولٌ على التضرُّع والذِّكر والعِبادة والتذلُّلِ للهِ والتّرَقِّي في المَقاماتِ لا على معنَى الخلاصِ مِن ذَنبٍ صَدَر منهُ، مع أنّ استغفار بعض الأنبياء كان على معنَى الخلاصِ مِن ذنبٍ صغيرٍ حصلَ مِنهُم لا خِسّةَ فيه ولا دناءةَ، أمّا الصغيرةُ الّتي تَدُلُّ على خِسّةِ نَفْسٍ والكبيرةُ والكُفر فالثلاثةُ يستحيل صدور شىءٍ مِنها مِن نبيٍّ مِن الأنبياء عليهِمُ السّلامُ، أمّا الذّنبُ الّذي لا خِسّةَ فيهِ ولا دَناءةَ فقد يَحصُل مِن نَبِيٍّ مِن الأنبياء كما أخبرَ اللهُ تعالَى عن ءادَمَ عليه

السّلامُ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ أي أخطأ في قَضِيّةِ الشَّجَرةِ خطأً صغيرًا لا خِسّة فيه ولا دناءةَ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وقال عزّ وجَلّ حكايةً عن قولِ ءادَمَ وحَوّاءَ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وكذلك ما جاء في قِصّة موسى عليه السّلامُ مع القِبْطِيّ الكافِرِ الّذي قَتَلهُ مُوسى فلا خِسّةَ في فِعل مُوسى ولا قَصدَ قَتلَه بغيرِ حَقٍّ، إنّما دفَعَهُ عن أحدِ مُسلِمِي بنِي إسرائيلَ وكان يُمكِنُه مُوسَى أنْ يَدفَعهُ عنِ المُسلِمِ بالتّوبيخ والصِّياحِ عليه إلّا أنّهُ دفَعَهُ بيَدِه بلا إذنٍ فماتَ القِبطِيُّ الكافرُ مِن تِلكَ الدّفعةِ.

فالاستغفارُ لا يكون دائمًا مِن ذَنْبٍ سَبَق بل هو في بعضِ الأحوال للتّرَقّي في المَقامات وعُلُوّ الدّرَجات.

وكذلك ما حصَل مع سيّدنا يُونسَ عليه السّلامُ حيث غضِب على قومِهِ لَمّا عَصَوهُ فترَكَهم، فلَم يُقَصِّر يُونسُ عليه السّلامُ في تبليغ الرِّسالةِ ولا في الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عنِ المُنكَرِ إلّا أنّه لَمّا غضِبَ على قَومِه ترَكَهُم بِلا إذنٍ بوحيٍ في سَفَرِه، فرَكِبَ سفينةً مع أهلِها فلَم تَجرِ بهِم فخافوا أنْ

تغرَق ورأَوا أنها لا تَسلَم إلّا بِطَرحِ شَخصٍ في الماء، فاقتَرَعُوا فطَلَعَتِ القُرعةُ على يُونسَ فأَلقَوه في الماء فابتَلَعَهُ الحوتُ فظَلَّ في بطن الحوتِ ثلاثةَ أيّامٍ، ثمّ أخرَجَهُ اللهُ ولم يَنكَسِر ليونُسَ عَظمٌ إنّما كان مُستَوِي الجِسم مِنَ الضَّعفِ والألَمِ، ثمّ أعادَه اللهُ إلى صِحّتِه فخرج إلى الشاطِئ، وكان يقول في بَطن الحُوت مُتضَرّعًا إلى الله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] معناه يا ربي أنا ظلَمتُ نَفسِي أُسَبِّحُك أي أُنَزِّهُك عن النَّقص والظُّلْم، كان يُرَدِّد هذا فأنجاهُ اللهُ تعالَى، فلَيس معنَى ﴿كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الظُّلمَ المعروفَ بأنّه كَبيرةٌ كأَكْلِ حَقِّ إنسانٍ ونَحوِ ذلك، إنّما معناه أخطأتُ وظلَمتُ نَفسي، وإنّما قال ذلك في مَعرِض التّذَلُّل والتّضَرُّع لله، ونظير ذلك قول ءادمَ عليهِ السّلامُ: ﴿ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ أي أَخطَأْنا.

٢٧- أَمَرْتُــكَ الخَــيْرَ لَكِــنْ مَــا ائْتَمَــرْتُ بِــهِ
وَمَــا اسْــتَقَمْتُ فَمَــا قَــوْلِي لَــكَ اسْــتَقِمِ

<u>اللُّغة</u>: (**ما ائتَمَرْتَ**): لَم تَمتَثِل. و(**اسْتَقِم**): اعتَدِل.

<u>المعنَى</u>: (**أَمَرْتُكَ**) أنْ تفعلَ (**الخَيْرَ**) وَ(**لَكِنّـ**)ـي (**مَا ائْتَمَرْت**) أنا (**بِهِ**) ولا عَمِلتُ بمُقتضَى أمرِي لكَ (**وَمَا اسْتَقَمْتُ**) بإقامةِ نَفسِي على الاستقامةِ (**فَمَا**) مَدَى تأثيرِ (**قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ**) في شأنِ استقامَتِي إنْ كُنتُ ءامُرُكَ ولا أستقيمُ، فأنا مُنتَفِعٌ بالثّوابِ مِن حيثُ إنّي ءامُرُ غيرِي المعروفِ وأنهاهُ عنِ المُنكَرِ، لكنّي ءامُرُ بالخير ولا ءاتيهِ وأنهَى عنِ الشّرِّ وءاتِيه، فالاستِقامةُ الحَقّةُ هي باتّباعِ الشّرعِ اتّباعًا كامِلًا، قال تعالَى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هُود: ١١٢].

<u>اللامعة</u>: قال اللهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصَّفّ: ٢-٣]، وعَن أُسامةَ بنِ زَيدٍ رضي الله عنهُ عنِ النّبيّ ﷺ قال: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ**

فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[1] فِي النَّارِ، فَيَدُورُ[2] كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ[3]، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ[4] عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ ءامُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ ءاتِيْهِ[5]، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَءاتِيْهِ».

٢٨- وَلَا تَـــــزَوَّدْتُ قَبْـــــلَ الْمَـــــوْتِ نَافِلَـــــةً
وَلَـــمْ أُصَـــلِّ سِـــوَى فَـــرْضٍ وَلَـــمْ أَصُـــمِ

اللُّغة: (نافِلةً): أي طاعةً مِن غير الفريضة.

---

(١) أي تَخرُجُ أمعاؤُهُ سريعًا بأَنْ تَنْصَبَّ في جَوفِه وتَخْرُجَ مِن دُبُرِه.

(٢) أي في أقتابه وأقصابه.

(٣) أي كَدَوَرانِه حَول رَحاه.

(٤) أي مِنَ الفَسَقةِ.

(٥) أي لا أفعَلُه.

المعنَى: (**وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ**) نُزولِ (**الْمَوْتِ**) بِي زادًا (**نَافِلَةً**) أي تطوُّعًا مِن غيرِ الفَريضةِ (**وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ**) سَوى الصّومِ المفرُوضِ.

اللامعة: مَن ترَك النوافل كسلًا وقد أدَّى ما أوجَب اللهُ عليه مِن الفرائِض وانتهَى عمّا حَرَّم اللهُ كان مِن المتَّقِين الناجِين إن مات على تلك الحال، وأمّا ما جاء في الحديث المرفوع: «**مَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي**» فقد قال فيه الحافظ العسقلاني: "المراد بالسُّنّة الطّريقةُ[1] لا الّتي تُقابِل الفرض، والرَّغبةُ عن الشيء الإعراضُ عنه إلى غيره، والمرادُ مَن ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مِنّي"، ثم قال: "وطريقةُ النبيّ ﷺ الحنيفية السَّمحَةُ"، اهـ.

وقال الحافظُ النووي في «شَرحِه على مُسلِم»: "معناه مَن تَركها إعراضًا عنها غيرَ معتَقِدٍ لها على ما هي عليه" اهـ، فمِن هُنا يُعلَم فسادُ معاني الأحاديثِ الثلاثة المكذوبة على النبيّ ﷺ، فالأوّل قولهم: "مَن لَم يُصَلِّ سُنَّتِي فَلَيسَ مِن أُمَّتِي"، والثاني قولهم: "مَن لَم يُصَلِّ سُنَّتِي يَأْتِي يَومَ القِيَامَةِ

(١) أي الشَّرِيعةِ.

وَلَيسَ عَلَى وَجهِهِ قِطعَةُ لَحَمٍ"، والثالثُ قولهم: "مَن لَم يُصَلِّ سُنَّتِي لَم تَنَلهُ شَفَاعَتِي"، ألا لعنة الله على من افترى ذلك على النبيّ ﷺ، فواضِعُ هذه الأحاديث المكذوبة ملعونٌ مُكَذِّبٌ لشريعة رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ أنّ الإنسان لا يُعذَّب على تَرك شىء من النوافل سواءٌ كانت صلواتٍ أو غير ذلك طالما أنّها نفلٌ في حقِّ الإنسان، ثُمّ كيفَ يُدَّعى أنّ النَّبِيّ ﷺ قال "فلَيسَ مِن أُمَّتِي" وهو ﷺ القائلُ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنَ أُمَّتِي**» رَواهُ ابنُ حِبَّانَ.

وقد جاء عنه ﷺ فيما رواه البخاري مِن حديث مَالِكٍ عَن عَمِّهِ أَبِي سُهَيلِ بنِ مَالِكٍ عَن أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ طَلحَةَ بنَ عُبَيدِ الله يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسأَلُهُ عَن الإِسلَامِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَمسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَومِ وَاللَّيلَةِ**»، فَقَالَ: هَل عَلَيَّ غَيرُهَا؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَن تَطَّوَّعَ**»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَصِيَامُ شَهرِ رَمَضَانَ**»، قَالَ: هَل عَلَيَّ غَيرُهُ؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَن تَطَّوَّعَ**»، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ فقَالَ: هَل عَلَيَّ غَيرُهَا؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَن تَطَّوَّعَ**»، فأَدبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: "وَاللهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنقُصُ"، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفلَحَ إِنْ صَدَقَ**».

فدلَّ هذا الحديثُ على أنّه لا يجب فوقَ الخمس في اليوم والليلة شىءٌ من الصلوات وأنّ مَن أدّاها مع تأدية بقيةِ الواجبات المفروضة على الإنسان من غير الصلاة فقد أفلَح ورَبح في الدنيا والآخرة، ويَدخُل في جملة الواجبات "وجوبُ تركِ المحرَّمات".

الفصل الثالث: في مدح سيّد المرسلين محمَّد ﷺ

٢٩- ظَلَمْــتُ سُــنَّةَ مَــنْ أَحْيَــا الظَّــلَامَ إِلَى
أَنِ اشْــتَكَتْ قَــدَمَاهُ الضُّــرَّ مِــنْ وَرَمِ

اللُّغة: (**ظَلَمتُ**): نَقصتُ بمعنَى تَركتُ. و(**السُنّة**): المراد بها هنا الطّريقةُ الكاملةُ. و(**أَحْي الظَّلامَ**): قام في اللَّيل يصلّي نفلًا. و(**الضُّرَّ**): الألَم.

المعنَى: (**ظَلَمْتُ**) أي تَركتُ (**سُنَّةَ**) أي الاتبّاعَ الكامِلَ لِطريقةِ (**مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ**) اللّياليَ المظلِمةَ في الصّلاةِ النّافِلةِ مع عُلُوّ قَدرِه وارتفاع مكانَتِه

(إِلَى أَنِ) ظَهَرَ عليه التَّعبُ و**(اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّـرَّ)** أيِ الوجَعَ لا الضَّرَرَ بِسَبب ما ظَهَرَ في قدَمَيهِ **(مِنْ وَرَم)** خفِيفٍ لا إلى حَدِّ الإضرارِ بالنَّفْس، بل هو التَّوَرُّم الذي يذهَبُ مع شىءٍ مِن الراحةِ.

اللامعة: يجِبُ التّحذيرُ والحذَرَ مِنْ أن يُنسَب إلى النَّبِيّ ﷺ أنّه أَضَرَّ بِنَفسِه أثناء قيامِ اللّيلِ إلى حَدّ تَشقُّقِ القَدَمين وخُروجِ الدّمِ فهَذَا لا يَفعَلُهُ الرَّسُولُ ﷺ، حاشاهُ، بل هُو ﷺ قال: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»، فيستحيل على نَبِيّ مِن الأنبياء عليهِمُ السّلامُ أنْ يَضُرّ بِنفسِه، وقد اتَّفَقت شرائعُ الأنبياءِ على حِفظ النّفسِ.

٣٠- وَشَـــدَّ مِـــنْ سَـــغَبٍ أَحْشَـــاءَهُ وَطَـــوَى
تَحْـــتَ الحِجَـــارَةِ كَشْـــحًا مُـــتْرَفَ الأَدَمِ

اللُّغة: **(السَّغَب)**: الجُوع. و**(الكَشْح)**: ما بينَ الخاصِرة إلى الضِّلَع. و**(المُتْرَف)**: المُنَعَّم. و**(الأَدَم)**: جمعُ أَدَمةٍ وهي باطِن الجِلد الَّذِي يلي اللَّحمَ والبشرةُ ظاهِرُها.

المعنَى: **(وَشَدَّ)** أي عصَبَ ﷺ **(مِنْ)** ألَمِ **(سَغَبٍ)** أيْ جوعٍ ألَمَّ بهِ وسَطَه المُبارَكَ أيْ **(أَحْشَاءَهُ وَطَوَى)** مِن جِلدِ بَطنِه **(تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ)** ناعِمًا مِن جسَدِه الشّريفِ وهو المَوضِعُ ما بينَ الخاصِرة وأقصرِ أضلاعِ الجَنْبِ.

اللامعة: قال جابرُ بنُ عبد اللهِ رضيَ الله عنهُ: مَكَث النَّبِيُّ ﷺ وأصحابُه وهم يَحفِرُونَ الخندق ثلاثًا لم يَذُوقوا طعامًا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّ هَهُنا كُدْية مِن الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «**رُشُّوهَا بِالْمَاءِ**»، فرَشُّوها ثم جاءَ النَّبِيُّ ﷺ فأَخَذ المِعْوَل ثمّ قال: «**بِسْمِ اللهِ**»، فضرَب ثَلاثًا فصارت كَثِيبًا يُهال. قال جابر: فحانَتْ مِنِّي التِفاتَةٌ فإذَا رَسُولُ الله ﷺ: قَد شَدَّ على بَطْنِه حَجَرًا.

٣١- وَرَاوَدَتْـــهُ الجِبَـــالُ الشُّـــمُّ مِـــنْ ذَهَـــبٍ
عَـــنْ نَفْسِـــه فَأَرَاهَـــا أَيَّمَـــا شَـــمَمِ

اللُّغة: (راوَدَتْهُ): طلَبَت مِنهُ قَبولَها. و(الشَّمَم): الارتِفاع والتَّرَفُّع والاستِنكافُ.

المعنَى: (وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ) العَوالِي (مِنْ ذَهَبٍ) خالِصٍ مُراوَدةً (عَنْ نَفْسِه) تَدعُوه إلى نَفسِها، (فَـ)ـأعرَضَ ﷺ وَ(أَرَاهَا) مِنهُ (أَيَّمَا شَمَم) أيْ تَرفُّعٍ واستِغناءٍ كامِلٍ عنها.

اللامعة: كان ﷺ أزهَد الزُّهّاد في الدُّنيا، فقد كان يَنام على حصيرٍ ليس تحته غيرُه، ووِسادةٍ حَشْوُها لِيفٌ، وكان لِباسُه البُرَدَ الغَلِيظةَ، وطعامُه التَّمرَ والشَّعِيرَ، يمضي عليهِ الشَّهرُ والشَّهْرانِ ولا يُوقَد في بَيتِه نارٌ وإِنّما يَكتَفُونَ بالتَّمْرِ والماءِ، وكثيرًا ما كان يَبِيتُ طاويًا خالِيَ المَعِدة ويُصبِح صائمًا نفلًا، وكان ﷺ يَعصِبُ الحجَر على بَطْنِه مِن شِدّة الجُوع، ولَمَّا حُمِلَت إليه الأموالُ لَم يَدَّخِر منها شيئًا بل ماتَ ﷺ وَدِرْعُه مَرهونةٌ عِند يَهُودِيٍّ في ثلاثينَ صاعًا مِن شَعِير، ومِمّا يَدُلُّ على زُهدِه ءاثارٌ:

- عن عائِشةَ رضي الله عنها قالت: «ما شَبِعَ ءالُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ ثلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ».

- وعن عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلًا[1] يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ».

- عن أبي حازمٍ قال: سألتُ سَهلَ بنَ ساعِدٍ فَقُلتُ : هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ؟ فَقَالَ سَهْلٌ: «مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ[2] مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْخُلًا[3] مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ[4] فَأَكَلْنَاهُ».

- عن عَمرِو بنِ الحارِث قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَلا عَبْدًا وَلا أَمَةً إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا وَسِلاَحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً».

---

(١) أي الخبز الخالي من النّخالة.

(٢) هوَ الرَّدِيءُ مِنَ التَّمر.

(٣) بضمَّتين ويُفتح فاؤُه، هوَ ما يُنخَل به.

(٤) بتشديد الراء أي عَجَنَّاه وخَبَزْناه.

- عن عائشة قالت: دخَلَتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار فرأَتْ فِراشَ رسول الله ﷺ قَطِيفةً مَثْنِيّةً، فانطَلَقَتْ فبعَثَتْ إليَّ بفِراشٍ حَشْوُه الصُّوفُ، فدَخَل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**»، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ فُلانةُ الأنصارِيّةُ دخَلَتْ عَلَيَّ فرَأَتْ فِراشَك فذَهَبَتْ فبعَثَتْ إِلَيَّ بِهَذا، قال: «**رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ، فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**».

٣٢- وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ ... إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُوْ عَلَى العِصَمِ

<u>اللُّغة</u>: (**أَكَّدَتْ**): قَوَّتْ. و(**الضَّرُورةُ**): شِدّةُ الحاجة. و(**تَعدُو**): تتعَدَّى. و(**العِصَم**): جمع عِصمة وهي الحِفظ.

<u>المعنَى</u>: (**وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ**) ﷺ (**فِيهَا**) أي في زَخارِف الدُّنيا (**ضَرُورَتُهُ**) للحاجةِ (**إِنَّ الضَّرُورَةَ**) إذا نزَلَتْ بهِ مِن نَحوِ جُوعٍ وحاجةٍ إلى أكلٍ

وراحةِ بدَنٍ لا تَقدَحُ في نُبُوّتِه ومقامِه و(**لَا تَعْدُوْ**) اعتِداءً (**عَلَى العِصَمِ**) أي العِصمةِ، فلا تَنقَدِحُ عِصمةُ نَبِيٍّ مِن الأنبياءِ بظُهور الأعراضِ البشَرِيّةِ اللّائقةِ بحالهم عليهِ، وقد قال تعالَى خِطابًا لِنَبِيّه ﷺ: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]، أمّا الأعراضُ المُنفِّرةُ عن قَبول الدّعوة فيستحيل أن يُصابَ بِها أحَدٌ مِن الأنبياءِ.

٣٣- **وَكَيْـــفَ تَـــدْعُو إِلَى الدُّنْيَـــا ضَرُورَةُ مَـــنْ**
لَـــوْلَاهُ لَـــمْ تُخْـــرُجِ الدُّنْيَـــا مِـــنَ العَـــدَمِ

__المعنَى__: (**وَكَيْفَ تَدْعُو**)هُ ﷺ وتُحوِجُهُ (**إِلَى**) حُطامِ (**الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ**) ألَمَّت بهِ، وهو ﷺ (**مَنْ**) كانَ سبَبًا في وجودِ الدُّنيا أيْ (**لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ**) إلّا أنّها خُلِقَتْ ليَظهَرَ أنّ مُحَمَّدًا أشرفُ الخلقِ فيها.

__اللامعة__: ورَد في حديث صَحَّحَهُ بَعضُ الحُفّاظِ وضَعَّفه ءاخَرُون أنّ اللهَ تعالى قال لآدَم عليهِ السّلامُ: «**لَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**» رواه الحاكِمُ

وغيرُه، ومعناه أنّ الدُّنيا خُلِقَتْ ليَظهَرَ أنّ **مُحَمَّدًا** صَفْوتُها أي أشرَفُ الخَلْق، فيُفهَمُ مِن هذا أنّه يَصِحُّ أن يقال: "إنّ **مُحَمَّدًا** هو سبَبُ وُجودِ الدُّنيا" وهذا تَشرِيفٌ.

٣٤- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَـوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـيْنِ وَالفَـرِيقَيْنِ مِـنْ عُـرْبٍ وَمِـنْ عَجَـمِ

اللُّغة: (**الكَوْنانِ**): الدُّنيا والآخِرة. و(**الثَّقَلان**): الإنسُ والجِنُّ. و(**الفَرِيق**): الجَمعُ الكَثِير.

المعنَى: (**مُحَمَّدٌ**) ﷺ هوَ (**سَيِّدُ**) أهلِ (**الكَوْنَيْنِ**) الدُّنيا والآخِرةِ (**وَ**)سيّدُ (**الثَّقَلَيْنِ**) الإنسِ والجِنّ (**وَ**)سيّدُ (**الفَرِيقَيْنِ**) أي سيّد مَن كانَ (**مِنْ عُرْبٍ**) أي مِنَ العَرَبِ (**وَ**)مَن كانَ (**مِنْ عَجَمِ**)، فقد قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

اللامعة: اتَّفقتِ الأُمّة على أنّ سيِّدَنا محمَّدًا ﷺ هو أفضلُ خلقِ الله، وفي ذلك أدِلّةٌ كثيرةٌ، وهو الّذي عليه الإجماع، فقد قال أحمدُ المَقَّرِيُّ الأشعَرِيُّ في منظومَتِه «إضاءةِ الدُّجُنّة»:

وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ أَنَّ المُصْطَفَى ۞۞۞ أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ وَالخُلْفُ انْتَفَى

وقال ابن المُلَقِّن في «التّوضيح» وابن بَطّالٍ في «شَرحِه على البُخاري»: "لأنّ الأُمّة أجمَعَت على أنّ النّبيّ محمَّدًا ﷺ أفضلُ البَشَر" اهـ، ولا يسَع هذا المَقامَ ذِكرُ سائر العُلماءِ الّذين نقَلوا الاتّفاق على أنّ النّبيّ محمَّدًا ﷺ أفضلُ البَشَر.

٣٥- نَبِيُّنَـــا الآمِـــرُ النَّـــاهِيْ فَـــلَا أَحَـــدُ
أَبَـــرَّ فِي قَـــوْلِ «لَا» مِنْـــهُ وَلَا «نَعَـــمِ»

اللُّغة: (أبَرُّ): أصدَقُ، والبِرُّ الخَير.

المعنَى: (**نَبِيُّنَا**) محمّد ﷺ هو (**الآمِرُ**) بالمعروفِ (**النَّاهِيْ**) عنِ المُنكَر كسائرِ إخوانِه مِن النّبيّين، (**فَلَا أَحَدٌ أَبَرَّ**) أي أصدَقَ (**فِي قَوْلِ «لَا» مِنْهُ**) ﷺ فليسَ يُداهِنُ في قولِ الحَقِّ ولا يُنافِقُ حاشاهُ، وهو مع شِدّتِه في قولِ الحَقِّ إلّا أنّه ألْطَفُ النّاس وألينُهم جانِبًا وعِشرةً، (**وَلَا**) أحدَ أصدَقَ مِنهُ ﷺ في قولِ («**نَعَم**») ومِصداقُ ذلك كُلّه قولُه ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»، كيفَ لا وقد أثنَى عليهِ رَبُّه ومدَحَ أيَّما مَدحٍ فأنزَلَ في شأنِ خُلُقِ النّبِيّ قُرءانًا يُتلَى، قال تعَالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

اللامعة: يُقال عنِ النّبيّ ﷺ الآمرُ الناهي أي المبَلِّغُ عن الله في الأمرِ والنّهيِ، فهو ﷺ يأمر بما أَمَر الله بهِ ويَنهَى عمّا نهى الله عنهُ، فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧]، وكذلك يجوزُ أن يُطلَق عليه ﷺ لفظَ "الشّارِع" مجازًا لأنّ هو المُبَيِّنُ للخَلقِ أحكامَ الشَّرعِ عنِ الله تعالى.

٣٦- هُــوَ الحَبِيــبُ الَّذِي تُــرْجَى شَــفَاعَتُهُ

لِـــكُلِّ هَـــوْلٍ مِـــنَ الأَهْـــوَالِ مُقْـــتَحَمِ

اللُّغة: (**تُرجَى**): تُؤمَّلُ. و(**الهَوْل**): المَخافة. و(**الاقتِحامُ**): الوقوعُ في الشِّدَّة بَغتةً.

المعنَى: (**هُوَ**) ﷺ (**الحَبِيبُ**) للهِ والمَحبوبُ (**الَّذِي تُرْجَى**) أي تُؤَمَّلُ (**شَفَاعَتُهُ**) يومَ القِيامةِ (**لِكُلِّ هَوْلٍ**) أيْ أمرٍ مُخَوِّفٍ مُفزِّعٍ (**مِنَ الأَهْوَالِ**) حيثُ يوَقِعُ الإنسانُ نفسَه في هذا الهَولِ الـ(**مُقْتَحَمِ**) بفتحِ الحاء أي الّذي يَقتَحِم فيه الخَلقُ، أو هو "**مُقتَحِمِ**" بكسرِ الحاء على الفاعليّة بمعنَى البَلِيّةِ الدّاخِلة علَيهِم اقتِحامًا.

اللامعة: جاء في الحديث الصحيحِ مرفوعًا: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» رَواهُ ابنُ حِبَّانَ، فمَن كَانَ مِن غير أهل الكبائر فلَيسَ بِحاجةٍ للشّفاعة للإنقاذِ مِنَ العذاب، والشفاعةُ يوم القيامة تكون لبعض أهل الكبائر مِن المُسلِمِينَ قبل دخولهم النّارَ ولِبَعضٍ بعد دخولهم قبل أن تَمْضِي المُدّة التي يَستحقونّها بمعاصِيهم، ولا تكونُ للكُفّار لأنّ الله

تعالى قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وكذلك لا يحتاجُ للشَّفاعة الَّذِين ماتوا وهم تائِبُون، ومع هذا يقول بعضُ العُلماء: إنّ للرَّسولِ ﷺ شَفاعاتٍ أُخرَى.

٣٧- دَعَا إِلَى اللهِ فالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

اللُّغة: **(الاستِمْساك)**: الاعتِصام. و**(الحَبلُ)**: السَّبَب. و**(المُنْفصِم)**: المُنْقَطِع.

المعنَى: **(دَعَا)** رسولُ اللهِ ﷺ الإنسَ والجِنّ **(إِلَى)** الإسلامِ دِين **(اللهِ)** الّذي رَضِيَهُ لِعبادِه وأمرَهَمُ باتِّباعهِ **(فالمُسْتَمْسِكُونَ)** أيِ المُعتَصِمون **(بِهِ)** أي بالنّبِيّ ﷺ فيما دَعاهُم إليه إنّما هُم **(مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ)** أي بسَببٍ مُتّصِلٍ **(غَيْرِ مُنْفَصِمِ)** أي غيرِ مُنقطِعٍ، بل النّجاةُ بالاعتصامِ بذلِكَ.

اللامعة: قال الله تعالَى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ أي تَمسَّكوا بدِين الإسلام ولا تتركوه واعمَلوا بأحكامِه وتَعالِيمِه، وقال عَزَّ مِنْ قائِلٍ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ أيِ الشّيطانِ ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي الحبلِ الوَثيقِ المُحكَم المأمونِ الّذي لا انقِطاع لهُ.

٣٨- فَـــاقَ النَّبِيِّـــينَ فِي خَلْـــقٍ وَفِي خُلُـــقٍ
وَلَـــمْ يُـــدَانُوهُ فِي عِلْـــمٍ وَلَا كَـــرَمِ

اللُّغة: **(فاقَ)**: عَلَا. و**(الخَلْق)**: الخِلْقة أي الصُّورة الظَّاهِرة. و**(الخُلُق)**: السَّجِيّةُ والطَّبِيعة. و**(يُدانُوه)**: يُقارِبُوه.

المعنَى: **(فَاقَ)** النّبِيُّ في دَرَجتِه **(النَّبِيِّينَ)** وعلَا عليهِم في المَنزلةِ **(فِي خَلْقٍ)** أي أوصافِهِ الخَلْقِيّة **(وَفِي خُلُقٍ)** أي أوصافِهِ الخُلُقِيّةِ **(وَلَمْ يُدَانُوهُ)** أي لم يُقارِبوه **(فِي عِلْمٍ)** بل عِلمُه في الدِّينِ أكثرُ مِن عِلمهِم **(وَلَا)** قارَبوُه

في (**كَرَمِ**) أوصافِهِ ﷺ مع أنّ الأنبياءِ عليهمُ السّلامُ أعلَمُ النّاسِ باللهِ وأخشاهُم له وأكرمُ النّاسِ خُلُقًا وأكمَلُهُم وأحسَنُهُم صُورةً، فقد رَوى التِرمِذيُّ في «الشّمائلِ» وغيرِهِ مِن حديث أنَسٍ مرفوعًا: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحَسَنُهُم وَجْهًا وأَحْسَنُهُم صَوْتًا**».

اللامعة: ورَدَت ءاثارٌ كثيرةٌ تَدُلُّ على تفضيل النّبِيّ محمَّد ﷺ على إخوانِه مِن النبيّين، مِنها:

- حديث الإسراء مرفوعًا وفيه: «**ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِيَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُم**» رواهُ النَّسائيُّ.
- وحديث أنَسٍ مرفوعًا وفيه قَولُ جِبريلَ للبُراقِ: «**فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ**» رواهُ التّرمذيُّ.
- وحديث أبي سَعيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه مرفوعًا: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ ءادَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ ءادَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**».

- وحديث عُمرَ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا**» رواهُ ابنُ أبي شَيبةَ.
- وحديث أبي هُرَيرةَ مَوقوفًا: «**سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ خَمْسَةٌ وَمُحَمَّدٌ ﷺ سَيِّدُ الْخَمْسَةِ**» رواهُ الحاكمُ في «المُستدرَك» وقال: "هذا حدِيثٌ صحِيحُ الإِسنادِ وإِن كان موقُوفًا على أَبِي هُريرة" اهـ.
- وحديثُ أنسٍ مرفوعًا: «**وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواهُ البَيهقيّ وأحمدُ وغيرُهما.
- وحديثُ أبي أيّوبَ الأنصاريّ مرفوعًا أنّ النّبِيَّ ﷺ قال لِفاطِمةَ: «**نَبِيُّنَا**[1] **خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ أَبُوكِ**».

٣٩- وَكُلُّهُــــمْ مِــــنْ رَسُــــولِ اللهِ مُلْــــتَمِسُ
غَرْفًــا مِــنَ البَحْــرِ أَوْ رَشْــفًا مِــنَ الدِّيَــمِ

(١) قال شيخُنا الإمام الهرريُّ رضي الله عنه: "هوَ نَبِيُّ نَفْسِه وَأُمَّتِهِ" اهـ.

اللُّغة: (**مُلْتَمِسٌ**): طالِبٌ وءاخِذٌ. و(**الرَّشْف**): المَصُّ. و(**الدِّيَم**): جمع دِيمَةٍ وهي المَطَر الدائِم.

المعنَى: (**وَكُلُّهُمْ**) يعني كُلَّ النَّبِيّينَ ءاخِذٌ بتلطُّفٍ (**مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ**) أيْ (**مُلْتَمِسٌ**) مِمّا أُوتِيَهُ مِن العِلمِ والحِكمةِ (**غَرْفًا مِنَ البَحْرِ**) أي مِن بَحرِ عِلمِه (**أَوْ رَشْفًا**) أي مَصًّا (**مِنَ الدِّيَمِ**) أي مِن غَزِير حِلمِه.

اللامعة: جاء في قِصّةِ مَولِدِ النّبِيّ محمَّد ﷺ مِمّا أَلَّفَهُ بعضُ العُلماءِ[1]: "وإذا مُنادٍ ينادي[2]: طُوفوا به مشارِقَ الأرضِ ومغاربَها، واعرِضُوه على موالِدِ الأنبياء[3]، وأعطُوه صَفوةَ ءادم ومعرِفةَ شِيثٍ ورِقّةَ نُوحٍ وخُلّةَ إبراهيمَ ورِضَا إسحاقَ وفَصاحةَ إسماعيلَ وحِكمةَ لُقمانَ وصَبْرَ أَيُّوبَ

---

(١) قال الشّهابُ القَسطَلّانيُّ في «المواهِب اللَّدُنِّيّةِ بِالمِنَحِ المُحَمَّدِيّةِ»: "وروى الخطيب البغداديُّ بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى إلخ"، ثُمّ ذَكَر الخَبَر.

(٢) أي عِندَ وِلادَةِ النّبِيّ محمَّد ﷺ.

(٣) أي الأماكن التي وُلِد فيها الأنبياء.

ونَغْمةَ داودَ وقُوّةَ مُوسَى وزُهْد عِيسَى وفَهْم سُلَيمانَ وطِبّ دَانِيالَ ووَقارَ إِلياسَ وعِصمةَ يَحيَى وَقَبولَ زكرِيّا، واغمِسُوه في أخلاقِ النّبِيّين كُلِّهم، وأَخفُوه عن أَعيُنِ العالَمِينَ، فهو حَبِيبُ رَبِّ العالَمِينَ" اه.

٤٠- وَواقِفُـــــونَ لَدَيْـــــهِ عِنْـــــدَ حَـــــدِّهِمِ

مِـنْ نُقطَـةِ العِلْـمِ أَوْ مِـنْ شَـكْلَةِ الحِكَـمِ

<u>اللُّغة</u>: (**الحَدُّ**): هنا الغايةُ. و(**الشَّكْلة**): حرَكةُ الإعراب. و(**الحِكَم**): جَمع حِكْمة وهي وَضعُ الأشياء في مَواضِعها.

<u>المعنَى</u>: (**وَ**)كُلُّ الأنبياءِ علَيهِمُ السّلامُ (**واقِفُونَ لَدَيْهِ**) أي عِندَ رسول الله ﷺ (**عِنْدَ حَدّهِم**) أي غايَتِهم (**مِنْ نُقطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ**) فهو ﷺ أكمَلُ الأنبياءِ عِلمًا وحِكمةً، وليس في ذلك قَدحٌ في أحدٍ مِنهُم بل التّفضيل بينَهُم بمشيئة الله تعالَى، قال عزَّ وجلّ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

اللامعة: لقَد مَنَّ اللهُ تعالَى على سيّدنا **محمَّدٍ** ﷺ بأنْ ءاتاهُ القُرءانَ الّذي فيه عِلمُ الأوَّلين والآخِرينَ، قال الله تعالَى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ورُوي عن ابن مَسعودٍ مَوقوفًا: «**مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْرَإِ الْقُرْءانَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ**» رواهُ البيهقيّ وغيرُه، فلَمّا كان الأمرُ كذلك كان النّبِيُّ **محمَّدٌ** ﷺ أعلَمَ النّبِيّين.

٤١- **فَهْـــوَ الَّذِي تَـــمَّ مَعْنَـــاهُ وَصُـــورَتُهُ**
ثُـــمَّ اصْـــطَفَاهُ حَبِيبًـــا بـــارِئُ النَّسَـــمِ

اللُّغة: (**تَمَّ**): كَمُل. (**مَعناهُ**): حالةُ باطِنِه. و(**صُورَتُه**): حالةُ ظاهِرِه. و(**اصْطَفاه**): اختارَهُ. و(**البارِئُ**): الخالِقُ. و(**النَّسَم**): جمع نَسَمة وهي الإنسانُ.

المعنَى: (**فَهْوَ**) ﷺ النّبِيُّ (**الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ**) أي خُلُقُهُ (**وَصُورَتُهُ**) أي خِلْقَتُهُ (**ثُمَّ**) أي وقَدِ (**اصْطَفَاهُ**) اختارَهُ (**حَبِيبًا**) لَهُ رَبُّه تعالَى (**بارِئُ النَّسَمِ**) أي خالِقُ الإنسانِ.

اللامعة: قالَتْ أُمُّ مَعبَدٍ الخُزاعِيّةُ في وَصفِ رَسولِ الله ﷺ: «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ[١]، أَبْلَجَ الْوَجْهِ[٢]، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ[٣]، وَلَمْ تَزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ[٤]، وَسِيمٌ[٥] قَسِيمٌ[٦]، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ[٧]، وفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ[٨]،

(١) أي حَسَنَ الوَجه.

(٢) أي مُشرِقَهُ.

(٣) هي عِظَم البطن وسَعَته.

(٤) أي ليسَ صغيرَ الرّأسِ.

(٥) المشهور بالحُسن كأنّ الحُسن صار له علامة.

(٦) جميل الوجهِ كلِّه كأنّ كُلَّ موضع منه أخذَ قِسمًا من الجمال.

(٧) شديد سواد العين مع سَعَتها.

(٨) أي طويل شَعَر الأجفانِ.

وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ[١]، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ[٢]، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ[٣]، أَزَجُّ أَقْرَنُ[٤]، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ[٥]، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُم مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلَاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ[٦]، فَصْلٌ[٧] لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ[٨]، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ[٩] خَرَزَاتُ[١٠] نُظِمْنَ، رَبْعَةٌ لَا بَائِنُ مِنْ طُولٍ وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ[١١] مِنْ قِصَرٍ».

---

(١) أي شبهُ البُحّةِ وُقُوّةٌ في الصّوتِ.

(٢) أي طويل العُنُق.

(٣) أي كثافةٌ.

(٤) مُقوَّسُهُما دقيقُهُما، وكانا متقارِبَين بينهما فراغٌ مُعتَدِلٌ.

(٥) أي الحُسن.

(٦) لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه.

(٧) أي بَيِّنٌ واضِحٌ.

(٨) أي لا قليلٌ فيه خللٌ ولا كثيرٌ مُمِلٌّ.

(٩) أي كلامَهُ.

(١٠) أي جواهرُ متعالِيةٌ ولآلِئُ مُتغاليةٌ.

(١١) أي لا تتجاوزه العَين إلى غيره.

٤٢- مُـــــنَزَّهٌ عَـــــنْ شَرِيـــكٍ فِي مَحَاسِـــنِهِ

فَجَـوهَرُ الحُسْـــنِ فِيـــهِ غَـيْرُ مُنْقَسِـــمِ

اللُّغة: (**مُنَزَّهٌ**): أي بَعِيدٌ.

المعنَى: (**مُنَزَّهٌ**) أي بعيدٌ (**عَنْ**) وجودِ (**شَرِيكٍ**) لهُ يُقاسِمُهُ (**فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوهَرُ الحُسْنِ**) الموجودُ (**فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ**) بينه وبينَ غيره، وأراد بذلك أنّه كما أنّ الجوهر الفردَ اصطلاح المتكلمين غيرُ مُنقَسِمٍ، فكمالاته ﷺ ليست منقسِمةً بينه وبينَ غيره، فهو فردٌ بينَ البشَر في كمالاته.

٤٣- دَعْ مَـــا ادَّعَتْـــهُ النَّصَـــارَى فِي نَبِـــيِّهِمُ

وَاحْكُمْ بِمَـا شِـئْتَ مَـدْحًا فِيـهِ وَاحْـتَكِمِ

اللُّغة: (**دَعْ**): اترُكْ. و(**احْكم**): اقْضِ. و(**احْتَكِم**): احكُم في الأمرِ بما تَرَاه.

المعنَى: (**دَعْ**) أيِ اترُكْ (**مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ**) الذي ينتسبون إليه قولًا بلا عملٍ وهو عيسَى بنُ مَريمَ عليهِ السّلامُ، فإنّهم قالوا فيه: "هو ابنُ الله"، وما انتسابهم إلى عيسى عليه السّلامُ إلّا بُهتانٌ فعيسى بريءٌ منهم كما الإنجيل الأصليّ بريءٌ منهم (**وَاحْكُمْ**) أيِ اقْضِ للنبيّ **محمَّد** ﷺ بعدَ ذلك (**بِمَا شِئْتَ**) مِن أوصاف الكمال اللائقةِ بجَلالِ قَدْرِهِ (**مَدْحًا فِيهِ**) بلا غُلُوٍّ، وخاصِم في إثباتِ فضائِله مَن شِئتَ مِن الخُصَماءِ (**وَاحْتَكِمِ**) أي اقضِ له بعدَ ذلك مدحًا مراعيًا فيه الحِكمةَ وذلك بمراعاة الشَّرعِ الشَّرِيف، فإنَّ الحِكمةَ كُلَّ الحِكمة في اتّباعِهِ.

اللامعة: إنّ فضلَ النَّبِيّ ﷺ ثابتٌ في القرءان الكريم والأحاديثِ الصّحيحةِ وأنّه في غِنًى عَمّا يُقال فيه مِن الكَذِب والغُلُوّ، وقد قال ﷺ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» أي لا تُفرِطوا في مَدحِي حتى تُجاوِزُوا حَدَّ الشَّرع

فتقولوا كما قالَتِ النَّصارَى في عيسى ابنِ مريم أي في دَعواهُم فيه الإِلٰهِيَّةَ.

فلا عُذرَ لهؤلاء الكذّابين الوَضّاعين الَّذِين يقصِدُون مدحَ النَّبِيّ ﷺ فيُرَكِّبُون الأحاديثَ المكذوبةَ والأسانيدَ المختلَقَةَ وهم غافِلُون عَمّا ارتَكَبوا مِن الإثمِ العظيمِ الثّابتِ في قولِ النَّبِيّ ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» وغفَلُوا عَن قول اللهِ عَزّ وجَلّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٤٤- وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

اللُّغة: (**الشَّرَف**): الرِّفْعة. و(**القَدْر**): المَنْزِلة. و(**العِظَم**): التَّعظيم.

المعنَى: (**وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ**) الشّريفةِ (**مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ**) وعُلُوِّ قَدرٍ (**وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ**) العَظيمِ (**مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ**) مِن التّعظيمِ والرِّفعةِ.

٤٥- فَـــإِنَّ فَضْــــلَ رَسُــــولِ اللهِ لَـــيْسَ لَهُ
حَــــدٌّ فَيُعْــــرِبَ عَنْـــهُ نـــاطِقٌ بِفَـــمِ

اللُّغة: (**يُعْرِب**): يَفْصِح.

المعنَى: (**فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ**) يُحصِيهِ إلّا اللهُ تعالَى، فلا أحدَ مِن المخلوقاتِ يَقدِرُ أَنْ يُحصِيَ بَركاتِهِ ومَكارمِهِ وشَمائِلِه ﷺ (**فَيُعْرِبَ**) أي يُفصِحَ (**عَنْهُ ناطِقٌ**) أي مُتكَلِّمٌ (**بِفَمِ**).

اللامعة: مِن عظيم شأنِ وفضلِ ومَقام النّبِيّ ﷺ أنّ الله تعالَى جعَلَ ذِكرَ النّبِيّ في الشّهادتَين للدُّخول في الإسلام وفي الأذان والإقامةِ للصّلاةِ وفي التشّهُّدِ في الصّلواتِ المفروضةِ والنّافلةِ، وقد أقسمَ الله تعالَى بحياتِه في القُرءان الكريم فقال عَزَّ وجلَّ: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ أيْ وحياتِكَ يا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحِجْر: ٧٢].

٤٦- لَــــوْ ناسَـــــبَتْ قَــــدْرَهُ ءَايَاتُـــــهُ عِظَمًـــــا

أَحْيَـــا اسْـــمُهُ حِـــينَ يُــدْعَى دَارِسَ الـــرِّمَمِ

اللُّغة: (**ناسَبَ**): ماثَلَ. و(**قَدْرُه**): مَبلَغُه مِنَ الرِّفعة. و(**ءاياتُهُ**): علاماتُه الدّالّةُ على عِظَم قَدْرِه. و(**يُدعَى**): يُنادَى. و(**دارِس**): ذاهِب. و(**الرِّمَم**): جَمع رِمَّةٍ وهي العَظم البالِي.

المعنَى: (**لَوْ ناسَبَتْ قَدْرَهُ ءَايَاتُهُ عِظَمًا**) أيْ لو كانت علاماتُه الَّدالّةُ على رِفعَتِه مماثِلةً لِعَظيمِ قَدرِهِ لكانَ (**أَحْيَا اسْمُهُ**) بِبرَكتِه (**حِينَ يُدْعَى**) بهِ (**دَارِسَ الرِّمَمِ**) أي مَيِّتًا مدروسَ العِظامِ الباليةِ لإحيائِهِ بنحوِ: "يا اللهُ، بمُحَمَّدٍ أَحْيِ هذا المَيِّتَ"، وهو ﷺ مع كثرة معجزاته فإنّ مقامَه أعلَى.

اللامعة: اعلَم أنّ مجرَّدَ إجابةِ دُعاءِ الدّاعِي لا يَدُلُّ على فضلِه، ثُمّ وإن كان الدّاعي ذا فضلٍ عظيمٍ فليس يدُلُّ إجابةُ دُعاهُ على أنّه أعلَى مِن كُلِّ مَن سِواهُ، فإنّ عيسى عليهِ السّلامُ أفضَلُ مِن حِزقيلَ النّبِيّ إلّا أنّ حِزقيلَ

أحيَي بإذن اللهِ جَبّانةً فيها ثمانيةُ ءالافِ مَيّتٍ ولم يَحصُل مِثلُ ذلك لعِيسَى عليهِ السّلامُ.

٤٧- لَــمْ يَمْتَحِنَّـا بِمَـا تَعْيَـا العُقُـولُ بِـهِ
حِرْصًـا عَلَيْنَـا فَلَـمْ نَرْتَـبْ وَلَـمْ نَهِـمِ

<u>اللُّغة</u>: **(الامتِحان)**: الاختِبار. و**(تَعْيا)**: تَتْعَب. و**(نَرْتَب)**: نَشُكّ. و**(هامَ)** في الأمرِ أيْ لم يَجِد له مَخرَجًا مِنهُ.

<u>المعنَى</u>: **(لَمْ يَمْتَحِنَّا)** أي لَم يَبتَلِنا **(بِمَا)** بخِطابٍ **(تَعْيَا العُقُولُ بِه)** فلا تَهتَدِي إلى المُرادِ مِنهُ **(حِرْصًا عَلَيْنَا)** فدعانا إلى الحنيفِيّة الواضحة لهِدايَتِنا، فأخَذْنا ما جاءنا به باليقينِ والاطمئِنان **(فَلَمْ نَرْتَبْ)** أيْ لَم نَشُكَّ في صِحَّتِه **(وَلَمْ نَهِمِ)** أي لَم نَحتَرْ في معناهُ.

اللامعة: كانَ النَّبِيُّ ﷺ شفيقًا على المؤمنين رحيمًا بهِم، وقد مدحَهُ الله تعالَى بقولِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوبة: ١٢٨].

فإنّ مَظاهِرَ شفقتِه ﷺ على أُمَّتِه أكثرُ مِن أنْ نُحصِيَها، ويَكفي في ذلك ما جاءَ في الأحاديثِ الصّحيحةِ أنّه ﷺ كان يَترُك بعضَ أعمالِ التَّطَوُّع، وإنْ كان يَحُثُّ علَيها، خشيةَ أنْ يُفرَضَ عليهم ذلك الفِعل إذا دَاوَموا على فِعلِه اقتداءً بهِم.

وقد أعطَى اللهُ عَزَّ وجل كلَّ نَبِيّ دعوةً وعدَ إجابَتها، فجعلَ كُلُّ نَبِيٍّ منهم صلى الله عليهم وسلم يسأَلُ مسألَتَه فأعطِيَ سُؤلَه في الدُّنيا، وأَخَّرَ نَبِيُّنَا ﷺ دَعوَته ليَجعلَها شفاعةً لأُمَّتِه لِفَضل شَفَقتِه ورَحمَتِه ورأفَتِه بأُمَّتِه، فجَزَى الله نَبِيَّنَا محَمَّدًا ﷺ أفضلَ ما جَزَى رَسولًا عَن أُمَّتِه، وبَعَثه اللهُ المَقامَ المَحمودَ الَّذِي وَعَدَه.

٤٨- أَعْيَــا الــوَرَى فَهْــمُ مَعْنَــاهُ فَلَــيْسَ يُــرَى

فِي القُــرْبِ وَالبُعْــدِ فِيــهِ غَــيْرُ مُــنْفَحِمِ

اللُّغة: (**أَعْيا**): أَعْجَز. و(**الوَرَى**): الخَلْق. و(**المُنْفَحِم**): السّاكِتُ عَجزًا عنِ المُجادَلة.

المعنَى: (**أَعْيَا**) أيْ أعجَزَ ﷺ (**الوَرَى**) أيِ الخَلْقَ (**فَهْمُ مَعْنَاهُ**) أي أعجَزَهُم مَعْنًى (**فَـ**)ـلَا يَصِل أحَدٌ مِنهُم إليهِ مَنزِلةً ولا إحاطةً بمَكارِمِهِ وبرَكاتِه و(**لَيْسَ يُرَى**) **فِي** عَينِ أحَدٍ (**فِي**) حالَتَي (**القُرْبِ وَالبُعْدِ**) مِنهُ (**فِيهِ**) وهوَ أي الرّائِيَ له (**غَيْرُ مُنْفَحِمِ**) أي غيرُ عاجِزٍ، بل لا يُبصِرُه أحَدٌ في حالَتِي القُربِ والبُعدِ منهُ إلا عجَزَ مُنفَحِمًا عن الإحاطةِ بسائر أوصافِهِ وشَمائلِهِ.

٤٩- كَالشَّــمْسِ تَظْهَــرُ لِلْعَيْنَــيْنِ مِــنْ بُعُــدٍ
صَــغِيرَةً وَتُكِــلُّ الطَّــرْفَ مِــنْ أَمَــمِ

اللُّغة: (**تُكِلُّ الطَّرْف**): تُعيِي البَصَر بمعنَى أنّها تُوقِفُه. و(**الأَمَم**): القُرْب.

المعنَى: فهو ﷺ (**كَالشَّمْسِ**) في حالَتِي القُربِ والبُعدِ (**تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ**) أي مِن بعِيدٍ (**صَغِيرَةً**) في الحَجمِ قَدرَ المِرْءاةِ (**وَ**)معَ هذا فإنّها (**تُكِلُّ الطَّرْفَ**) أي تُعيِي البَصرَ (**مِنْ أَمَمِ**) أي مِن قُربٍ لو فُرِض ذلك، لأنّها كبيرةٌ جِدًّا ولِكِبَرِها تكاد تَخطَف البَصَر وتُعمِيهِ فلا تُدرَك بكمالها للرّائي وإِنْ شُوهِدَت مِن بُعدٍ، فكَذَلِك النَّبِيُّ ﷺ لا يُدرِك الخَلقُ كُلَّ معانِيه وإنْ شاهَدوا صُورَتَهُ.

٥٠- **وَكَيْـــفَ يُـــدْرِكُ فِي الدُّنْيَـــا حَقِيقَتَـــهُ**
قَـــوْمٌ نِيَـــامٌ تَسَـــلَّوا عَنْـــهُ بِـــالحُلُمِ

اللُّغة: (**تَسَلَّ**): قَنِعَ. (**الحُلُم**): ما يَراهُ النّائمُ.

المعنَى: (**وَكَيْفَ**) أي لَيسَ (**يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ**) أي حقيقةَ معانِيهِ وبرَكاتِه (**قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوا**) أي تَمتَعَّوا برُؤيَتِه في اليقظةِ (**عَنْهُ بِالحُلُمِ**) الّذي رأوهُ فيه، فإن كان الخَلْقُ الّذينَ رأوهُ لم يُحِيطوا بخِصالِه وشَمائلِهِ

وبَرَكاتِه فكيفَ يُحِيطُ بِها مَن لَم يَرَهُ إلّا في المَنامِ، معَ أنّها للرّائيّ لهُ في المنامِ بَشرَ عظِيمةٌ.

اللامعة: مِن خصائص النّبِيّ ﷺ أنّ رُؤيَتَه في حياته ليس فيها الخاصيّةُ التي جعلها الله له بعد موته لمن رءاه في المنام تشريفًا له على غيره مِن الأنبياء، ورؤية شعرَه بعدَ وفاته فيها هذه المزِيّةُ التي لم تكن لِمَن رأى شعره في حياته وإلا لكانَ أسلَم كُلُّ مَن رءاهُ، وهذه المزية لمِنَ رأى أظفارَه الشّريفةَ بعد وفاتِه أو سَيفَه أو ثوبَه أيضًا لم تكن لها في حياته، فقد أوحَى الله إلى نَبِيّه أن يقول في حياته: «**مَنْ رَءَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ**»، فمَن رءاه في المنام فلْيَحْمَدِ الله لأنّ في ذلك ضمانًا له أنه يموت على الإيمان، أما مَن زار قبرَه مع حُسن النية والعقيدة فإنّه يُرجَى له الوفاةُ على الإيمان، وإنْ مات مؤمِنًا فإنه يَشفَعُ لَهُ ﷺ. فمن رأى النَّبِيَّ ﷺ على صفته الأصلِيّة في المنام أو على غير صفته الأصلية كلٌّ حَقٌّ، ولا بُدَّ أن يموت على الإيمان.

فمَن رأى الرسول ﷺ في المنام على هيئته الأصلية فإنه لا يعذب في القبر ولا في الآخرة، وعلى قول أكثر العلماء كذلك من رءاه على غير صورته الأصلية لا يُعَذَّب.

ونقل الحافظُ السيوطي في «التوشيح شرح الجامع الصحيح» عن بعض العلماء ما نصه: "قيل: هذا خاصٌّ برؤياه في صورته التي كان عليها، **والصواب التعميمُ**، سواءٌ رءاه على صفته المعروفة أو غيرها، قاله النووي وغيره" اهـ.

وهذه البشارة قد فهمها العلماء من حديث: «**مَنْ رَءَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ**»، أي فسيرى الرسول عند الموت يقظةً، يراهُ مُتَبَسِّمًا ناظرًا إليه مهما بَعُدَت المسافة بين مكان هذا الرائي والمدينة المنورة. فالله سبحانه وتعالى يجعل هذه الحجب الكثيفة من جِبال ووُديانٍ وصُخورٍ وأَبنِيةٍ وأشجار كالبِلَّورِ الشَّفّافِ بالنسبة لِمَن يَرَى الرسول عند الموت يقظة، فلا يخرج ﷺ من قبره في الدنيا، وهذا هو القول الراجح.

وكذلك مَن كان كافِرًا ورأى الرسول ﷺ في المنام لا بُدَّ أن يُسْلِم بعد ذلك ويموتَ على الإيمان ويرَى رسولَ اللهِ ﷺ يَقَظةً عند الموت، والدليل على

ذلك عمومُ اللفظ في حديث: «**مَنْ رَءَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ**»، كذلك قال بعضُ العلماء ومنهم المحدِّثُ الفقيه محمَّد الصالحي الشامي[١] في «سبل الهدى والرشاد» حيث قال ما نَصُّه: "وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في تعليقه على الأحاديث التي انتقاها من البخاري: هذا الحديث يَدُلُّ على أنَّ مَن رءاه ﷺ في النوم فسيراهُ في اليقظة، وهل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته أو هذا في حياته، وهل ذلك **لكُلِّ مَن رءاه مُطلَقًا** أو خاصٌّ بِمَن فيه الأهليةُ والاتِّباع[٢] لِسُنَّتِه عليه الصلاة والسلام، **فاللَّفظُ على العموم** ومَن يَدَّعي الخصوص فيه بغير **مُخَصِّص** منه ﷺ **فمُتَعَسِّفٌ**"،

---

(١) ترجم له ابن العماد في «شذرات الذهب» ونقل عن الشعراني في ذيل طبقاته قال: "كان عالما مفنّنًا في العلوم، وألّف في السيرة النبوية التي جمعها من ألف كتاب، وأقبل الناس على كتابتها، ومشى فيها على أنموذج لم يسبقه إليه أحد، وكان عزبًا لم يتزوج قط، وإذا قدم عليه الضيف يعلق القدر ويطبخ له. وكان حلو المنطق مهيب النظر كثير الصيام والقيام، بت عنده الليالي فما كنت أراه ينام إلا قليلًا، وكان إذا مات أحد من طلبة العلم وخلّف أولادًا قاصرين وله وظائف، يذهب إلى القاضي ويتقرر فيها ويباشرها ويعطي معلومها للأيتام حتى يصلحوا للمباشرة. وكان لا يقبل من مال الولاة وأعوانهم شيئًا، ولا يأكل من طعامهم".

(٢) أي الكامِلُ.

ثم قال الصالحي: "قال الشيخ[1]: وقوله: إنّ ذلك عامٌّ وليس بخاصٍّ بمن فيه الأهلية والاتّباعُ[2] لسنته عليه الصلاة والسلام: مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مَرّةً واحدة تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يُخلَف، وأكثرُ ما يقع ذلك للعامّة قُبَيل الموت عند الاحتضار فلا تخرجُ رُوحُه مِن جسده حتى يَراهُ" انتهى كلام الشيخِ الصالحِيّ رحمهُ اللهُ.

وقال بدر الدين المخزومي السكندري المالكي المعروف بابن الدَّمامِيني (ت ٨٢٧هـ) سبط الإمام ناصر الدين بن المنير السكندري في «مصابيح الجامع» ما نصه: "**ففيه بشارة لرائيه في المنام بأنه يموت على الإسلام وكفى بها بشارة**" اهـ.

وقال الفقيه شمس الدين محمد بن عمر السَّفِيريُّ الشافعي في شرحه على البخاري ما نصه: "**والصحيح حمل الحديث على ظاهره بأن يقال: إنَّ كلَّ مَن رأى النبيَّ في منامه لا بُدَّ وأن يراه في اليقظة بعَيْنَيْ رأسه، وهو عامٌّ**

---

(١) يعني الجلال السيوطي.

(٢) أي الكامِلُ.

شامل لكل من رءاه في النوم في حياته وبعد مماته، وشامل لِمَن فيه الأهليةُ كالخواصّ ومَن لا أهليةَ له كالعَوامّ" اهـ.

وقال ملا عليّ القاري في «أشرف الوسائل» ما نصه: "**فيكون إشارة إلى بشارة الرائي له عليه السلام بحصول مَوتِه على الإسلام ووصولِه إلى رؤيته في دار المقام**" اهـ.

فإن قيل: كثير من الخلق رأوه ﷺ في حياته ولم يُسلِموا، ومنهم مَن أسلَمَ ثُمّ ارتَدَّ فكيف تقولون: مَن رءاه في المنام بعد موته يموت على الإيمان؟

قلنا: الله يفعل ما يشاء، فهو تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقول في حياته: «**مَنْ رَءَانِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ**»، والخصائصُ لا تَدخل تحت القياس، وقد نَصَّ على ذلك كثيرٌ مِن الأصوليّين منهم ابنُ المُلَقِّن في «غاية السُّول في خصائصِ الرَّسول» حيث قال: "فإنَّ الأَقْيِسَة لا مَجالَ لها في ذَلِك"، وعلى ذلك جرَى النَّوويُّ في «المجموع» و«الروضة» ونقله عن الجوينيّ أيضًا.

فرُؤيته ﷺ في حياته ليس فيها هذه الخاصّيّةُ التي جَعَلها الله له بعد مَوتِه لِمَن رءاهُ في المنام تشريفًا له على غيره مِن الأنبياء.

وكذلك مَن رأى سيفَ الرّسولِ بعد وفاته أو ظُفره أو ثَوبَه أو شَعَره وما كان مِن ءاثاره ولو كان مِن غيرِ مَسٍّ فإنّهُ يموت على الإيمان، فقد قال الفقيه السَّفِيرِيّ الحلَبِيّ شارح البُخارِيّ ونصه: "**فهنيئًا لِمَن رأَى ءاثارَ رسول الله ﷺ متبَرِّكًا به فإنَّ مَن رءاها فكأنَّه رأَى النَّبِيَّ ﷺ**"، وهذا مِن فقهاء الشافعية المتوفَّى سنة (٩٥٦) مِن الهِجرةِ، فدِينُ الله تعالى مَنصورٌ مُؤَيَّدٌ والحمدُ للهِ.

٥١- فَمَبْلَـــغُ العِلْـــمِ فِيــهِ أَنَّـــهُ بَشَـــرٌ
وَأَنَّـــهُ خَـــيْرُ خَلْـــقِ اللهِ كُلِّهِـــمِ

اللُّغة: **(مَبْلَغُ العِلْم)**: غايَتُه.

المعنَى: **(فَمَبْلَغُ العِلْمِ)** أي غايةُ ما يَصِل إليه عِلمُ الخَلْق **(فِيهِ)** على الجُملة هو **(أَنَّهُ)** ﷺ **(بَشَرٌ)** مِنَ النّاسِ **(وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ)** أي مَخلوقاتِهِ **(كُلِّهِمِ)** فلا يَفضلُهُ إنسٌ ولا جِنٌّ ولا مَلَكٌ كريمٌ.

اللامعة: لقَد أخبرَ الله تعالَى في القُرءانِ الكريمِ أنّ رسولَه **محمَّدًا** ﷺ مِن البَشَرِ وليس جِسمًا لطيفًا كالنُّور والهواءِ كما يدَّعِي بعضُ الجهَلةِ المُغالِين، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠].

فمِمَّا كذبُوا عليه ﷺ حديثٌ موضوعٌ نصُّه: «كُنْتُ نَبِيًّا وَءَادَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ» فلا أصلَ له بهذا اللّفظ، وكذلك حديثُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَلَا ءَادَمُ وَلَا مَاءٌ وَلَا طِيْنٌ» فلا أصلَ له، نَصَّ على ذلك الحافظ السُّيوطي في «الدُّرَر المنتَثِرة».

وقد وردت أحاديثُ أخرَى باطلةٌ في الكلام على أنّ النَّبِيَّ خُلِق مِن نُورٍ وأنّ هذا النُّور هو أوَّلُ المخلوقات، ومِن ذلك ما نُسِب رواية إلى الحافظ عَبدِ الرّزَّاق - ولم يثبت عنه - ويَنْسُبون الحديث إلى جابرٍ رضي الله عنه أنه قال: "قلتُ: يا رسول الله، بأبي أنتَ وأُمِّي، أخبِرني عن أوَّلِ شيءٍ خَلَقهُ الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابِرُ، إنَّ الله تعالى خَلَق قبل الأشياء نُورَ نَبِيّكَ مِن نُورِهِ، فجعَلَ ذلك النُّورُ يَدُورُ بالقُدرةِ حيثُ شاء» إلى ءاخِرِ الحديث المكذوبِ، فإنّ له بَقِيّةً طويلةً أكثر مِن هذه بأضعافٍ.

فنقول وبالله نستعين:

- عَزْوُه إلى عبد الرزاق خطأٌ لأنه لا يوجد في مُصَنَّفِه ولا جامِعِه ولا تفسِيرِه، فقد ركَّب له واضِعُوه إسنادًا ذكَرُوا فيه أنَّ عبدَ الرّزّاق رواه من طَريق ابن المُنكَدِر عن جابِرٍ، وهذا كذِبٌ يأثَمُ علَيه فاعِلُه، ولعلَّهم اختاروا عبد الرّزّاق لأنّ قَليلًا مَن يَحفَظُ مُسْنَده، وغفَلُوا عن الأدِلّة الظاهرة في تكذيبِ ما افتَرَوه، وهذا إنْ دَلَّ على شىء فهو على جَهلِهم يَدُلُّ.

- قال الحافظ السُّيوطي في «الحاوِي للفتاوِي» عن هذا الحديث: "ليس له إسنادٌ يُعتمَد عليه" اهـ.

- ثُمّ الحديثُ مُنْكَرٌ موضوعٌ لا أصلَ له في شىءٍ مِن كُتُب السُّنّة مهما فَتَّشَ المرءُ عنه.

- لا نُنكِرُ كونَه ﷺ نورًا بالمعنَى المَعنوِيّ لا أنّهُ مِن نُورٍ حَقِيقةً، كما سَمَّى الله تعالى القرءان المُنزلَ نُورًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النِّساء: ١٧٤] أي يُستضاء به في ظلماتِ الحَيرة، فنَوَّر اللهُ به العُقولَ والقُلوبَ.

وهذا بعض ما يكفي في إبطال هذا الحديث وإعلاله من جهة، ولنا من جهة أخرى أدِلّةٌ كثِيرةٌ في إثبات أنّ رسول الله محمَّدًا ﷺ بَشَرٌ مِن بَشَرٍ وأنّ له جسَدًا ليس نُورًا حقيقِيًّا وأنّ الماء هو أوّلُ المخلوقاتِ وليس النُّورَ، منها:

١) قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: ١١٠].

- قال الطبري في تفسيره: قل لهؤلاء المشركين يا محمَّد: إنما أنا بشر مثلكم من بني ءادم اهـ.
- وقال أبو القاسم القُشَيريّ في تفسيره: "إنَّما أنا بَشَر مِثلُكم في الصُّورة والبِنْية والذّات والخِلْقة" اهـ.
- وقال الفخر الرازي في تفسيره: "والمقصودُ أنّه لو كان مِن جِنس الملائكة لَصَعُب الأمرُ بِسَبِبه على النّاسِ على ما مَرَّ تَقريرُه في سورةِ الأنعام" اهـ. والملائكةُ خُلِقوا مِن نُورٍ كما في حديثِ عائشةَ مرفُوعًا: «**خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**» فهو إِذًا ليسَ مِن نُورٍ.

٢) قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التّوبة: ١٢٨].

- قال الزّجّاج: "معناه أنّه بَشَر مِثلُكم" اهـ.
- وقال الخازِن في تفسيره: "يعني مِن جِنْسِكم، بَشَرٌ مِثلُكم" اهـ.
- وقال الفخر الرازِيّ في تفسيره: "يعني محمَّدًا ﷺ نَسَبُه مِن نَسَبِهم، وهو مِن جِنْسِهم" اهـ.
- وقال أبو البركات النَّسفِيُّ في تفسيره: "مِن جِنْسِكم ومِن نَسَبِكُم" اهـ.

٣) أخرج أحمد والحاكم والبيهقي في «الدَّلائِل» عن العِرباض بن سارِيَةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ ءادَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ**».

- قال الحافظ النُّورُ الهَيثمِيُّ في «مَجمَع الزوائد»: "رواه أحمد بأسانيد، والبزّار والطبراني بنحوه"، ثم قال: "أحدُ أسانيد أحمدَ رجاله رجالُ الصحيح غيرَ سعيد بن سُوَيد، وقد وَثَّقهُ ابنُ حِبّان" اهـ.

- بَيَّنَ هذا الحديثُ سِرَّ إعلان نبُوَّتِه في ذلك العَهدِ وأنّهُ يَرجِع إلى أمرَينِ اختصّ بِهِما:

  - أحدهما: أنه سيّد ولد ءادم.
  - والثاني: أنه خاتَم الأنبياء، وأيَّد ذلك بما ذكَره مِن بِشارة إبراهيم وعيسى به عليهم الصلاة والسلام.

٤) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

- في تفسير عبد الرزاق نفسِه عند الكلام على هذه الآية: قال: أخبرنا معمر عن قتادة قال: "كلُّ شىءٍ حيّ خُلِق مِن الماء" اهـ.
- ومثل ذلك فسَّرَها السُّيوطي في «مُعترَك الأقران في إعجازِ القُرءان».
- وقال أبو القاسم القُشَيرِيُّ في «لَطائف الإشارات»: "كلُّ شىءٍ مخلوقٍ حيّ فمِن الماء خَلْقُه" اهـ.
- وقال الحافظ محمد مرتضى الزّبيدي في «شرح الإحياء» ما نصه: "فالأصلُ أنه من الماء خُلِق كُلُّ شىءٍ حَيّ" اهـ.

- قال الحافظ العسقلاني في «فتح الباري» والبدرُ العَينِيُّ في «العُمْدة» ما نصه: "وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعدِّدة أنّ الله لم يَخلُق شيئًا مِمَّا خَلَق قبل الماء، وأما ما رواه أحمد والترمذي وصَحَّحه مِن حديث عُبادة بن الصامت مرفوعًا: "أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة" فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق" اهـ.

ومِن الكذب السَّخِيف ما يقال إنّ إحدى أُمّهاتِ المُؤمنِينَ أرادَتْ أن تَلُفَّ إزارًا على جسَدِ النَّبِيّ ﷺ فسَقَط الإزار لأَنَّ جسدَه مِن نُورٍ، فهذا لا أصل لُه، وهو باطِلٌ مكذوبٌ، بل ثَبَت أنه ﷺ كُسِرت رَباعِيَته[1] الشريفة في يوم أُحُدٍ وجُرِحَت وَجنَتُه وشَفَتُه السُّفلَى مِن باطِنها وسال الدَّمُ على وجهِ الشّريفِ، فكيف يحصل هذا في نُورٍ على زَعمِهم؟!

(١) وهي السِّنُّ التي تلي الثَّنِيّةَ مِن كل جانب، والثَّنِيّةُ إحدى السِّنَّينِ في مُقَدّمةِ الأسنان.

٥٢- **وَكُلُّ ءَايٍ أَتَى الرُّسْـــــلُ الكِـــرَامُ بِهَـــا**
فَإِنَّمَـــا اتَّصَـــلَتْ مِـــنْ نُـــورِهِ بِهِـــمِ

اللُّغة: (الآيُ): جَمع ءايةٍ وهِي العَلامةُ أوِ المُعجِزة.

المعنَى: **(وَكُلُّ ءَايٍ)** مِنَ الآياتِ الّتي **(أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ)** ﷺ **(بِهِمِ)**.

اللامعة: وَصفَ اللهُ تعالَى نَبِيَّه ﷺ في القُرءان الكريم بأنّه مُنيرٌ معنًى فقال تعالَى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الفُرقان: ٦١] أيْ كالسِّراج المُضيءِ في الظُّلْمة يُهتدَى بِه.

٥٣- **فَإِنَّـــهُ شَـــمْسُ فَضْـــلٍ هُـــمْ كَوَاكِبُهَـــا**
يُظْهِـــرْنَ أَنْوَارَهَـــا لِلنَّـــاسِ فِي الظُّلَـــمِ

اللُّغة: (**الظُّلَم**): ظُلُمات الكُفر.

المعنَى: (**فَإِنَّهُ**) ﷺ (**شَمْسٌ**) في الـ(**ـفَضْل**) والشَّرف وإخوانُهُ الأنبياءُ مِن قَبلِهِ (**هُمْ كَوَاكِبُهَا**) وهذه الكواكِبُ (**يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا**) أي أنوارَ الشَّمسِ (**لِلنَّاسِ**) فيَهدُونَهم إلى طريقِ الحَقّ (**فِي الظُّلَمِ**).

اللامعة: كما أنَّ الشَّمسَ إذا بَدَتْ لم يَبْق أَثَرٌ للكَواكِب، فكذَلِكَ شَرِيعَتُه ﷺ لَمَّا بَدَتْ نَسَختْ جميعَ الشّرائِعِ قبلَها، لأنها هي خاتِمة الشرائِع، وكُلُّ شريعةٍ لِنَبِيٍّ قبل ذلِكَ كانَ يَجِبُ العمَلُ بها قبلَ أن تأتي شريعةٌ بعدَها فتَنسَخَها.

٥٤- **أَكْـــرِمْ بِخَلْـــقِ نَـــبِيٍّ زَانَـــهُ خُلُـــقٌ**
بِالحُسْــنِ مُشْــتَمِلٌ بِالبِشْــرِ مُتَّسِــمِ

اللُّغة: (**زانَه**): زادَهُ. و(**البِشْرُ**): طَلاقةُ الوَجْه. و(**مُتَّسِم**): مُتَّصِف.

المعنَى: (**أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيّ**) أيْ ما أكرَمَ الأوصافَ الخِلْقِيّة لهذا النّبِيّ الكريمِ ﷺ وقد (**زَانَهُ**) أي زادَهُ حُسنًا (**خُلُقٌ**) شريفٌ حسَنٌ قدِ اتَّسَم بهِ نَبِيُّنا محمَّدٌ ﷺ، وإنّهُ ﷺ (**بِـ**)ـأكمَلِ أوصافِ (**الحُسْنِ مُشْتَمِلٌ**) أي يُحِيطُ الحُسنُ بِكُلِّ أوصافِه إحاطةَ اشتِمالٍ، وهو ﷺ (**بِالبِشْـرِ مُتَّسِمِ**) أي مُتَّصِفٌ ببَشاشة الوَجهِ وطلاقَتِه.

اللامعة: قالَ هِندُ بنُ أبي هالةَ يَصِفُ رسولَ الله ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا[1]، يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَطْوَلُ مِنَ الْمَرْبُوعِ،[2] وَأَقْصَرُ مِنَ الْمُشَذَّبِ[3]، عَظِيمُ الْهَامَةِ[4]، رَجِلُ الشَّعْرِ[5]، إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ[6] فَرَّقَهَا، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ

---

(١) أي عظيمًا مُعَظَّمًا.

(٢) وهو ما بين الطويل والقصير على حَدٍّ سَواء.

(٣) وهو الطويلُ البائِنُ الطُّول.

(٤) أي عظيمُ وسَطِ الرّأس.

(٥) أي كانَ في شعَرِه جُعودةٌ وتَثَنٍّ وفيه تَجرِيدٌ.

(٦) أي شعَر رأسِه.

وَفَّرَهُ[١]، أَزْهَرُ اللَّوْنِ[٢]، وَاسِعُ الْجَبِينِ[٣]، أَزَجُّ الْحَوَاجِبِ[٤] سَوَابِغَ[٥] فِي غَيْرِ قَرَنٍ[٦]، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ[٧] يُدِرُّهُ الْغَضَبُ[٨]، أَقْنَى الْعِرْنَيْنِ[٩]، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ[١٠]، يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ[١١]، كَثُّ اللِّحْيَةِ[١٢]، سَهْلُ الْخَدَّيْنِ[١٣]، ضَلِيعُ

---

(١) أي إذا جَعَل شعرَه وافِرًا وأعفاه مِن الفرق.

(٢) أي أبيضُه بَياضًا نَيِّرًا مُشرَبًا بِحُمرة.

(٣) أي واضِحُه وممتَدُّه طُولًا وعَرضًا.

(٤) أي مُقَوَّسُهما معَ طُولٍ في طَرَفَيهِما.

(٥) أي كوامِلَ، وهو حالٌ مِن الحواجبِ.

(٦) أي مِن غَيرِ اتّصالٍ بَينَ الحاجِبَينِ.

(٧) فيهِ الدَّمُ.

(٨) أي يَمتَلِئُ ويَظهَرُ.

(٩) أي في أنفهِ طُولٌ ودِقّة في أرنبَتِه مع ارتفاعٍ في وسَطه.

(١٠) يعنِي العِرنِينَ.

(١١) الشَّمَم ارتفاعُ القصَبة مع استواء أعلاها وإشرافِ الأَرْنَبةِ قليلًا.

(١٢) أي كَثِيفُها.

(١٣) أي سائلُ الخَدَّين غير مُرتَفِع الوَجْنَتَين.

الْفَمِ[1]، مُفْلَجُ الْأَسْنَانِ[2]، دَقِيقُ الْمَسْرُبَةِ[3]، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ[4]، مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ[5]، بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ[6]، سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ[7]، عَرِيضُ الصَّدْرِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ[8]، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ[9]، أَنْوَرُ الْمُتَجَرَّدِ[10]، مَوْصُولُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ[11] بِشَعْرٍ

---

(١) أي عَظِيمُه، وقيل: واسِعُه، وهو الوصفُ الّذِي يُحْمَد عِندَ العَرَب.

(٢) أي مُنْفَرِجُها، وهو خِلافُ مُتراصِّ الأسنانِ.

(٣) وهوَ الشَّعَر المستَدِقُّ ما بينَ اللَّبَّة إلى السُّرَّة.

(٤) أي كأنَّ رَقَبَتَهُ مُصَوَّرةٌ مِن عاجٍ ونَحوِه.

(٥) أي أعضاؤُه متناسِبةٌ غير مُتنافِرةٍ.

(٦) أي صلب الجِسم غير مُسترخٍ بل يُمسِك بَعضُه بعضًا لشِدَّتِه.

(٧) أي مُستَوِيان لا يَرتَفِع أحدُهما على الآخَر بل هُما مُعْتَدِلان.

(٨) أي وَسِيعُ ما بَينَ الكَتِف والعُنُق.

(٩) أي عَظِيمُ رُؤُوسِ العِظام.

(١٠) أي مُشْرِقُ الجسَدِ نَيِّرُ اللَّونِ.

(١١) وهو مَوضِع القِلادة مِنَ الصَّدر.

يَجْرِي كَالْخَطِّ[1]، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ[2]، أَشْعَرُ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ[3]، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ[4]، رَحْبُ الرَّاحَةِ[5]، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ[6]، سَائِلُ الْأَطْرَافِ[7]، خَمْصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ[8]، مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ[9] يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ[10]، إِذَا زَالَ زَالَ قَلِعًا[11]، يَخْطُو تَكَفُّؤًا[12]،

---

(١) أي يَمتَدُّ مُشابِهًا للخَطّ المُستطِيل.

(٢) أي ليس عَلَيهِما شَعَر.

(٣) أي عليهِما شعَرٌ ليس بأجرَدَ.

(٤) أي طويلُ عَظْمَي الذِّراعَينِ مِنَ اليَدَين.

(٥) أي وَسِيع الكَفّ.

(٦) أي غليظُ أصابِعِهما.

(٧) أي تامُّ الأيدِي والأَرجُل والأصابِعِ طَوِيلُهُما.

(٨) أي مُتجافِي أَخمَصِ القَدمِينِ عن الأرضِ.

(٩) أي مَلْساوَين لَيِّنَينِ لا نُتوءَ بِهِما.

(١٠) أي يَأْبَى عن قَبولِهِما وُقوفُه فيهِما لِمَلاسَتِهما.

(١١) أيْ رَفَعَ قَدَميهِ معَ تَثَبُّتٍ.

(١٢) أي يَمشِي معَ تَمايُلٍ إلى أمامِهِ لِيَرفَعه عن الأرض بكُلِّيَّتِه جُملةً واحِدةً لا معَ اهتِزازٍ وتَكَسُّرٍ.

وَيَمْشِي هَوْنًا[١]، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ[٢]، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ[٣]، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا[٤]، خَافِضُ الطَّرْفِ[٥]، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ[٦]، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ[٧] وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلَامِ».

٥٥- كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

---

(١) أي برِفْقٍ وسُكونٍ ووَقارٍ وسَكِينَةٍ.

(٢) أي سَرِيعُها بِسَعَةِ الخَطوَةِ.

(٣) أي كأنَّما يَنزِل مِن مَكانٍ مُرتَفِعٍ وذلكَ دَليلٌ علَى قُوَّةِ مَشيِهِ وتَثَبُّتِ خُطَاهُ في وَضعِه وَحَطِّهِ.

(٤) أي بكُلِّيَّتِه.

(٥) أي البَصَرِ.

(٦) وهو مُراعاةُ النَّظَر بشِقِّ العَينِ.

(٧) أي يُقَدِّمُهم أمامَهُ ويَمشِي خَلْفَهُم تواضُعًا لِرَبِّهِ وَتعلِيمًا لأَصحابِه.

اللُّغة: (**التَّرَف**): النُّعُومة أي التَّنَعُّم. و(**الشَّرَف**): الرِّفعة. و(**الهِمَم**): جَمع هِمّة وهي العَزْم القَوِيّ.

المعنَى: وهو ﷺ في صِفاتِه المُنِيفةِ ومَناقِبِهِ الشّرِيفةِ بالنِّسبةِ إلى غَيرِه مِن الخَلْقِ (**كَـ**)ـنِسبَةِ (**الزَّهْرِ**) بالنِّسبةِ إلى سائِرِ أزهارِ الأكمامِ فلا تَجِدُ (**فِي تَرَفٍ**) أي لِينٍ أَلَينَ مِنها ولا تَجِدُ في صَفاءٍ أصفَى مِنها، (**وَ**)لَمَّا كان البَدرُ تامَّ النُّورانِيّةِ في ليلةِ كَمالِه شَبَّه النّاظِمُ النَّبِيَّ ﷺ أنّهُ كـ(**ـالبَدْرِ**) الظّاهِرِ (**فِي شَرَفٍ**) مُنيرًا للأُمّة هاديًا لَهُم كظُهور البَدرِ في اللّيلةِ الظَّلماءِ (**وَ**)هوَ ﷺ كـ(**ـالبَحْرِ فِي كَرَمٍ**) أي في مَحامِدِهِ[1]، وكذلِكَ هوَ ﷺ في كُلِّ ضَربٍ مِن ضُروبِ الكَمالاتِ الّتِي أُوتِيَها (**وَ**)هو ﷺ كـ(**ـالدَّهْرِ فِي**) مَضاءِ الـ(**ـهِمَمِ**) والعَزائِم، بمعنَى أنّ هِمَّتَهُ لم تزَل في حياتِهِ ماضيةً حتّى توَفَّاهُ

(١) قال ابن مِقلاشِ الوَهْرَانِيّ: "أخذَهُ بعضُ مَن تكلَّم على القصيدةِ مأخَذًا معهُ فيه قُصورٌ فقال: إنّه مثل البَحر في الكَرَم لِعُمومِ مَنفعَتِه لأنّه يُعطِي ما لا يُعطِي غيرُه، فكأنّما حصَر التّمثيل في عَطاياه، بل قصَد النّاظِمُ أعَمَّ مِن هذا، ألا ترَى أنّ الجوَاد يُقالُ فيه لِسَعةِ جَرَيانِه بَحرٌ" ا.هـ

اللّه تعالَى، فهو مُشَبَّهٌ بالدَّهرِ مِن حيثُ إنّ الدَّهرَ يَمضِي مهَما وقعَ مِن أحداثٍ على مَرِّه.

٥٦- كَأَنَّـــــهُ وَهْـــــوَ فَـــــرْدٌ مِـــــنْ جَلَالَتِـــــهِ
فِي عَسْـــكَرٍ حِـــينَ تَلْقَـــاهُ وَفِي حَشَـــمِ

اللُّغة: (**جَلالَته**): هَيْبَته وعَظَمَته. و(**عَسكَرٌ**): جَيشٌ كَثِيرٌ. و(**الحَشَم**): الخَدَم.

المعنَى: (**كَأَنَّهُ وَهْوَ**) أي والحالةُ أنّهُ ﷺ (**فَرْدٌ**) أي إنْ لقِيتَهُ وحدَهُ ولَم تَجِدُ معهُ أحَدًا فإنّه يَبدُو لكَ (**مِنْ جَلَالَتِهِ**) أي عَظَمَتِه ﷺ كأنّه مَحشودٌ (**فِي عَسْكَرٍ**) يُحيطُونَ بهِ، فلا تُحِسُّ مِن مَهابَتِه (**حِينَ تَلْقَاهُ**) أنّهُ وَحدَهُ بل كأنّهُ في جَيشٍ (**وَفِي حَشَمِ**) أي خَدَمٍ.

٥٧- كَأَنَّمَـــا اللُّؤْلُـــؤُ المَكْنُـــونُ فِي صَـــدَفٍ

مِـــنْ مَعْـــدِنَيْ مَنْطِـــقٍ مِنْـــهُ وَمُبْتَسَـــمِ

اللُّغة: (**المَكْنُون**): المَصُون. و(**مَعْدِنُ الشَّيءِ**): محَلُّ وُجودِه. و(**المَنْطِقُ**): الكَلامُ. و(**المُبْتَسَم**): محَلُّ الابتِسام.

المعنَى: (**كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ**) أي المَصُونُ (**فِي صَدَفـ**)ـهِ أي غِشائِهِ ظاهِرٌ (**مِنْ مَعْدِنَيْ**) أي مَوضِعين مِنهُ: موضعِ (**مَنْطِقٍ**) أي نُطقٍ وهو الفَمُ، فتظهرُ أسنانُه الشّريفةُ كاللُّؤلؤِ بل أجملَ عندَ صُدورِ كَلامٍ (**مِنْهُ**) ﷺ مِن فَمِه الشّريفِ (**وَ**)موضعِ (**مُبْتَسَمِ**) أي محلِّ الابتِسامِ مِنهُ ﷺ يعني ثَغرَهُ، فتظهرُ أسنانُه الشّريفةُ حالَ التّكلُّمِ والتّبسُّمِ أحلَى مِن اللُّؤلُؤِ.

اللامعة: كان ﷺ أكثرُ ضَحِكِه التّبسُّمَ، وإذا ضَحِك فإنه يضحَكُ لا على سبيل المبالَغة الّتي يَصدُر معها مِن الضّاحِك صوتٌ مُرتَفِعٌ وتظهر لَهَاتُه. ومِمّا يَدُلُّ على أنّه ﷺ ضَحِك أكثرَ مِن مُجَرَّد التّبَسُّم الخفيفِ الذي لا تظهر معه الأسنان، ما جاء في الرِّوايات التي أثبتَتَ ظهور بعض أسنانه الشّريفةِ كالنواجذ وهو يَضحَكُ. فإنْ قيل: إنّما النواجِذُ أواخِرُ الأسنان

ولا تظهر إلا معَ الضَحِك المبالَغ فيه، فالجواب: أنّهُ وإنْ أُرِيد بالنّواجذ الأواخر من الأسنان إلا أنّ المرادَ بذلك أنه كان يضحكُ أحيانًا بهَيئةٍ فوق حالِه الغالِب مِن التّبَسُّم مِن غير أن يُراد بذلك ظُهورُ ءاخِرِ أسنانِه كما هي الهيئة المعتادةُ في القَهقهةِ، وهذا خُلاصةُ ما ذكَرهُ ابنُ الأثيرِ ونقَلَهُ عنه الحافظُ السُّيُوطي وغَيرُه.

٥٨- لَا طِيْـــبَ يَعْـــدِلُ تُرْبًـــا ضَـــمَّ أَعْظُمَـــهُ
طُـــوبَى لِمُنْتَشِـــقٍ مِنْـــهُ وَمُلْتَـــثِمِ

اللُّغة: (**يَعْدِل**): يُساوِي. (**الأَعْظُمُ**): جمعُ عَظْم. و(**طُوبى**): قَرَّ ونالَ خيرًا كثيرًا. (**مُنْتَشِق**): شامٌّ. و(**مُلْتَثِمٌ**): مُقَبِّلٌ له.

المعنَى: (**لَا طِيْبَ**) في أنواع الطِّيبِ (**يَعْدِلُ**) ويماثِلُ (**تُرْبًا**) مِن تُرابِ قَبرِ النّبِيّ ﷺ، كيفَ لا وهوُ تُربٌ (**ضَمَّ**) أي جَمَع (**أَعْظُمَهُ**) ﷺ (**طُوبَى**) وهنيئًا (**لِمُنْتَشِقٍ**) قَد شَمَّ (**مِنْهُ**) بأنفِهِ (**وَ**)طُوبَى لـ(**ـمُلْتَثِمِ**) أي مُقَبّلٍ لهذا التُّربِ مُعَفّرٍ موضِعَ اللِّثام مِنهُ بِهِ، طُوبَى ثُمّ طُوبى له.

اللامعة: روَى مُسلمٌ وابنُ حِبّانَ في «صحِيحَيهِما» واللَّفظُ لمُسلِمٍ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «**مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**».

وعنهُ رضي الله عنه قال: «**كُنَّا نَعْرِفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ بِطِيبِ رِيحِهِ**».

ورَوَى أبو يَعلَى في «مُسنَدِه» عن أنسٍ أيضًا قال: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ فِي الطَّرِيقِ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وُجِدَ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ**» قَالُوا: «**مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْيَوْمَ**».

وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: «**كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خِصَالٌ، لَمْ يَكُنْ فِي طَرِيقٍ فَيَسْلُكُهُ أَحَدٌ إِلا عَرَفَ أَنَّهُ يَسْلُكُهُ مِنْ طِيبِ عَرَقِهِ أَوْ طِيبِ عَرْفِهِ**».

ورَوَى الطَّبرانيُّ في «المُعجَم الكبير» مِن حديث وائلِ بن حُجْرٍ قَالَ: «**لَقَدْ كُنْتُ أُصَافِحُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ فَأَتَعَرَّفُهُ فِي يَدِيْ بَعْدَ ثَالِثَةٍ أَطْيَبَ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ**».

وفي «المُعجَم الكبير» أيضًا مِن حديثِ عَبّادِ بنِ العَوّامِ عن حُصينٍ قال: أخبَرَتْني أُمُّ عاصِمٍ امرأةُ عُتبةَ بنِ فَرْقَدٍ قالت: كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ نِسْوَةً نَتَطَيَّبُ ونَخْرُجُ وَهُو أطْيَبُنَا رِيحًا مَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَدَّهِنَ، فَقُلْنَا لَه: مَا هَذِه الرِّيحُ؟ قَالَ: أَخَذَنِي الشَّرَى[1] عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَكَوْتُ ذَلِك إِلَيْه: «**فَأَمَرَنِي أَنْ أَلْبَسَ عَلَيَّ ثَوْبِي** - يَعْنِي يُغَطِّي فَرْجَهُ - **ثُمَّ تَفَلَ فِي يَدِهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهَا ظَهْرِي وَبَطْنِي**».

ورَوَى الشَّيخان في «الصَّحِيحَين» وابْنا خُزيمةَ وحِبّان في «صَحِيحَيهما» والنَّسائي في «السُّنَن الكُبرَى» وغيرُهم عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: دَخَل علينا النبيُّ ﷺ فقَالَ عندنا[2] فعَرِق، وجاءت أمّي بقارورةٍ فجعلت تَسْلُتُ العَرق فيها[3]، فاستيقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟**»، قالت: هذا عرَقُك نَجعَلُه في طِيبِنا وهو مِن أطيَبِ

---

(١) بفَتح الشِّين وهي بُثورٌ صِغارٌ حُمرٌ حَكّاكةٌ مُكْرِبةٌ تَحْدُث دَفعةً غالِبًا وتَشتَدُّ لَيلًا لِبُخارٍ حارٍّ يَثُورُ في البَدَن دَفعةً، قالهُ في «القاموسِ المُحِيط».

(٢) أي نامَ للقَيلولة.

(٣) أي تَمسَحُه بتَتابُع.

الطِّيبِ. وفي روايةٍ: "وهو أطيَبُ الطِّيبِ، فهو لعَمْرِي واللهِ أطيَبُ طِيبٍ وأفضَلُهُ.

وفي هذا دليلٌ لأهل السُّنّة والجماعةِ على جوازِ التبرُّكِ بآثارِ الأنبياءِ والصّالحِينَ، فلَو كان اتّخاذُ أُمّ سُلَيمٍ ذلكَ للانتفاعِ ببرَكَتِه فيما بَعدُ ممنوعًا لكان مَنعَهَا مِنهُ ﷺ.

الفصل الرابع: في مدح مَولِده ﷺ

٥٩- أَبَــانَ مَــوْلِدُهُ عَــنْ طِيْــبِ عُنْصُــرِهِ
يَــا طِيْــبَ مُفْتَــتَحٍ مِنْــهُ ومُخْتَــتَمِ

اللُّغة: **(أَبانَ)**: كَشَف. و**(مَولِدُه)**: زَمنُ وِلادَتِه. و**(العُنصُر)**: الأصل، والمرادُ بطِيب العُنصُرِ الطّهارةُ والخُصول عن الرّذائل.

المعنَى: (**أَبَانَ**) أي كَشَفَ (**مَوْلِدُهُ**) الكريمُ ﷺ (**عَنْ طِيْبِ عُنْصُرِهِ**) أي خُلوصِ أصلِه عن الرِّيبةِ في نَسَبِه ﷺ، فقد رَوى الطّبرانيُّ في «الأوسَط» عن عَلِيّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ ءادَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي**»، وهو عِند البيهقيّ في «السُّنَن الكُبرى» بِدونِ زيادة: «**مِنْ لَدُنْ ءادَمَ**» إلخ[1].

(**يَا طِيْبَ مُفْتَتَحٍ مِنْهُ**) مِنْهُ أصلُه ﷺ (**و**)يا طِيبَ (**مُخْتَتَم**) مِنْهُ أصلُه ﷺ، وقد قال عليه السّلامُ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

اللامعة: قال الإمامُ أبو حنيفة رضي الله عنه "والِدا الرسولِ ما ماتا كافِرَين" لكن بعضُ النُّسَّاخِ حرّفوا فكتَبوا ماتا كافِرَين وهذا غلطٌ شَنِيعٌ. أمّا حديثُ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**» فهو حديثٌ معلولٌ وإنْ أخرجَهُ مُسلِمٌ، وقد سُئِلَ الحافِظُ السُّيوطيُّ عن هذا الحديثِ فقال في «الحاوي»: "الجوابُ أنّ هذه اللّفظةَ وهي قوله: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**» لم يَتَّفِق على

(١) رُوِي بأسانيدَ عديدةٍ بضعُها أخَفُّ ضَعفًا مِن الأُخرَى.

ذِكرِها الرُّواةُ، وإِنَّما ذكرها حَمّادُ بن سَلَمة عن ثابتٍ عن أنَسٍ وهي الطريقُ التي رواهُ مُسلِمٌ منها، وقد خالَفَهُ مَعمَرٌ عن ثابتٍ فلَم يَذْكُر: «**إنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**» ولكِن قال له: «**إِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ**»، وهذا اللَّفظُ لا دلالةَ فيه على والدِه ﷺ بأَمْرٍ أَلبَتَّةَ، وهو أثبَتُ مِن حيثُ الرِّوايةُ، فإنَّ مَعْمَرًا أثبَتُ مِن حَمّادٍ، فإِنَّ حَمَّادًا تُكُلِّم في حِفظِه ووَقَع في أحاديثِه مَناكِيرُ ذَكَروا أنَّ رَبِيبَهُ دَسَّهَا في كُتُبه، وكان حَمَّادٌ لا يَحْفَظُ فَحَدَّث بها فوَهِم فِيها، ومِنْ ثَمَّ لم يُخَرِّج له البُخارِيُّ شيئًا ولا خَرَّجَ له مُسلِمٌ في الأصولِ إلَّا مِن روايَتِه عَن ثابِتٍ. قال الحاكِمُ في «المَدْخَلِ»: ما خَرَّجَ مُسلِمٌ لِحَمَّادٍ في الأصول إلا مِن حَدِيثِه عن ثابِتٍ، وقد خَرَّج له في الشَّواهِد عن طائِفةٍ، وأمّا مَعْمَرٌ فلَم يُتَكَلَّم في حِفظِه ولا استُنكِرَ شَىءٌ مِن حَدِيثِه، واتَّفَق على التَّخرِيج له الشَّيخانِ فكان لَفْظُهُ أَثْبَتَ" ا.هـ.

وأما حديث: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**» فهذا الحديث أيضًا في مُسلِمٍ إلّا أنّه مُؤَوَّلٌ بأنْ يقالَ إنّما مَنَعه مِن أن يستغفرَ لها حتى لا يلتبِسَ الأمرُ على الناس الذينَ ماتَ ءاباؤُهم وأمّهاتُهم على عبادةِ الوثن فيَستغفِرُوا لآبائهم وأُمَّهاتِهمُ المُشرِكينَ، لا لأنَّ أمَّ الرسولِ كانت كافرةً، وهكذا يُرَدُّ على الذينَ أخذوا

بظاهرِ الحديث فقالوا: إنّ والدةَ الرسولِ مُشرِكةٌ لذلك ما أذِنَ له بأَنْ يَستغفِرَ لها، والدليلُ على أنّ أمهُ كانت مؤمنةً أنّها لَمَّا ولَدَتْهُ أضاءَ نورٌ حتى أبصَرَتْ قُصورَ الشّامِ، وبينَ مَكّة والشّام مسافةٌ بعيدةٌ، وهذا الحديثُ ثابتٌ رَواهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الأماليّ» وحَسَّنَه، وهذا الّذي حصَلَ لآمِنةَ يُعَدُّ كرامةً لها لأنّه أمرٌ خارِقٌ للعادَةِ.

٦٠- **يَـــومٌ تَفَـــرَّسَ فِيـــهِ الفُـــرْسُ أَنَّهُـــمُ**
قَـــدْ أُنْـــذِرُوا بِحُلُـــولِ البُـــؤْسِ والنِّقَـــمِ

اللُّغة: (**تَفَرَّسَ**): تعَرَّفَ بِالظَّنّ. و(**أُنْذِرَ**): أُوعِدَ بالشّىء المُخَوِّف. و(**البُؤْس**): الشِّدّة. و(**النِّقَم**): جَمع نِقْمة وهي العُقوبة.

المعنَى: زَمَنُ وِلادَتِه ﷺ هوَ (**يومٌ**) أي زَمَنٌ (**تَفَرَّسَ**) أي تَعَرَّفَ بِالظَّنّ (**فِيهِ الفُرْسُ**) أهلُ مملَكةِ فارِسَ (**أَنَّهُمُ قَدْ أُنْذِرُوا**) أي أُوعِدوا (**بِحُلُولِ البُؤْسِ**) علَيهِم أيِ الشِّدّةِ (**والنِّقَمِ**) أي العُقوبةِ الّتي لا مَفَرَّ لَهُم مِنها.

٦١- وَبَـــاتَ إِيــوَانُ كِسْـــرَى وَهْــوَ مُنْصَـــدِعٌ
كَشَــمْلِ أَصْـحَابِ كِسْـــرَى غَــيْرَ مُلْتَــئِمِ

اللُّغة: (إِيوَان): بِناءٌ ليس لبعضِ جَوانِبهِ جِدارٌ. و(كِسرَى): لَقَب لِكُلِّ مَلِكٍ مِن مُلوك الفُرس. (مُنْصَدِع): مُنْشَقّ. و(الشَّمْل): أمرُ القَوم واجتِماعُهم. و(مُلْتَئِم): مُجْتَمِع.

المعنَى: (وَبَاتَ) زمَنَ وِلادَتِه ﷺ (إِيوَانُ) أي بِناءُ مَلِك الفُرسِ (كِسْـرَى) المعروفُ بكِسرَى الأوّل (وَهْوَ مُنْصَدِعٌ) مُنشَقٌّ فِي صَدْعٍ طويلٍ بسبب ارتِجاجِه واضطِرابِه بحركةٍ شديدةٍ حَتَّى سُمع صوتُهَ وَسقط مِنْهُ أَربعَ عشرَة شُرفةً (كَـ)انصِداع (شَمْلِ) أي حالِ (أَصْحَابِ كِسْـرَى) حيثُ باتَ أمرُهُم (غَيْرَ مُلْتَئِمِ) بل متفرِّقٌ علَيهم.

وكِسرَى في ذلك الوقتِ هوَ أَنُوشِرُوان بنُ قَبَاذَ بنِ فَيْرُوزَ بنِ يَزْدَجِرْدَ بنِ بَهْرَامَ چور.

٦٢- **وَالنَّــــارُ خَامِــدَةُ الأَنْفَـــاسِ مِـــنْ أَسَـــفٍ**

عَلَيْــهِ وَالنَّهْــرُ سَــاهِي العَــيْنِ مِــنْ سَــدَمِ

اللُّغة: (**خامِدة**): ساكِنٌ لهَبُها. و(**الأَسَف**): شِدَّة الحُزن. (**والنَّهر**): هو هنا الفُراتُ. و(**ساهي العَينِ**): ساكِن عن الجَريانِ. و(**السَّدَم**): الحُزن.

المعنَى: (**وَالنَّارُ**) الّتي كانت تعبدُها الفُرسُ ما خدمَتْ قبل ذلك اليومِ بألفِ عامٍ، فتلكَ ليلةَ مولِدِه ﷺ (**خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ**) ساكنةٌ لا لَهَب لها، وكأنّ ذلك حصَل لها (**مِنْ أَسَفٍ**) أي حُزنٍ شديدٍ (**عَلَيْهِ**) أي على انصداعِ الإيوانِ الذي كان يَظنُّ بانِيهِ أنّه لا يَعملُ فيه فأسٌ ولا يُصدِعُه اضطرابٌ، (**وَ**)كذلك (**النَّهْرُ**) الذي كان بِهِ قِيامُهُم، فهو الليلةَ (**سَاهِي العَيْنِ**) أي ساكنٌ عن الجَريانِ (**مِنْ سَدَمٍ**) أي حُزنٍ على ما أصابَهُم.

٦٣- **وَسَــــاءَ سَــــاوَةَ أَنْ غَاضَــــتْ بُحَيْرَتُهَـــا**

وَرُدَّ وَارِدُهَـــا بِـــالغَيْظِ حِـــينَ ظَـــمِيْ

اللُّغة: (**ساوةَ**): مدينةٌ في بلاد الفُرس. و(**غاضَتْ**): ذَهَب ماؤُها في الأرض. (وارِدهُا): الّذي أتاها للسَّقي. و(**ظَمِئ**): عَطِش.

المعنَى: (**وَسَاءَ**) أي أحزَنَ أهلَ بَلدةِ (**سَاوَةَ**) وهي مدينةٌ بين الرَّيّ وهَمَذَانَ (**أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا**) أي غارَ ماءُها وذهبَ في الأرضِ (**وَرُدَّ**) عنها (**وَارِدُهَا**) أي مَن يَرِدُ البُحيرةَ ليَستقِيَ مِن مائها (**بِالغَيْظِ**) والغضَبِ لأنّه لَم يَجِد فيها ماءً يروي بِهِ عطَشَهُ (**حِينَ ظَمِيْ**) أي ظَمِئَ.

٦٤- كَــأَنَّ بِالنَّـــارِ مَـــا بِالْمَـــاءِ مِـــنْ بَلَـــلٍ
حُزْنًـــا وَبِالمَـــاءِ مَـــا بِالنَّـــارِ مِـــنْ ضَرَمِ

اللُّغة: (**ضَرَمٌ**): التِهاب.

المعنَى: (**كَأَنَّـ**)ـهُ قد صار (**بِالنَّارِ**) مِن الصِّفاتِ (**مَا**) كانَ (**بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا**) علَى ما حَلَّ بِها (**وَ**)كانّهُ صارَ (**بِالمَاءِ**) مِن الصِّفاتِ (**مَا**) كانَ (**بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ**) أي اشتعالٍ، فكأنّ النار أخذَتْ مِن الماء صِفةَ البَلل

فبَكت حتى انطفأَت، وكأنّ الماءَ أخذَ مِن الماء صفةَ الاشتِعال فاشتعلَ حتى انطَفأَ.

٦٥- **وَالجِـــــنُّ تَهْتِــــفُ وَالأَنْــــوَارُ سَـــــاطِعَةٌ**
وَالحَـــقُّ يَظْهَــرُ مِـــنْ مَعْـــنًى وَمِـــنْ كَلِــمِ

اللُّغة: (**تَهتِف**): تَصِيحُ مِنَ الخَوفِ. و(**ساطِعةٌ**): مُنتَشِرةٌ. و(**الحَقُّ**): صِدقُ النُّبُوّةِ.

المعنَى: (**وَ**)صارَتِ (**الجِنُّ**) أيِ الشّياطِينُ تتصايح و(**تَهْتِفُ**) في الجبال والأودية مما حصل لهم مِن الخوف والرُّعب يتَكَلَّمون مع أوليائهم فيما دَهَمَهُم مِن ذلك (**وَ**)ظهرتِ (**الأَنْوَارُ**) يومَ مولدِهِ ﷺ وهي (**سَاطِعَةٌ**) مُرتِفعةٌ في الآفاق (**وَ**)البُرهانُ (**الحَقُّ**) وهوَ صِدقُ بُروزِ النّبِيّ ﷺ إلى الوجودِ في آخرِ الزّمان كان (**يَظْهَرُ**) مِن قَبلُ (**مِنْ مَعْنًى**) يُفهَمُ (**وَمِنْ كَلِم**) يُسمَعُ مِمّا أتَتْ به الكُتُب المنزَّلة على الأنبياءِ السّابقِينَ.

٦٦- عَمُـــوا وَصَـــمُّوا فَـــإِعْلَانُ البَشَـــائِرِ لَـــمْ
تُسْـــمَعْ وَبَارِقَـــةُ الإِنْـــذَارِ لَـــمْ تُشَـــمِ

<u>اللُّغة</u>: **(بوارِقُ الإنذار)** أي إنذارهم بما سيكون مِن هلاكِهم. و**(لم تُشَمْ)** أي لم تُنظَر.

<u>المعنَى</u>: **(عَمُوا)** أي الكُفّارُ عنِ الحقِّ فلم يُبصِرُوهُ **(وَصَمُّوا)** عن استِماعِه فلم يَسمعوهُ سَماعَ قَبولٍ بل جَحَدُوا نُبوَّةَ النَّبِيّ ﷺ، **(فَإِعْلَانُ البَشَائِرِ)** بوِلادَتِه ﷺ الّتي سَمِعُوها مِن الكُهّانِ وأخبارِ الكُتُبِ السّابِقةِ **(لَمْ تُسْمَعْ)** سَماعَ قَبولٍ مِنهُم **(وَبَارِقَةُ)** أي ما لاحَ للكُفّارِ مِن **(الإِنْذَارِ)** بظهورِ عجائِبَ عِندَ وِلادتهِ ﷺ **(لَمْ تُشَمِ)** أي لَمْ تُرَ تِلكَ البَوارِقُ ولم يُلتَفَتْ إليها على أنّها علاماتٌ على زوالِ دولتِهم.

٦٧- مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا أَخْـــبَرَ الأَقْـــوَامَ كَاهِـــنُهُمْ
بِـــأَنَّ دِيـــنَهُمُ المُعْـــوَجَّ لَـــمْ يَقُـــمِ

اللُّغة: **(الكاهِنُ)** مَن كان له تابِعٌ مِن الجِنّ يُخبِرُه بالخبَرِ الّذِي يَستَرِقُ سَمْعَه مِن الملائكةِ عند السَّحاب.

المعنَى: **(مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ)** الكُفّارَ **(كَاهِنُهُمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ)** المائلَ عن الحَقِّ **(لَمْ يَقُمِ)** أي لن يدومَ.

اللامعة: لَمّا بلَغ النّبِيُّ ﷺ من العمر اثنتَي عَشرةَ سنةً رَحَل مع عَمِّه أبي طالب في رَكْبٍ إلى الشّامِ في تِجارةٍ فسار حتى وصل إلى بُصرَى الشام وكان بها راهِبٌ مِن النَّصارَى يُسَمَّى بَحِيرا، فتأمَّلَ النبيَّ ﷺ فرأى فيه مِن العلامات ما دَلَّ على أنه نَبِيُّ هذه الأمّة، وذلك لأنه رأى غمامةً تُظِلُّه مِن بين القوم وهو راكِبٌ، فلَمَّا نزَلَ ﷺ تحتَ شجَرَةٍ مالَت وتَدَلَّت أغصانُها علَيه حتى أَظَلَّتْه، فصَنَع بَحِيرا للقَومِ طعامًا وأضافَهُم وقال لِعَمِّه أبي طالب: "**ارْجِع بابنِ أخِيكَ واحذَرْ عليهِ اليهودَ أن يَرَوا بعضَ صِفاتِه فيَعرِفُوا أنَّه النَّبِيُّ المبعوثُ مِن العَرَب، فرُبَّما تَحَيَّلُوا على اغتِياله فإنه كائنٌ له شأنٌ عظيمٌ**"، فرَدَّه عَمُّه مِن هناك خوفًا عليه فأسرَعَ به إلى مكة.

٦٨- وَبَعْــدَما عَايَنُــوا فِي الأُفْــقِ مِــنْ شُــهُبٍ
مُنْقَضَّــةٍ وَفْــقَ مَــا فِي الأرضِ مِــن صَــنَمِ

<u>اللُّغة</u>: **(الأُفق)**: ناحية السَّماء. و**(الشُّهُب)**: الشُّعَل التي تَرمِي الملائكةُ بها الشياطينَ عند استراقِ السَّمْع. و**(مُنْقَضّة)**: ساقِطة. و**(الوَفْق)**: المُوافِق المُماثِل.

<u>المعنَى</u>: **(وَ)**لَم يُؤمِنِ الكُفّارُ **(بَعْدَما عَايَنُوا)** بمُشاهدةٍ عِيانِيّةٍ مِنهُم ما يَظهَرُ **(فِي الأُفْقِ)** أي ناحِيةِ السّماءِ **(مِنْ شُهُبٍ)** أي شُعلِ نارٍ طائِرةٍ **(مُنْقَضَّةٍ)** أي نازِلةٍ ساقطةٍ على الشّياطِين المُستَرِقِينَ مِن تحتَ السّماءِ الدُّنيا سَماعَ بعضِ حديثِ الملائكةِ فِيما بيَنهُم، وكانوا يَسترِقونَ السَّمعَ مِن قَبلِ أنْ يُحجَبوا عَنهُ، فكانَ للشُّهُبِ سُقوطًا **(وَفْقَ)** أي مِثلَ السُّقوطِ الذي حصَلَ لـ**(ـمَا)** هوَ **(فِي الأرضِ مِن صَنَم)** يَعبُدُهُ المُشرِكون.

٦٩- حَــتَّى غَــدَا عَــنْ طَرِيــقِ الــوَحْيِ مُنْهَــزِمٌ

مِـــنَ الشَّـــيَاطِينِ يَقْفُـــو إِثْـــرَ مُنهَـــزِمِ

اللُّغة: (**يَقفُو**): يَتْبَع.

المعنَى: ولم تزَلِ الملائكةُ ترمِي الشّياطينَ المُستَرِقةِ للسّمعِ تحتَ السّماءِ (**حَتَّى غَدَا**) كُلُّ شيطانٍ مُبعَدًا (**عَنْ**) السَّماءِ (**طَرِيقِ الوَحْيِ**) وهوَ (**مُنْهَزِمٌ**) خائبٌ، وراحَ كُلُّ واحِدٍ (**مِنَ الشَّيَاطِينِ**) هاربًا تُجاهَ الأرضِ وهو (**يَقْفُو**) أي يَتبعُ (**إِثْرَ مُنهَزِمِ**) مِنَ الشَّيَاطِينِ.

اللامعة: قال الله تعالَى إخبارًا عَمَّا قالَتْهُ الجِنُّ بعدَ أنْ حُجِبوا عن استِراقِ السَّمعِ مِن السَّماءِ الدُّنيا: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجِنّ: ٨-٩].

قال شيخُنا الإمام الهرريُّ رضي الله عنه: "قَبل مَبعَثِ النّبِيّ **محمَّدٍ** ﷺ كانت الشّياطينُ تَقعُدُ مَقاعِدَ للسَّمعِ تحتَ السّماءِ الدُّنيا فيَستَرِقونَ السَّمعِ مِن الملائكةِ، ثُمّ بعدَ بِعثةِ النّبي صارَتِ الشياطين تُرمَى بالشُّهُب.

أحيانًا يَسترِقُ الجِنُّ السَّمعَ مِن الملائكة الموكَّلِين بإِنزالِ المَطَر وهُم في الغَمام، يَصعَدُ الجِنُّ إلى مكانٍ قَريبٍ مِن هذا الغمامُ والملائكةُ يَتَحَدَّثُون فيما بينهم بما يَصِير هذا العامَ في أرضِ كذا ومِن الحوادث كذا وكذا كمَوتِ شَخصٍ أو ولادةِ مَولودٍ أو أن يتولَّى شَخصٌ الرِّئاسة أو أن يُعزَل عن الرِّئاسة ونحوِ ذلك مِمَّا أطلَعَهُم اللهُ علَيه، فيَستَرِقُ بعضُ الجِنّ السَّمْع مِن غَيرِ أن يَنتَبِه لهم الملائكةُ، ثُمّ يَنزِلُ هؤلاء الجِنُّ إلى الأرضِ ويُخبِرُون هؤلاءِ الَّذِين معهم مِنَ البَشَر" اهـ.

٧٠- كَـأَنَّـهُـمْ هَـرَبًـا أَبْـطَـالُ أَبْـرَهَـةٍ
أَوْ عَسْـكَرٌ بِالحَصَـى مِـنْ رَاحَتَيْـهِ رُمِيْ

اللُّغة: (**أَبْرَهَة**): رئيس أصحابِ الفيل.

المعنَى: (**كَأَنَّهُمْ**) أي الشّياطينَ وهم مُنصرِفونَ (**هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ**) في هَرَبِهم لَمَّا رُمُوا بالحِجارة مِن سِجّيل ووَلَّوا هارِبِينَ (**أَوْ**) كأَنَّهُم (**عَسْكَرٌ**) مِن الكافِرين هارِبونَ مِن رَمْيِ النّبيّ ﷺ لَهُم (**بِالحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ**)

الشّريفتَينِ ﷺ وذلك في غَزوةِ بَدرٍ وحُنَينٍ حِينَ (**رُمِيْ**) الكُفّار في وجوهِهم بِكَفِّ حصًى وتُرابٍ مِن يَدِه الشّريفةِ، وذلك حين اقتَحَم النَّبِيُّ ﷺ عن فَرَسِه وأَخَذَ كَفًّا مِن حصًى وتُرابٍ وضَرَب وُجوهَهم وقال لهم ﷺ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»[1]. قال يَعلَى بنُ عَطاءٍ: فأخبَرَنا أبناؤُهم عن ءابائِهم أنّهُم قالوا: ما بَقِي مِنّا أحَدٌ إلا امتَلأَتْ عَيناهُ وفَمُه مِن التُّرابِ.

اللامعة: كان أبرهةُ بن الصبّاح الحبشي المعروف بأبرَهةَ الأشرَمِ قد نصَّب نفسه مَلِكًا على حِمْيَرَ. فلَمّا بنَى بِصنعاءَ كنِيسةً أسماها القُلَّيسَ ليَصرِفَ إليها الحَجَّ عَن مَكّةَ، أَحدَثَ رَجُلٌ مِن كنانةَ فيها ولَطَّخ قِبلَتَها بالنَّجاسةِ احتقارًا لها، فحَلَف أبرهةُ الأشرَمُ ليَهدِمَنَّ الكعبةَ.

فخرج معه جنوده إلى الكعبة ليهدمها ومعه فِيلٌ، فلَمَّا دنا من مكة أمرَ أصحابه بالغارة على نَعَم النّاس فأصابوا إبِلًا لعبد المطّلِب، وبعَث بعض جنوده فقال: سَلْ عن شريف مَكّة وأخبِرْه أني لم ءاتِ لقتال وإنما جِئتُ لأهدِمَ هذا البيتَ، فانطَلَق حتى دخل مكة فلَقِيَ عبدَ المطَّلِب بنَ هاشمٍ

(١) أي قَبُحَت وجوهُ الكافِرينَ.

فقالك إنّ المَلِك أرسَلَنِي إليك لأُخبِرَك بأنه لم يأتِ لقتالٍ إلّا أن تقاتِلُوهن وإنما جاء لِهَدمِ هذا البيت ثم ينصرِفُ عَنكُم، فقال عبدُ المُطَّلب: ما له عِندَنا قِتالٌ وما لنا به يَدٌ، إنّا سَنُخَلِّي بينَه وبين ما جاء له، فإنّ هذا بيتُ اللهِ الحرامُ وبَيتُ خليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ، فإنْ يَمْنَعْهُم فهو بَيتُه وحَرَمُه وإنْ يُخَلِّي بَينَه وبينَ ذَلِك فوَاللَّهِ ما لنا به قُوَّةٌ. قال: فانطَلِق معي إلى المَلِك، فلَمَّا دَخَل عبدُ المُطَّلِب على أَبرَهَة أعظمَهُ وكَرَّمَهُ ثم قال لِترجُمانِه: قل له ما حاجَتُك إلى المَلِك؟ فقال له التَّرجُمانُ، فقال: حاجَتِي أن يَرُدَّ عليَّ مائتَيْ بَعِيرٍ أصابَها، فقال أبرهَةُ لِتَرجُمانِه: قُل له لقَد كُنتُ أعجَبْتَنِي حِينَ رَأيتُك ولقد زَهِدتُ الآنَ فِيكَ، جِئتُ إلى بَيتٍ هو دِينُك لأَهدِمَه فلَم تُكَلِّمْني فيه وتُكَلِّمُني في الإبِل أَصَبتُها، فقال عَبدُ المطّلِب: أنا رَبُّ هذه الإبِل[1] ولهذا البَيتِ رَبٌّ سيَمنَعُه، فأَمَر بإبِلِه فرُدَّت عليه، فخَرَج فأخبَرَ قُرَيشًا وأمرَهُم أنْ يَتَفَرَّقوا في الشِّعاب ورُؤوس الجبال خوفًا مِن مَعَرَّة الجيش[2] إذا دخل، ففعلوا.

---

(١) أي مالِكُها.

(٢) أي أذاهُم.

ثمّ إنّ أبرهةَ أصبح مُتهيّئًا للدخول فبَرَك الفيل فبعثُوه فأبَى فضَربُوه فأبى فوَجَّهُوه إلى اليمن راجعًا فقام يُهَروِلُ، ووَجَّهُوه إلى الشام ففعل مثلَ ذلك وإلى المشرِق ففعل مثل ذلك، فوَجَّهُوه إلى الحرَم فأبى، فأرسَلَ الله طيرًا مِن البَحرِ لها خَراطِيمُ كخراطيم الطَّير وأَكُفٌّ كأَكُفِ الكِلاب، وقيل: كانت لها رُؤوسٌ كرُؤوسِ السِّباع، واختَلَفوا في ألوانها، فقيل: خضراءُ، وقيل: سوداءُ، وقيل: بيضاءُ، وكان مع كُلِّ طيرٍ ثلاثةُ أحجارٍ حَجَرانِ في رِجلَيهِ وحَجَرٌ في مِنقارهِ، وكان كُلُّ حجَرٍ فوق حَبّةِ العَدَسِ في حَجمِ ودُونَ حَبّة الحِمَّصِ مَكتوبٌ عليهِ اسمُ مَرمِيّهِ يَنزِلُ على رأسِهِ ويَخرجُ مِن دُبُرِه فهَلَكوا ولم يَدخُلوا الحرَم.

ثُم مَرِضَ أبرهَةُ فتَقَطّع أُنْمُلةً أُنْمُلةً وما مات حتى انصَدَع صَدْرُه عن قَلبِه وانفَلَت أبو يُكْسومَ وزيرُه وطائِرٌ يَتبَعُه حتى وصل إلى النّجاشِيّ وأخبره بما جرى للقَومِ فرَماهُ الطّائِرُ بحَجَرٍ فماتَ بين يَدِي المَلِك فأراهُ اللهُ كيفَ كان هلاكُ أصحابِه. وقيل: كان العَسكرُ سِتّين ألفًا لم يَرجِع أحدٌ منهم إلا أميرُهم في شِرذمةٍ قَلِيلةٍ، فلَمَّا أَخبَروا بما رَأَوا هَلَكُوا، وقيل: إنّ اسمَ الفِيلِ محمُود.

٧١- نَبْـــذًا بِـــهِ بَعْـــدَ تَسْـــبِيحٍ بِبَطْنِهِمَـــا
نَبْـــذَ المُسَـــبِّحِ مِـــنْ أَحْشَـــاءِ مُلْـــتَقِمِ

اللُّغة: (النَّبْذُ): الطَّرحُ والرَّميُ. و(المُسَبِّحُ): هو هنا يُونسُ عليه السَّلامُ.

المعنَى: وكان رَميُ النّبِيِّ ﷺ المُشركين (**نَبْذًا بِهِ**) أي رَميًا بالحصَى وذَلِكَ (**بَعْدَ**)ما حَصلَ للحَجرِ مِن (**تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا**) أي داخِلَ بَطنِ كَفَّي النّبِيِّ ﷺ، فكان ذلكَ يُشبِهُ (**نبْذَ**) أي لَفْظَ الحوتِ لسيِّدِنا يُونُسَ (**المُسَبِّحِ**) تسبيحًا وتقديسًا للهِ تعالَى (**مِنْ**) جوفِ (**أَحْشَاءِ**) الحوتِ الـ(**ـمُلْتَقِمِ**) لَهُ حينَ نزلَ البحرَ مِن السّفينةِ.

والقصدُ مِن تَشبيهِ نَبذِ النّبِيِّ ﷺ الحصَى المُسَبِّحَ بيَدِه بنَبذِ الحُوتِ يُونسَ عليهِ السّلامُ أنّهُ مِن حيثُ إنّهُما أمرانِ خارِقان للعادةِ.

اللامعة: لَمّا غضِبَ على قَومِه ترَكَهُم بِلا إذنٍ بوحيٍ في سَفَرِه، فرَكِبَ سفينةً مع أهلِها فلَم تَجرِ بهِم فخافوا أنْ تغرَق ورأَوا أنها لا تَسلَم إلّا بِطَرحِ شَخصٍ في الماء، فلمّا اقترعوا وقع السهم على نبيّ الله يونس عليه الصلاة

والسلام، ولكن لَمَّا توسَّموا فيه خيرًا لم يسَمحوا لأنفسهم أن يلقوه في البحر، فأعادوا القرعة ثانيةً فوقعت عليه أيضًا، فشَمَّر يونس عليه السلام ليلقي بنَفِسه في البحر وه يعلم أنّه لا يَنضرّ بذلك فأَبَوا عليه ذلك لِمَا عَرَفوا منه مِن الخير، فأعادوا القرعة ثالثة فوقعت القرعة عليه أيضًا، فما كان من يونس عليه السلام إلا أنْ أَلْقَى بنفسه في البحر لأنه كان يعتقد أنه لا يُصِيبُه هلاكٌ بالغَرَق لا ضرَرٌ، فلا يجوز أنْ يُظَنَّ أنّ ذلك انتحار منهُ، فالانتحار أكبرُ الجرائِم بعدَ الكُفرِ، وذلك مستحيلٌ على الأنبياء، وعلى هذا يحمل ما ورد في البخاري أنّ النبي ﷺ حين فتر عنه الوحي في أوائل البعثة همَّ أن يُلْقِي بنفسه من ذِروة الجبل، فلم يَكُن هَمُّه بذلك إلا لتخفيف شِدّة الوَجدِ الذي حصل له مِن إبطاء الوحي عليه لا الانتحار بل معناه أنه كان يَظُنُّ أنه لا يتأذى إن فَعَل ذلك، فإنّه قد حصل لكثيرٍ مِن الأولياء أنهم مَشَوا على الماء ولم يَغرَقوا، فمَن حمل ما ورد في البخاري مِن هذه القِصّة على أنّ الرَّسولُ أراد أن يَنْتَحِر فَقَد كَفَر.

ثُمّ لَمّا أَلقى يونسُ عليه السلام بِنَفْسِه في البحر وكَّلَ اللهُ تبارك وتعالى به حوتًا كبيرًا فالْتَقَمَه وابْتَلَعَه ابتِلاءً له على تَركِه قومَهُ الذين أغضبوه

بِدُون إذنٍ، فدخل نبي الله يونس عليه السلام إلى جَوفِ الحوت تحفُّهُ عِنايةُ الله حتى صار وهو في بَطنِ الحوت في ظُلماتٍ حالِكةٍ.

ثم إنّ الحوت لم يَضُرّ يونس بِقُدرة الله تعالى، فلم يَجْرَحْهُ ولم يَخْدِش له لحمًا ولم يَكسِر له عَظمًا، وسار الحوت وفي جَوفِه يونسُ عليه السلام يَشُقُّ به البَحرَ حتى انتهى به إلى أعماقِهِ، وهناك سمع يونس عليه الصلاة والسلام وهو في بطن الحوت حِسًّا وأصواتًا غريبةً فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى اللهُ إليه وهو في بطن الحوت: إنَّ هذا تسبيحُ دَوَابّ البَحرِ، فما كان مِن نَبِيّ الله يونسَ عليه السلام وهو في بَطنِ الحوت وفي تلك الظُّلَمات إلا أنْ أخَذَ يدعو اللهَ عَزَّ وجل ويستَغفِرُه ويُسبِّحُه تبارك وتعالى قائلًا ما وَرَد عنه في القرءان: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ثم نَجَّى اللهُ تعالَى يونُسَ عليه السلام مِن الغَمّ والكَرب والضِّيق الذي وقع فيه لأنّه كان مِنَ نَبِيًّا كريمًا على اللهِ مِنَ الْمُسَبِّحين له في بَطن الحوت، وأَمَر الله تعالى الحوت أن يُلقِيَه في البرّ فأَلقاهُ الحوت بِمَكان قَفْرٍ ليس فيه ما يُتوارَى بِهِ مِن شَجَر وغيره. وكان قد مَكَثَ نَبِيُّ الله يونَسَ عليه الصلاة

والسلام في بطن الحوت ثلاثة أيامٍ، وقيل: سبعةَ أيامٍ، وقيل غير ذلك. قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ أي كان قد خرَج مِن بطن الحوت ضَعِيفًا مَرِيضًا وهَزِيلًا ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ لأجلِ أن يَنشَط وَيَتعافَى [الصّافّات: ١٤٣- ١٤٦].

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ

٧٢- جَــاءَتْ لِدَعْوَتِــهِ الأَشْــجَارُ سَــاجِدَةً
تَمْشِـــي إِلَيْــهِ عَلَى سَــاقٍ بِــلَا قَــدَمِ

اللُّغة: (**دَعْوَتِه**): نِدائِه.

المعنَى: (**جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ**) ﷺ أي لِطَلَبِهِ (**الأَشْجَارُ سَاجِدَةً**) أي مُلَبِّيَةً خاضِعةً (**تَمْشِـي إِلَيْه**) تَخُدُّ الأرضَ خَدًّا نَحوَه وهي جائِيَةٌ (**عَلَى سَاقٍ**) واحِدةٍ (**بِلَا قَدَمِ**) تَستعينُ بها على المَشْيِ.

اللامعة: إنّ مُعجزاتِ النّبيّ محمَّد ﷺ كثيرةٌ لا يُحصيها إلّا الله تعالَى، وهي أقسامٌ كثيرةٌ باعتبارِ المكانِ ونوعِ الإعجاز، إلّا أنّ بعضَها رُؤِي أثَرُه في الجَمادات، فمِن ذلك:

- **حنين الجذع اليَبيسِ شوقًا إليه** ﷺ: وقد ذكرناها عند شرح البيت الثامن.
- **نَبْعُ الماءِ مِن بينِ أصابِعِه الشّريفةِ** ﷺ: قال الحافظ ابنُ حجَرٍ العَسقلانيُّ في «فَتح الباري»: "وقال القُرطُبِيُّ: قَضِيّةُ نَبْع الماء مِن بَينِ أصابِعه ﷺ تكَرَّرَت منه في عِدّة مواطِنَ في مشاهِدَ عَظِيمةٍ ووردَت مِن طُرُقٍ كَثِيرةٍ يُفِيدُ مَجمُوعُها العِلمَ القَطعِيَّ المُستفادَ مِنَ التَّواتُر المَعنَوِيّ» اهـ.
- **تسليمُ الشَّجَرِ والحَجَرِ عليهِ** ﷺ: رَوى عَبّادٌ عن عَلِيّ رضي الله عنه قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَدْخُلُ مَعَهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - الْوَادِيَ فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا أَسْمَعُهُ**».

- **انقلابُ الجِذْع سَيفًا بِيَدِ عُكّاشةَ**[1] ﷺ: قال أبو نُعيمٍ في «دَلائلِ النُّبُوّة»: "فإنْ قُلتَ: إنّ عِيسَى كان يَخْلُقُ[2] مِن الطِّين كهَيئةِ الطَّيرِ فيَكُونُ طَيْرًا بإذنِ اللهِ تعالَى، قُلنَا: إنّ لِرَسولِ اللهِ ﷺ نَظِيرَه فإنّ عُكّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ انقَطَع سَيفُهُ يومَ بَدْرٍ فدَفَع إليه رسولُ اللهِ ﷺ جَذْلًا مِن حَطَبٍ وقال: «**قاتِلْ بِهَذَا**» فعاد في يَدِه سَيفًا شَدِيدَ المَتْن أَبيضَ الحَديدِ طَوِيلَ القامَةِ فقاتَل به حتّى فَتَحَ اللهُ تعالى على المُسلِمِينَ ثُمّ لم يَزَل يَشهَدُ بِه المَشاهِدَ إلى أيّامِ الرِّدّةِ" اهـ.
- **انقِيادُ الشَّجَرَتينِ لإشارَتِه ﷺ عِندَ قَضاءِ الحاجَةِ**: قَالَ جابرٌ رضي الله عنه: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[3] مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، وَإِذَا بِشَجَرَتَيْنِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا

---

(١) بتشديد الكافِ وتخفيفِها.

(٢) أي يُصَوِّرُ.

(٣) ظَرفٌ مِن جِلدٍ يُتوَضَّأُ مِنهُ.

فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[1] الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ[2]، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا[3] لأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**» فَالْتَأَمَتَا» الحديثَ.

- **تكثيرُ الطّعامِ بينَ يَدَيهِ** ﷺ: عن جابرٍ رضي الله عنه قال: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[4] شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ[5]، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ

---

(١) وهو الَّذي في أنفِه الخِشاشُ، عُوَيدةٌ تُجعَلُ في أنفِهِ ليكونَ أسرَعَ إلى الانقِيادِ.

(٢) أي يَنقادُ له ويُرافِقُه.

(٣) أي المَوضِع الوَسَط مِمَّا بَينَهُما.

(٤) أي قِطعةٌ.

(٥) أيْ سائِلًا.

صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ[1]، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ[2]، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ[3] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: «**كَمْ هُوَ؟**»، فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**»، قَالَ: «**قُلْ لَهَا لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى ءاتِيَ**»، فَقَالَ: «**قُومُوا**». فَقَامَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا**[4]» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ[5] البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى

---

(١) هيَ الأُنثَى مِنَ المَعز إذا قَوِيَت ما لم تَسْتَكْمِل سَنةً.

(٢) هيَ القِدْر مِن الحجَر.

(٣) أي الحِجارة التي تُوضَع عليها القِدْرُ.

(٤) أي لا تَزدَحِموا.

(٥) أي يَسْتُرُ.

أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ[1]، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «**كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**».

- **كلامُ الشّاةِ المَشْوِيّة المَسْمُومةِ له ﷺ**: رَوى أبو داودَ في «سُنَنِه» عن أبي هُرَيرةَ قال: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»، فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ فَقَالَ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ**» فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ: «**مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟**» قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ. الحديثَ.
- **انفِلاقُ البَحرِ المكفوفِ له ﷺ**: ذكَر السُّيوطيُّ في «الآية الكُبرى» والصّالِحيّ في «سُبل الهُدى والرَّشاد» والقَسطَلّانيُّ في «المَواهِب اللَّدُنِّيَّةُ»: "نقل ابنُ دِحْية عن ابنِ حَبِيبٍ أنّ بَين السَّماء والأرضِ بَحرًا يُسمَّى المكفوفَ تكون بحارُ الدُّنيا بالنِّسبة إليه كالقَطْرة مِن

---

(١) أي يأخُذُ اللَّحمَ مِن البُرْمة.

المُحيط، فعلى هذا يكون ذلك البحرُ الّذي انفَلَق لنبيّنا ﷺ أعظمَ مِن انفلاقِ البَحر لمُوسَى عليه الصلاة والسلام" اهـ.

٧٣- **كأنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ فِي اللَّقَمِ**

اللُّغة: (**اللَّقَم**): الطّرِيق.

المعنَى: (**كأنَّمَا**) قد (**سَطَرَت**) أي خَطَّتْ الشّجرةُ الّتي سعَتَ إليهِ ﷺ بمَشيِها (**سَطْرًا**) أي خَطًّا في الأرضِ (**لِمَا كَتَبَتْ**)ـهُ (**فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ**) أي خَطًّا لم يُعهَد مِثلُه (**فِي اللَّقَمِ**) أي وسَطَ الطَّرِيق لِكَونها مَشَتْ مَشْيَ استِقامةٍ.

٧٤- **مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً**

تَقِيـــهِ حَـــرَّ وَطِـــيسٍ لِلْهَجِـــيرِ حَـــمِيْ[1]

اللُّغة: (**الوَطِيسُ**): التَّنُّور. (**الوَطِيس**): المرادُ به هنا الشَّمسُ. و(**الهَجِير**): نِصفُ النّهار إذا اشتَدَّ الحَرُّ.

المعنَى: وكان مَجيءُ الشّجرِ إليهِ ﷺ لِدَعوَتِه (**مِثْلَ**) ءايةِ (**الغَمَامَةِ**) في التّسخيرِ لهُ ﷺ (**أَنَّى سَارَ**) والصوابُ أنّه في سَيرِهِ في بعضِ الأحيانِ لا في كُلِّ أوقاتِه فكانتْ هي (**سَائِرَةً**) فوقَه (**تَقِيهِ**) بتَظليلِها لهُ (**حَرَّ**) الشّمسِ الشّبيهةِ بالـ(**ـوَطِيس**) في حَرارتِه (**لِـ**)ـوَقتِ ا(**لْهَجِيرِ**) أي وسَطِ النّهارِ إذا (**حَمِيْ**) أي كان حارًّا.

تنبيه: في البيتِ الآتِي قَسَمٌ بالقَمَرِ، والقسَمُ بغير اللهِ مكروهٌ عند بعض الفقهاءِ حرامٌ عند بَعضٍ

---

(١) قال القَاضي زكريّا الأنصاريُّ: "قالَ بعضُهم: ولستُ على يَقينٍ مِن ثُبوتِ هذا البَيتِ في الرِّواية" اهـ.

٧٥- أَقْسَـــــمْتُ بِـــــالقَمَرِ الْمُنْشَـــــقِّ إِنَّ لَهُ

مِـــنْ قَلْبِـــهِ نِسْـــبَةً مَـــبْرُورَةَ القَسَـــمِ

اللُّغة: (مَبرُور): أي مَصدُوقٌ.

المعنَى: (أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ الْمُنْشَقِّ) لإشارَتِه ﷺ مُعجِزةً له (إِنَّ لَهُ) أي القَمرِ المُنشَقِّ (مِنْ قَلْبِهِ) الشّريفِ ﷺ (نِسْبَةً) أي شبَهًا مِن حيثُ إنّ كِلَيهِما انشَقَّ خَرْقًا للعادةِ، ثمّ صرَّح النّاظِمُ بِكَون يَمِينَه في شأنِ ذلكِ (مَبْرُورَةَ القَسَمِ) أي صادِقةً.

وقَد أقسَم الناظِمُ بالقَمر والقسَمُ بغير اللهِ مكروهٌ عند بعضِ الفقهاء، وقال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه: أخشى أن يكون معصيةً، وهو عند الحنفية والحنابلة حَرامٌ. ولعلَّ الناظم أراد أن يؤكِّد المعنَى لكن ما كان ينبغي أن يأتي بلَفظِ القَسَم بالقَمر.

أما ما تَكلَّفَ له بعض الشرّاح مِن تأويلاتٍ لا تدخلُ تحت القواعدِ الشّرعِيّةِ ولا تَنهَض بها حُجّةٌ لُغَوِيّةٌ، فلا حاجةَ إلى الالْتِفاتِ إليه، والحَقُّ أَحَقُّ أنْ يُتَّبَع. والنّاظِمُ داخِلٌ تحت حَديثِ رَسولِ الله ﷺ فيما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابنِ عبّاسٍ مَرفوعًا: «**لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ**». ويجوز على الناظِم أن يقع في الكراهةِ، فالأفضل تجنُّبُ هذا التّعبيرِ.

وأمّا ما جاء في الحديث الذّي حسَّنه التِرمذيُّ وصَحَّحه الحاكِمُ مرفوعًا عنِ ابن عُمَر رضي الله عنهُما أنّه سَمِع رجُلًا يقُولُ: "لا والكَعبةِ"، فقال ابنُ عُمرَ: لا تَحْلِف بِغيرِ اللهِ، فإِنِّي سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» فمعناهُ أنّ مَن حلَفَ بغيرِ اللهِ مُعَظِّمًا له كتعظيمِه للهِ فقد كفَرَ وخرَجَ مِن الإسلامِ، لا أنّ مُجرَّد الإتيانِ بلَفظِ القسمِ بغير الله يكونُ كُفرًا.

وقال العِراقي في «طَرحِ التّثريب»: "وَأَمَّا الحَلِفُ بِالنَّصرَانيَّةِ وَنَحوِهَا فَلَا أَشُكُّ فِي أَنَّهُ كُفرٌ لِأَنَّ تعظِيمَهَا بِأَيِّ وَجهٍ كَانَ يَقتَضِي حَقِيقَتَهَا وَذَلِكَ كُفرٌ" اهـ.

وقد أقسَمَ اللهُ تعالَى في القُرءانِ الكريم بالتِّينِ والزَّيتونِ والضُّحَى والفَجرِ ومكّةَ والشَّمسِ والنَّهارِ واللَّيلِ وغَيرِ ذلك مِن مَخلوقاته الّتِي فِيهَا نَفْعٌ لأنّه تعالَى لا يُقْسِم بما ليسَ فيه نَفْعٌ مِنْ خَلقهِ، وقد نَهانا عَنْ أَنْ نُقْسِم بغيرِهِ عَزَّ وجلَّ.

وأمّا م جاء في الحديثِ المرفوعِ مِن نَحو: «**أَفلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**» فهذا ليس مِن حيث الباطنُ قسَمٌ وحَلِفٌ مِنهُ ﷺ بوالد ذلك الرَّجُل، إنما هو كلامٌ صورتُه صورة الحَلِف والقَسَم بوالد ذلك الرَّجُل، إلّا أنّ هذه الكلمة كانَتْ تُستعمَل في ذلك الزَّمن لتأكيد الكلام فقَط لا بقَصدِ الحَلِف، ومثل هذا ليس حرامًا ولا مكروهًا لأنه لا يراد به القَسَم بالمَرّة إنما اللَّفظ لَفظُ قَسَمٍ.

وهذا هو التّوجِيهُ لقول النبيّ ﷺ هو الّذي ارتضاهُ شيخُنا وأستاذُنا الإمام الهرريّ رضي الله عنه، وليس بجديدٍ بل هو توجيه الحافِظَينِ البَيهَقِيّ والنَّوَوِيّ، وعن ذلك قال الزّرقاني في «شرح الموطّإ» إنّه أحسَنُ الأَجوِبة وقد ذهب بعض المحدِّثين إلى أنّه لعلّ أنْ يكون ذلك حلِفًا قبل نزول النّهيِ عن الحَلِف بغير الله، وهو توجيهٌ مردودٌ أجاب عنهُ السُّهَيلِيُّ بقولهِ:

"وَلَا يَصِحُّ، لأنّه لا يُظَنُّ بالنَّبِيّ ﷺ أنه كان يَحلِفُ بِغَيرِ اللهِ ولا يُقسِمُ بكافِرٍ، تاللهِ إنَّ ذلك لبعيدٌ مِن شِيمَتِهِ ﷺ" اهـ، وقد ثبَتَ عنهُ ﷺ أنّه قال: «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ وابنُ حِبّانَ وأبو داودَ والتِّرمذيُّ وغيرُهم.

<u>اللامعة</u>: طَلَبَت قُرَيشٌ مِن النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُرِيَهُم علامةً على صِدْقِه في دَعواه النُّبُوّة فأشارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِه إلى القمرِ فانشَقَّ، وكان النّبِيُّ وقتَها بِمَكَّة وذلك لَيلةَ أَرْبَعَ عَشْرة مِن الشَّهرِ القَمَرِيّ فَصارَ القَمَرُ مُنفَرِقًا فِرْقَتَينِ حَقِيقِيَّتَين في جَوِّ السَّماءِ، فِرْقَةٌ ظاهرةٌ فوقَ جَبَل أبي قُبَيسٍ بمكّة وَفِرْقَةٌ ثانِيةٌ أنْزَلَ عَن الجَبَلِ بِحَسَبِ الرُّؤيةِ للنّاظِر، ثُمّ عادَ مُلتئِمًا كما كانَ.

فَقَالَ أبو جَهلٍ ومَن مَعهُ: "هذَا سِحْرٌ فابعَثُوا إلى الآفاق لِتَنظُروا أرَأَوا ذَلِك أم لَا"، فَأُخبَرُوا أنّهُم رَأَوهُ كذَلِك، وَجَاءَ الْمُسافِرُونَ مِن الآفاقِ يُخبِرون بانشِقاقِ القَمَرِ قائِلِينَ: "رأَيناه عِيانًا". وأنزَلَ الله عزّ وجلّ قولَه: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ

ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟
أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ١-٣].

وقد وقَعَ الانشقاقُ مرَّةً واحِدَة فِرْقَتَين وليس انشقاقَين، فلا يَصِحُّ غيرُ هذا، خِلافًا لِمَا يُورِدُه كثيرٌ مِن أهلِ السِّيَرِ، فقد قال الحافظ العَسقلَانِيُّ في «فَتْح البارِي»: "ووَقَع في نَظْم السِّيرة لِشَيخِنا الحافظِ أبي الفَضْل[1]: "وانْشَقَّ مَرَّتَينِ بالإِجْماعِ"، ولا أَعرِفُ مَن جَزَم مِن عُلَماءِ الحَدِيث بِتَعَدُّد الانْشِقاقِ في زَمَنِه ﷺ ولم يَتَعَرَّض لِذَلِك أحَدٌ مِن شُرَّاحِ الصَّحِيحَين"، ثُمّ قال: "ثم راجَعتُ نَظْمَ شَيخِنا فوَجَدتُه يَحتَمِل التَّأوِيلَ المذكُورَ، ولَفْظُهُ: "فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ عَلَتْ وَفِرْقَةٌ لِلطَّوْدِ مِنْهُ نَزَلَتْ وذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالإِجْمَاعِ وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِيْ" فَجَمَعَ بَين قَولِه "فِرْقَتَيْنِ" وبَين قَولِهِ "مَرَّتَيْنِ"، فيُمكِنُ أنْ يَتَعَلَّق قَولُه "بِالإِجْمَاعِ" بِأَصلِ الانشِقاقِ لا بالتَّعَدُّدِ" اهـ.

وقال القَسطَلّانيُّ في «المواهِبِ اللَّدُنِّيّة»: "ولعَلَّ قائِل "مَرَّتَينِ" أرادَ فِرقَتَين، وهذا الذِي لا يَتَّجِه غَيرُه جَمْعًا بينَ الرِّوايات. وقد وقع في رواية البخارِيّ مِن حَدِيث ابن مسعود: "وَنَحْنُ بِمِنًى"، وهذا لا يُعارِضُ قولَ أنَسٍ: "إِنَّ

(١) يعني الحافِظ العِراقِيّ، وقد شرَحناها بفضلِ اللهِ تعالَى في كتابٍ مُفرَدٍ.

ذَلِكَ كَانَ بِمَكَّةَ"، لأنه لم يُصَرِّح بأنّه ﷺ كان لَيْلَتَئِذٍ بِمَكَّة، فالمرادُ أنّ الانشِقاقَ كانَ وَهُم بِمَكَّة قبلَ أن يُهَاجِرُوا إلى المدِينَةِ" اهـ.

وَمُعجِزةُ انشِقاقِ القَمَرِ للنبيّ ﷺ ثابِتةٌ بالإجماعِ لا نِزاعَ فِيهَا لِثُبوتِها بالنَّصِّ القُرءانِيّ والحَدِيثِيّ الثّابِتِ وَبَلَغ حَدَّ التَّوَاتُرِ السَّمَاعِي أي بِالسَّمَاعِ مِن الجَمّ الغَفِيرِ فَحَصَل بذَلِك العِلْمُ اليَقِينِيُّ.

٧٦- وَمَـا حَـوَى الغَـارُ مِـنْ خَـيْرٍ وَمِـنْ كَـرَمِ
وكُلُّ طَـرْفٍ مِـنَ الكُفَّـارِ عَنْـهُ عَـمِيْ

اللُّغة: **(الغَارُ)**: الكهفُ في الجبل.

المعنَى: **(وَ)**اذكُر **(مَا حَوَى)** أي جَمَع **(الغَارُ)** الّذِي بجَبَلِ ثَورٍ أسفلَ مَكّةَ **(مِنْ)** أهلِ **(خَيْرٍ وَمِنْ)** أصحابِ **(كَرَمِ)** في الذّاتِ والصِّفات وهُما النَّبِيُّ محمَّدٌ ﷺ وصاحِبُه أبو بَكرٍ الصِّدّيقُ رضي الله عنه إذْ مكَثَا فيه ثلاثَ لَيالٍ **(و)**كان **(كُلُّ طَرْفٍ)** أي بَصرٍ **(مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ)** أي عَنِ الكائنِ في الغارِ قد **(عَمِي)** فلَم يُبصِروا النَّبِيَّ وصاحِبَهُ مع أنّه قد ثبَت في الحديثِ

الصّحيحِ أنّ أبا بكرٍ الصِّدّيق رضي الله عنه قال للنبيّ ﷺ وهُما في الغارِ: لَوْ أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**» أي حافِظُنا ونصِرُنا وهوَ معنَا بالحِفظ والتّسديدِ وليس معناهُ أنّ الله تعالَى كان مُتحَيِّزًا في الغارِ مع النّبِيّ وأبي بَكرٍ، حاشا للهِ، فالله تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بِلا مَكانٍ ولا جِهةٍ ولا يُشبِهُ شيئًا مِن خَلقِهِ، وهذا الّذي يَدُلُّ عليه صريحُ قَولِه تعالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشُّورى: ١١] ويؤيّدُه صحيحُ العَقل.

اللامعة: ليسَ بغريبٍ أن يَفدي الصّحابةُ النبيّ ﷺ بأنفُسهِم وأرواحِهم وأولادهم وأموالهم، والأخبارُ في ذلك كثيرةٌ جِدًّا، مِنها ما رواهُ أنَسٌ رضي الله عنه قال: «لمَّا كَانَ يَوم أحدٍ انهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ، وَأَبو طَلحَةَ بَينَ يَدَي رَسولِ اللهِ ﷺ مجَوِّبٌ عَلَيهِ[1] بِحَجَفَةٍ[2] مَعَه،

(١) أَيْ مُتَرّس عَلَيه يَقِيه بِهَا.

(٢) أَيْ تُرسٍ.

وَكَانَ أَبو طَلحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزعِ[1]، كَسَرَ يومَئِذٍ قَوسَينِ أَو ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجل يَمُرُّ بِالجَعبَةِ فِيهَا النَّبل فَيَقول ﷺ: «**انْثُرْهَا لِأَبِي طَلحَةَ**»، وَيُشْرِف نَبِيّ اللهِ ﷺ فَيَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ لَا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ» الحديثَ.

٧٧- فالصِّدْقُ فِي الغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ

<u>اللُّغة</u>: **(الصِّدْقُ)**: أي ذُو الصِّدقِ. و**(لَم يَرِمَا)**: أي لم يَبْرَحا. و**(مِن أَرِمٍ)**: أي مِن أَحَدٍ.

<u>المعنَى</u>: **(فـ)**ـذو **(الصِّدْق)** النَّبِيُّ ﷺ **(فِي الغَارِ)** فحُذِفَت "ذو" ودخلَت "أل الكماليّة"[2] **(وَ)**كان معهُ ﷺ في الغارِ صاحِبُه أبو بكرٍ **(الصِّدِّيقُ)**

---

(١) أَيْ شَديدَ الرَّمي.

(٢) وهي الدالّة على معنى الكَمال في مَصحُوبِها.

فمكَثا في الغار معًا (**لَمْ يَرِمَا**) أي لم يَبْرَحاه (**وَ**)الحالُ أنّ الكُفّارَ (**هُمْ**) واقِفونَ عِندَ فَمِ الغارِ (**يَقُولُونَ مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ**) أي مِن أحدٍ وذلكَ لأنّ اللّهَ تعالَى حَجَب عنهُما نَبِيَّهُ ﷺ وأبا بَكرٍ الصِّدّيقَ وفلَم يَروهُما.

٧٨- ظَنُّــوا الحَمَـــامَ وَظَنُّــوا العَنْكَبُــوتَ عَلَى
خَــيْرِ البَرِّيَّــةِ لَــمْ تَنْسُــجْ وَلَــمْ تَحُــمِ

<u>**المعنَى**</u>: ثُمّ علَّل النّاظِمُ عدَمَ رؤيةِ الكُفّارِ النَّبِيَّ ﷺ وأبا بَكرٍ الصِّدّيقَ بأنّ أولئك الكُفّار قد (**ظَنُّوا**) أنّ (**الحَمَامَ**) الّتي باضَتْ في عُشٍّ اتَّخَذَتهُ عندَ فَمِ الغارِ (**وَظَنُّوا**) أنّ (**العَنْكَبُوتَ**) الّتي اتّخذَت لها بيتًا في ذلكِ الموضِعِ أيضًا قَدْ أَوَتَا إلى فَمِ الغارِ مُنذ زمَنٍ بعيدٍ، فتَوهَّموا أنّ العنكبوتَ لم تتّخِذ بيتَها سادّةً فمَ الغارِ (**عَلَى**) الرَّسولِ محمَّدٍ ﷺ (**خَيْرِ البَرِّيَّةِ**) أي الخَلْقِ، بل ما في الغارِ مِن أحَدٍ و(**لَمْ تَنْسُج**) العَنكبوتُ بيتَها مِن قريبٍ بل هوَ شيءٌ مضَى عليهِ العَهدُ (**وَ**)مثلُ ذلك ظَنُّوا في الحَمامةِ أنّها (**لَمْ**

تَحُم) على فَمِ الغارِ مِن قريبٍ فبنَتَ عُشَّها وباضَتْ، وإنّما هو شئٌ مَرَّ عليهِ زمانٌ لا يَحتمِلُ أن يكونَ دخَلَ قبلَه النَّبِيُّ وأبو بكرٍ.

٧٩- وِقَايَـــةُ اللهِ أَغْنَـــتْ عَـــنْ مُضَـــاعَفَةٍ
مِـــنَ الدُّرُوعِ وَعَـــنْ عَالٍ مِـــنَ الأُطُـــمِ

اللُّغة: **(الدِّرعُ المُضاعَفةُ)**: هي المَنسوجةُ حَلْقتَين حَلْقَتَين. و**(الأُطُم)**: الحُصون جَمعُ أَطَمة.

المعنَى: **(وِقَايَةُ اللهِ)** أي حِفظُهُ نَبِيَّه محمَّدًا ﷺ وأبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ مِن أذَى الكُفّار قد **(أَغْنَتْ)** أي كَفَتْهُما **(عَنْ)** اتِّخاذِ **(مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ)** وهيَ الدُّروع المَنسوجةُ حَلْقتَين حَلْقَتَين وقايةً مِن الأذَى، فبحِفظِ الله لَهُما لم يَحْتَجَا إلى دِرعٍ ولا شِبهِهِ **(وَ)**أغنَتْهُما **(عَنْ)** اللُّجوءِ إلى **(عَالٍ مِنَ الأُطُمِ)** أي الحُصونِ العاليةِ المَنيعةِ الّتي يَصعُبُ دُخولُها.

اللامعة: قال الحافِظ العسَقلانيُّ في «الفَتح»: "وذكر أحمَدُ مِن حديث ابنِ عبّاسٍ بإسناد حسنٍ في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠] الآيةَ، قال: تشاوَرَتْ قُريشٌ ليلةً بِمكّة فقال بعضُهم: إذا أصبحَ فأَثْبِتُوه بالوَثاق - يُرِيدُون النَّبِيَّ ﷺ - وقال بعضُهم: بلِ اقتُلُوه، وقال بعضُهم: بل أَخرِجُوه. فأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ على ذلك فبات عَلِيٌّ على فِراشِ النَّبِيّ ﷺ تلكَ اللَّيلةَ وخَرَج النَّبِيُّ ﷺ حتَّى لَحِق بالغارِ، وباتَ المُشرِكُون يَحْرُسون عَلِيًّا يَحْسَبُونَه النَّبِيَّ ﷺ - يَعنِي يَنتظِرُونه حتى يَقُومَ فيَفعلُون به ما اتَّفَقوا عليه - فلَمَّا أصبَحُوا ورأَوا عَلِيًّا رَدَّ اللهُ مَكْرَهُم فقالوا: أينَ صاحِبُك هذَا؟ قال: لا أدرِي، فاقتَصُّوا أثَرَه، فلَمَّا بلَغُوا الجبلَ اختَلَط علَيهم فصَعِدوا الجبَلَ فمَرُّوا بالغارِ فرَأَوا على بابِه نَسْجَ العَنكبُوتِ فقالوا: لو دَخَل ههنا لم يَكُن نَسْجُ العَنكبوتِ على بابِه، فمكث فيه ﷺ ثلاثَ لَيالٍ" ا.هـ

وقد أنكَر شَيخَا الوهّابيةِ المُجسِّمةِ المدعُوّانِ "محمد بن العثيمين" و"صالح الفوزان" قِصّةَ نَسْجِ العنكبوت وحَكَما ببُطلانِها، مع ابـ كثيرٍ - تِلميذُ ابنِ تَيمِيةَ ومحبوبُ الوّهابيّة المُجَسِّمة - أورَدَ الحديثَ في قِصّة نَسْجِ العَنكبوتِ مِن مُسنَدِ أحمَدَ كما ذكرَهُ الحافظُ العسَقلانيُّ وأسلَفْناهُ ثُمّ قال

في «البداية والنِّهاية»: "وهذا إسنادٌ حسَنٌ وهو مِن أجوَدِ ما رُوِي في قِصّة نَسْجِ العَنكبُوتِ على فَمِ الغار، وذلك مِن حمايةِ اللهِ رَسُولَه ﷺ" اه.

فقد أُقِيمَتِ الحُجّة على الوهّابيّة في هذه القَضِيّة مِن كلام مَن يَعتقِدون هُم إمامَتُه، أعني ابن كَثيرٍ، مع أنّه لا يجوزُ الاعتِمادُ على جميع ما في كُتبِه، فإنّه أحيانًا ينقُل عن أهل الحَقِّ ما هو حَقٌّ ،ويدُسُّ في أحيانٍ أُخرَى فسادًا وباطِلًا ظاهرًا، فليُحذَر مِن كُتُبِه فإنّ فيها ما فيها لا سيّما تفسيرُه المسمَّى «تفسير القُرءان العظيم» فإنّه يَذكُرُ عند تفسير الآية: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وجهًا يقولُ فيه: "الصَّمَدُ نُورٌ يَتلألأُ"، ثُمّ يُدَلِّس بعد ذِكر الأقوال الأخرى فيقول: "وكُلُّ هذه صَحِيحةٌ وهي صِفاتُ رَبّنا عَزَّ وجَلَّ" اه.

ومعلومٌ عِند جميع المُسلِمين أنّ مَن وصفَ الله تعالَى بِوَصفٍ مِن أوصافِ المخلوقين فقد كفر بالله، وقد نقَل الإجماع على ذلك الإمام أبو جعفرٍ الطّحاويُّ في عقيدته المشهورة.

٨٠- مَـا ضَـامَنِي الدَّهـرُ يَوْمًـا وَاسْـتَجَرتُ بِـهِ
إِلَّا وَنِلْـتُ جِـوَارًا مِنْـهُ لَـمْ يُضَـمِ

اللُّغة: (**ضامَهُ**): أي ظَلَمُه. و(**لَمْ يُضَم**) أي لم يُحَقَّر.

المعنَى: (**مَا ضَامَنِي**) أي ما أصابَنِي ظُلمٌ مِن بعضِ أهلِ هذا (**الدَّهر**) مرّةً مِن المَرّات (**يَوْمًا وَاسْتَجَرتُ بِهِ**) أي بالنّبِيّ ﷺ (**إلَّا وَنِلْتُ**) أي حُزتُ (**جِوَارًا**) أي قُربًا مَعنوِيًّا (**مِنْهُ**) ليسَ بهيّنٍ بل هو جِوارًا مُعتبَرًا (**لَمْ يُضَم**) أي لم يُحَقَّر.

اللامعة: الأصلُ أن يستعيذ المرءُ بالله مِمّا يسوءُه في أمر دِينِه أو دُنياه، ولكنّ لا يَمنع الشّخصَ أن يقول: "أعوذُ باللهِ ورَسولِه مِن كذا وكذا" مِن السُّوء، فليسَتِ الاستعاذةُ بِغَير الله شِركًا كما تقولُ الوهّابية المُجَسِّمةُ، إنَّما الممنوع أن يقول الشّخصُ ابتداءً: "أعوذُ بِرَسول الله" فذلك حرامٌ غيرُ جائِزٍ ولكنّه لا يكون شِركًا، لأنّ الشّخص لا يقصِد بذلك المساواةَ بين اللهِ والرّسولِ.

ويَدلُّ على جوازِ قولِ: "أعوذُ باللهِ ورَسولِه مِن كذا وكذا" مِن السُّوء، ما أخرَجَهُ الإمام أحمدُ في «المُسنَد» بإسناد حسَنٍ - ونصَّ على ذلك الحافظ

العَسقلانيُّ - أنّ الحارِثَ بنَ حسَّانٍ البَكريَّ قال لِرسول الله ﷺ: «أَعُوذُ باللهِ ورَسُولِهِ أَن أَكُونَ كَوافِدِ عَادٍ» وللحديث تِتِمَّة يتبيَّنُ منها أنّ الرسول لم يَقُل للحارِث: "أَشرَكْتَ لِقَولِكَ وَرَسُولِهِ حَيثُ استَعَذتَ بِي"، لا، بل لم يُنكِر الرسولُ على الحارث حينَ جَمَع بين الاستعاذةِ بالله والاستعاذةِ بالرَّسول وذلك لأنّ اللهَ هو المُستعاذُ به على الحقيقةِ وأمّا الرَّسُولُ فمستعاذٌ بهِ على معنَى أنّهُ سَبَبٌ، وأراد الصحابيُّ بِقَوله ذَلِكَ: "أعوذُ باللهِ أن أكونَ خائِبًا في أَمَلِي الّذِي أَمِلتُه مِن الخَير".

ثُمّ الاستعاذة واحِدةٌ سواءٌ كان طلَبُها مِن مخلوقٍ حيّ حاضر أو غائِب، فلا يُقال إنَّ طلَبَها مِن الحاضِر جائزٌ ومن الغائِب شِرْكٌ، فالمؤمِن إنِ استعاذ بِأحَدٍ مِن الخَلقِ حَيّ أو مَيّتٍ فَمَا ذاكَ إلا لأنَّهُ يرَى المستعاذَ بِهِ مِن الخَلْقِ سَبَبًا أي يَنفَعُ المستَعِيذَ بِهِ إنْ شاءَ الله أنْ يَنفَعُهُ، فلا تكونُ الاستعاذةُ على هذا المعنَى شِركًا ولا عِبَادَةً لِغيرِ الله، حاشا، بل العبادةُ لغةً وشرعًا نهاية التَذَلُّل ولا يجوزُ صَرفُها إلّا للهِ تعالَى.

فتَبَيَّن مِن هذا الحديث الّذي ذَكَرناهُ أنّ التوسُّل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين ليست شركًا مِن باب أولى، وقد زَعَمَتِ الوهّابِيّةُ أنّ

هذا هو الشِركُ الأكبَر المُخرِج مِن الملّة والذي يُستحَلُّ دَمُ المسلم به، فماذا يقولون في حديث الإمام أحمَدَ المتَقَدِّم؟! فهل يكون على زعمهم قد أقرّ الرسول الشّركَ وأنّ الصحابةَ مُشرِكونَ والرسولُ لا ينهاهم عنهُ؟! هذا معَ أنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي قال: «**وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ**» فهذه الاستعاذةُ عند الوهابية أشَدُّ شِركًا وكفرا من مُجرَّد الاستعاذة والتوسل إذًا، وهم بذلك قائلونَ بأنّ الرَّسولَ والصّحابةَ دُعاةٌ إلى الشِّرك وهذا مِن أشنَعِ الكُفر وأبشَعِهِ، نعوذ بالله مِن مَسْخِ القُلوب.

٨١- وَلَا الْتَمَسْـــتُ غِـــنَى الدَّارَيْـــنِ مِـــنْ يَـــدِهِ
إِلَّا اسْـــتَلَمتُ النَّـــدَى مِـــنْ خَـــيْرِ مُسْـــتَلَمِ

اللُّغة: (**الْتَمَسَ**): أي طَلَبَ. و(**المُسْتَلَم**): محَلُّ الاستِلام.

المعنَى: (**وَلَا الْتَمَستُ**) أي لم أطلُب (**غِنَى الدَّارَيْنِ**) أي بالكِفاية في الدُّنيا وبالسَّلامةِ في الآخِرة (**مِنْ يَدِهِ**) أيْ فَضلِه ﷺ بأنْ يكونَ هو سببًا لأنال

ذلك مِن الله تعالَى (**إِلَّا اسْتَلَمتُ**) أي نِلْتُ (**النَّدَى**) أي العَطاءَ (**مِنْ**) أي بِسَببِ لجوئي إلى (**خَيْرِ مُسْتَلَمِ**) أي خيرِ مَن يُسأَلُ مِن الخَلقِ.

<u>**اللامعة**</u>: جاء في حديثِ ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النَّبِيّ ﷺ قال: «**إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» وليسَ فيه دَلِيلٌ على مَنْعش التّوَسُّل بالأنبياءِ والأولياءِ لأنَّ الحديث معناه أنَّ الأَوْلَى بِأَنْ يُسْأَلَ ويُستَعانَ بِه هو اللهُ تعالى، وليسَ معناهُ "لا تَسْأَلْ غيرَ اللهِ ولا تَسْتَعِن بغَيرِ اللهِ"، وهذا نَظِيرُ قَولِه ﷺ: «**لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»، فكما أَنّهُ لا يُفهَم مِن هذا الحديثِ عَدَمُ جَوازِ صُحْبَةِ غَيرِ المؤمِن وإطعامِ غَيرِ التَّقِيّ وإنّمَا يُفهَمُ مِنهُ أَنَّ الأَولَى في الصُّحْبة هُوَ المؤمنُ وأَنَّ الأَولى بالإطعامِ هو التَّقِيُّ فكذَلِكَ حَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهُما لا يُفْهَم مِنهُ إِلّا الأَوْلَوِيّة، وأمّا التّحرِيمُ الّذِي يَدَّعِيه الوّهابيّةُ المُجسِّمةُ المُشَبّهةُ فلَيسَ لهم دَلِيلٌ علَيهِ لا مِن هذا الحَديثِ ولا مِن غَيرِه، ويُؤيّدُ ذلك الإجماعُ الّذِي نَقَلَه السُبْكِيّ في كتابِه «شِفاءِ السّقامِ» ونَصُّ عِبارَتِه: "اعلم أنه يجوزُ ويَحْسُن التّوَسُّل والاستِعانةُ والتَّشَفُّع بالنَّبِيّ ﷺ إلى رَبِّه سُبحانَه وتعالى، وجوازُ ذلك وحُسْنُهُ من الأمور المعلومةِ لِكُلِّ

ذِي دِينِ المعروفةِ مِن فِعل الأنبياءِ والمُرسَلِينَ وسِيَرِ السَّلَف الصالحِينَ والعُلماءِ والعَوَامِّ مِنَ المُسلمِينَ، ولم يُنْكِر أحَدٌ ذلِكَ مِن أهلِ الأَديانِ ولا سُمِعَ بِه في زَمنٍ مِن الأزمانِ حتّى جاءَ ابنُ تَيمِيةَ فتَكَلَّم في ذلكَ بِكلامٍ يُلَبِّس فيه على الضُّعَفاء الأغمارِ، وابتَدَع ما لم يُسْبَقْ إليه في سائِرِ الأعصارِ" ا.هـ.

٨٢- لَا تُنكِـــرِ الـــوَحْيَ مِـــنْ رُؤْيَـــاهُ إِنَّ لَهُ
قَلْبًـــا إِذَا نَامَـــتِ العَيْنَـــانِ لَـــمْ يَـــنَمِ

<u>المعنَى</u>: (لَا تُنكِرِ) أيُّها المُعانِدُ أنّ (الوَحْيَ) يَقَعُ إليهِ ﷺ (مِنْ رُؤْيَاهُ) في مَنامِه فـ(ـإِنَّ لَهُ) ﷺ (قَلْبًا) يَعِي ما يراهُ في مَنامِه لأنّهُ (إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ) مِنهُ ﷺ فإنّ القلبَ الشريفَ مِنهُ (لَمْ يَنَمِ) بل هو يَقِظٌ.

٨٣- وَذَاكَ حِـــينَ بُلُـــوغٍ مِـــنْ نُبُوَّتِـــهِ

فَلَــــيْسَ يُنْكَـــرُ فِيــــهِ حَـــالُ مُحْــــتَلِمِ

اللُّغة: (**المُحْتَلِم**): هو الّذِي يَرَى الحُلمَ في النَّوم.

المعنَى: (**وَذَاكَ**) الّذي حصلَ له ﷺ مِن بَدء الوَحيِ بالرؤُّيا الصّالِحةِ في النّومِ كانَ (**حِينَ بُلُوغـ**)ـهِ زمَنًا (**مِنْ**) بَدءِ (**نُبُوَّتِهِ**) أي بَعْثِه ﷺ وهو حينَ أتَمَّ أربعينَ سنةً مِن مَولِده ﷺ (**فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ**) أي في الزّمَنِ المذكورِ (**حَالُـ**)ـهُ ﷺ مِن كَونِه كانَ يرَى الرُّؤيا الصّالحة في النّومِ وهي لَهُ وحيٌ مع أنّها رُؤيا (**مُحْتَلِم**) أي رؤيا في حالِ النَّومِ إلّا أنّ ذلك لأنّ مِن خصائصِه ﷺ أنّ قلبَهُ لا ينامُ بل يَعِي ما يَرَى، وكذلك هو حال إخوانِه مِن النّبِيّين، فيكونُ نائِمَ العينَينِ يَقِظَ القَلبِ الشّريفِ.

٨٤- **تَبَــــارَكَ اللهُ مَـــا وَحيٌ بِمُكْتَسَـــــبٍ**

وَلَا نَــــبِيٌّ عَلَى غَيْـــــبٍ بِمُــــتَّهَمِ

اللُّغة: (**التُّهَمة**): أي الارتِيابُ والشَّكُّ.

المعنَى: (**تَبَارَكَ اللهُ**) أي تَنَزَّهَ اللهُ عن أنْ يُشبِهَ المخلوقاتِ بِوَجهٍ مِن الوجوهِ وبِوصفٍ مِن الأوصافِ، فإنّهُ (**مَا**) أي لَيسَ (**وَحيٌ بِمُكْتَسَبٍ**) لأحدٍ مِن الأنبياءِ اكتِسابًا (**وَلَا**) يُوجَدُ (**نَبِيٌّ**) مِن الأنبياءِ (**عَلَى غَيْبٍ**) يُخبِرُهُ (**بِمُتَّهَمِ**) لأنّ جميع الأنبياء معصومون مِن الكَذِب وسائر المعاصِي الَّتِي فيها خِسّةٌ ودَناءَةٌ قبلَ أنْ يُنَبّأوا وبعدَه.

اللامعة: أرسَلَ الله تعالَى الأنبياءَ للنّاسِ لِهدايَتِهم إلى الحَقّ، وقد جَعَل الله لأنبيائِه خصوصيّاتٍ كثيرةً مِنها أنّهُ عَصَمَهُم مِن الكُفر والكبائر والذنوب الصغائر الّتي تَدُلُّ على خِسّةِ النَّفْس كَسَرِقة حَبّة عِنَب، كُلُّ ذلك مَعصُومونَ مِنهُ قبلَ النُبوّة وبعدَها.

قال الفخر الرازيّ: "واجتمعت الأُمّة على أنّ الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفَضيلِيّة من الخوارج فإنهم يُجَوّزون الكفر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأنّ عندهم يَجُوز صُدور الذنوب عنهم وكلُّ ذنب فهو كفر عندهم، فبِهذا الطريق جَوَّزُوا صدور الكفر عنهم" اهـ.

وقال الحافظُ النوويّ في «شرحه على صحيح مسلم» ما نصُّه: "وكذلك لا خلاف أنهم معصومون مِن الصغائر التي تُزْرِي بفاعلها وتَحُطّ مَنزِلَتَهُ وتُسْقِط مروءَته، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر مِنهم، فذهب معظم الفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين من السَّلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم وحُجَّتُهم ظواهر القرءان والأخبار" اهـ.

٨٥- كَـــمْ أَبْـــرَأَتْ وَصِـــبًا بِـــاللَّمْسِ رَاحَتُـــهُ
وَأَطْلَقَـــتْ أَرِبًـــا مِـــنْ رِبْقَـــةِ اللَّمَـــمِ

اللُّغة: (**الوَصِب**): المَرِيض. و(**الأَرَب**): المُحتاج إلى الخلاص. و(**الرِّبقة**): أصلُها الحَبل. و(**اللَّمَم**): الجُنون.

المعنَى: (**كَمْ**) مَرَّةٍ (**أَبْرَأَتْ**) بإِذنِ اللهِ (**وَصِبًا**) أي مريضًا (**بِاللَّمْسِ**) والمَسحِ (**رَاحَتُهُ**) أي راحةُ كَفِّهِ الشّريفةُ ﷺ فعُوفِي مِن ساعَتِه (**وَ**)كَم

(أَطْلَقَتْ) أي خَلَّصَتْ **(أَرِبًا)** أي مَن عَلِقَ بِهِ داءٌ **(مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ)** أي مِن قَيد ما أَلَمَّ به.

<u>اللامعة</u>: المُعجِزاتُ الّتي حصلَت بمَسحة مِن يَدِ النّبِيّ الشّريفة ﷺ كثيرةٌ جِدًّا، مِنها أنّ قتادةَ بنَ النُّعمان أُصِيبَت عَينُه يوم أحُدٍ فسالَتْ على وَجنَتِه، فجاء رسول اللّه ﷺ فأخذها بِيَدِه الشّريفةِ ورَدَّها فعادت كما كانت ولم تضرب عليه بعدها. وكان قَتادةُ يقول بعد ما أَسَنَّ: هي أقوَى عَيْنيَّ وأحسَنُهما.

وُروِيَ أنّ امرأةَ مُعاوِيةَ بنَ عَفراءَ كان بها بَرَصٌ فشَكَت ذلك إلى رسول الله ﷺ فمَسَح عليه بِعصًا فأذهبَهُ الله.

ووَرد مِن طرق أنه ﷺ ما مسح بيده الشريفة شيئًا إلا برئ، وكان قد مسح رأسًا فكان ما مرت يده عليه أسوَدَّ وشاب ما سواه، وصَحّ أنه مسح رأس ولحية أبي زيد الأنصاري ثم قال: «**اللّٰهُمَّ جَمِّلْهُ**» فبلَغ بضعًا ومائة سنة وما في لحيته بياضٌ ولا في وجهه تغيُّرٌ.

٨٦- وأَحْيَــــتِ السَّـــــنَةَ الشَّـــــهْبَاءَ دَعْوَتُــــهُ

حَــتَّى حَكَــتْ غُــرَّةً في الأَعصُــــرِ الدُّهُــمِ

<u>اللُّغة</u>: (شَهباءُ): مُجْدِبة قَليلةُ المَطَر. و(الغُرَّة): بَياضٌ في الوَجه. و(**الأَدْهَم**): الأَسْوَد.

<u>المعنَى</u>: (وَ)كَم (**أَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ**) أي المُجْدِبَة قَليلةَ المَطَر (**دَعْوَتُهُ**) الكريمةُ ﷺ بنُزول المَطرِ فنَزَل الغَيث وعَمّ الخِصْب (**حَتَّى حَكَت**) أيْ شابَهَتْ تِلكَ السَّنةُ (**غُرَّةً**) أي بَياضًا مضَى (**في الأَعصُرِ**) الأَزمِنةِ (**الدُّهُمِ**) السُّودِ لشِدّة خَضارِ الزَّرع فيها.

٨٧- بِعَــــارِضٍ جَــــادَ أَوْ خِلْــــتُ البِطَــــاحَ بِهَــــا

سَــــيْبٌ مِــــنَ اليَــــمِّ أو سَــــيْلٌ مِــــنَ العَــــرِمِ

اللُّغة: (**العارِض**): السَّحاب. و(**جاد**): كَثُرَ مَطرُه. و(**البِطاح**): جَمْع أَبْطَح وهو مَسِيلُ الماء فِيه دِقاقُ الحَصَى. و(**السَّيْب**): الجَرْي. و(**اليَمُّ**): البَحْر. و(**العَرِم**): السّدّ.

المعنَى: ظهَر الاخضِرارُ الكثيفُ وأَحيَتِ دَعوَتُ ﷺ السَّنة المُجْدِبةَ (**بِـ**)ـسَببِ (**عَارِضٍ**) أي سَحابٍ أرسَلَهُ الله تعالَى استجابةَ لِدُعاءِ نَبِيّه ﷺ إذْ (**جَادَ**) هذا السّحابُ بصَبِّ المطرِ الكثيرِ فوق الأرضِ (**أَوْ**) أي إلَى أنْ (**خِلْتَ**) أي ظَننتُ (**البِطَاحَ**) أي الوِديانَ (**بِهَا سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ**) أي ماءٌ جارٍ بإمدادِ البَحرِ لهُ (**أو**) أنّ الوِديانَ قد اجتاحَها (**سَيْلٌ**) ءاتٍ (**مِنَ العَرِمِ**) أي السَّدِّ المُتحَطِّمِ الذي كان يَحجُزُ الماءَ خَلفَه.

الفصل السادس: في شرَف القُرءانِ ومَدحه ﷺ

٨٨- دَعْــــنِي وَوَصْـــفِيَ ءايَـــاتٍ لَهُ ظَهَــــرَتْ
ظُهُـــورَ نَـــارِ القِـــرَى لَيْـــلًا عَلَى عَلَـــمِ

اللُّغة: (**الآياتُ**): هُنا ءاياتُ القُرءانِ لِمُناسبةِ الكلام علَيها في هذا الباب. و(**القِرَى**): الإِكرام. و(**العَلَم**): الجَبَل.

المعنَى: (**دَعْنِي**) أي اترُكْني أيُّها المُنكِرُ (**وَوَصْفِيَ**) لكَ بعضِ (**ءايَاتٍ لَه**) أي للقُرءانِ الكريمِ، وقد (**ظَهَرَتْ**) واضِحةً (**ظُهُورَ نَارِ القِرَى**) الإضافةِ الّتي تُوقَدُ (**لَيْلًا عَلَى عَلَمِ**) أي فوقَ جبَلٍ ليَهتَدِي بها الضِّيفان إلى المَنازِل.

٨٩- فَـــالدُّرُ يَـــزْدَادُ حُسْـــنًا وَهْـــوَ مُنْـــتَظِمُ
وَلَـــيْسَ يَـــنْقُصُ قَـــدْرًا غَـــيْرَ مُنْـــتَظِمِ

اللُّغة: (**الدُّرُّ**): أي اللُّؤلؤ.

المعنَى: (**فَالدُّرُ**) أي اللُّؤلؤ (**يَزْدَادُ حُسْنًا**) فوقَ حُسنِه المعلومِ (**وَهْوَ مُنْتَظِمُ**) أي مَنظومٌ في سِلكٍ (**وَ**) كذلك (**لَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا**) إذا كان (**غَيْرَ مُنْتَظِمِ**) في سِلكٍ، وكذلك ءاياتُ القُرءانِ عظيمةٌ في كُلّ حالٍ.

٩٠- فمَـــا تَطَـــاوُلُ ءامَـــالِ المَـــدِيحِ إِلَى
مَـا فِيــهِ مِــنْ كَـرَمِ الأَخْـلَاقِ وَالشِّـيَمِ

اللُّغة: (**تَطاوَل إلى كَذا**): أي طَلَب الوُصولَ إليه. و(**الشِّيَم**): السَّجايا والطَّبائِع.

المعنَى: (**فمَا**) أي كيفَ يكونُ (**تَطَاوُلُ ءامَالِ**) صاحِبِ (**المَدِيحِ**) أي المادِحِ مُوصِلًا لهُ (**إِلَى**) استيفاءِ (**مَا فِيه**) ﷺ (**مِنْ كَرَمِ الأَخْلَاقِ**) التي حَواها وفاقَ بِها كُلَّ الوَرَى (**وَ**) كَرَم (**الشِّيَمِ**) أي الطِّباعِ الّتي فيه، فلا يَبلُغُ شاعِرٌ وَصّافٌ جمعَ شمائلِهِ وسَجاياهُ الكريمةِ.

اللامعة: لقد مدَح الله تعالَى نَبِيَّهُ محمَّدًا ﷺ في مواضع كثيرةٍ مِن القرءانِ الكريم، وأثنَى على المؤمنِينَ الّذين يُعَظِّمون النَّبِيَّ ويَمدحونَه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عَظَّموه ومَدَحوه ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وهو القُرءانُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٧] ولا يَنفي نَيل الفَلاحِ عنهُم كونُهم بِضَربِ الدُّفِّ أو بِدُونهِ طالَمَا أنّ الكلام المدوحَ بِه مُوافِقٌ للشّرع؛ فقد روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة أنها زَفَّتِ امرأةً إلى رجلٍ مِن الأنصار فقال نبيُّ الله ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ**»، قال ابن المُلَقِّن في «التّوضيح» ناقِلًا عن الحافظ ابن بَطّالٍ (ت ٤٤٩هـ): "**وقدِ اتَّفَق العلماء** على جوازِ اللَّهْو في وليمةِ النِّكاح كضَرْب الدُّفِّ وشِبهِه ما لم يَكُن مُحَرَّمًا" اهـ، وقد جاءَ الحديثُ السّابِقُ الذِّكرِ فِي رِوَايَة شَرِيكٍ: فَقَالَ: «**فَهَلْ بَعَثْتُم جَارِيَةً تَضْرِبُ بِالدُّفِّ وَتُغَنِّي**» الحَدِيثَ.

٩١- ءايــاتُ حَــقٍّ مِــنَ الــرَّحْمنِ مُحْدَثَــةٌ قَدِيمَــةٌ صِــفَةُ المَوْصُــوفِ بِالقِــدَمِ

اللُّغة: (**مُحْدَثةٌ**): أي الألفاظُ المُنزلةُ حادثةٌ مخلوقةٌ.

المعنَى: مِن مُعجزاتِه ﷺ (**ءاياتُ حَقٍّ**) مُنزلةٌ (**مِنَ الرَّحْمنِ**) أي بأَمرِهِ، لا أنّ الله تعالَى في جِهةِ فَوقٍ وأنّ الآياتِ نَزَلَتْ مِن مَكانٍ هو ساكِنٌ فيه،

حاشا لله، بل الله تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ ولا جِهةٍ، فهو خالِقُ المكانِ ولا يَحتاجُ إلَيهِ ولا إلى شيءٍ مِن المَخلوقاتِ، فهذه الآياتُ المُنزَلةُ مِن السَّماءِ ألفاظُها لا شَكَّ (**مُحْدَثَةٌ**) مخلوقةٌ لها مبدأٌ ومُنتهًى، فالإنزالُ والمُنزَلُ حادِثانِ، وأمّا الـ(**ـقَدِيمَة**) فهي (**صِفَةُ**) الكلامِ الأزليّة الأبديّة للهِ (**المَوْصُوفِ**) بِها (**بِالقِدَمِ**) أي أزَلًا.

اللامعة: "القرءانُ" لَفظٌ له إطلاقان: يُطلَق على اللَّفظ المنزل على محمَّد ﷺ، ويُطلَق على الكلام الذاتي الأزلي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربية ولا غيرها. فإن قُصِد بالقُرءانِ الكلامَ الذاتي فهو أزلي ليس بحرف ولا صوت لا يشبه كلام المخلوقين ولا بوجه من الوجوه؛ لا هو مبتدَأ ولا مُختَتَم ولا هو بِفمٍ ولا شِفاهٍ ولا أضراسٍ ولا أسنانٍ ولا لهاةٍ ولا مخارجِ حُروفٍ ولا انسلالِ هَواءٍ ولا اصطِكاكِ أجرام، ليس عربِيًّا ولا عِبريًّا ولا سُريانِيًّا ولا غَيرَها مِن اللُّغات، بل كلام الله الذاتي صفة أزلية أبدية لهُ لا تُشبِه صفات المخلوقين، وإن قصد به وبسائر الكتب السَّماوية اللفظُ المنزل فمِنهُ ما هو باللغة العِبرية ومنه ما هو باللغة السُّريانية، وهذه اللغات وغيرُها من اللغات لم تكن موجودةً فخَلَقها

الله تعالى فصارت موجودةً، والله تعالى كان قبل كل شيء، وكان متكلِّمًا قبلها ولم يزل متكلِّمًا، وكلامُه ليس له بدايةٌ ولا نهايةٌ ولا تعاقُبٌ ولا سابِقَ فيه ولا لاحِقَ، فهو كلام واحد وهذه الكتب المنزلة كلها عبارات عن ذلك الكلام الذاتي الأزلي الأبديّ ولا يلزم من كون العبارة حادثةً كون المعبَّر عنه حادثًا.

٩٢- لَـــمْ تَقْـــتَرِن بِزَمَـــانٍ وَهْيَ تُخبِرُنَـــا
عَـــنِ المَعَـــادِ وَعَـــنْ عَادٍ وَعَـــنْ إِرَمِ

اللُّغة: **(عادٌ)**: قبيلةُ عادٍ الأُولى. وهُم

المعنَى: والآياتُ المُنزلةُ على سيّدنا محمَّدٍ ﷺ **(لَمْ تَقْتَرِن بِزَمَانٍ)** أي لم تَقتَصِر على الحديثِ عن زمَانٍ واحِدٍ، بل اشتَمَل حَدِيثُها **(وَهْيَ تُخبِرُنَا)** على الكلام **(عَنِ)** الأمورِ المُستقبلِيّة كـ**(ـالمَعَادِ)** أي عَودِ الأجسادِ يَومَ البَعث وعلى بعضِ أحداث يوم القيامة وغيرِ ذلك **(وَ)**أخبرَتنا الآياتُ **(عَنْ)** قبيلةِ **(عادٍ)** الثّانيةِ الّذين أُرسِلَ إلَيهِم سيّدُنا هُودٌ عليهِ السّلامُ

وقد أُهلِكوا بالصّيحةِ لَمَّا كذَّبوا هُودًا (**وَ**)أخبرَتنا الآياتُ (**عَنْ**) بعضِ الأُمَمِ السّابقةِ مِثلَ قَبيلةِ عادِ (**إرَم**) وهُم عادٌ الأولَى الَّذِين كانوا عرَبًا يَسكنُون الأحقافَ وقد أهلَكَهُم اللهُ تعالَى بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيةٍ، و"إرَم" اسمُ مَوضِعٍ كانوا فيه أو اسمُ أبيهِم.

٩٣- دَامَـــــتْ لَدَيْنَـــــا فَفَاقَـــــتْ كُلَّ مُعْجِـــزَةٍ
مِـــنَ النَّبِيِّــــينَ إِذْ جَـــاءَتْ وَلَـــمْ تَـــدُمِ

<u>**المعنَى**</u>: إنّ هذه الآياتِ مِن مُعجِزاتِه ﷺ وقدْ (**دَامَتْ لَدَيْنَا**) أي عِندَنا بعد وَفاته ﷺ (**فَفَاقَتْ**) بينَ المُعجِزاتِ (**كُلَّ مُعْجِزَةٍ مِن**) مُعجِزاتِ (**النَّبِيِّينَ**) عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ (**إِذْ**) مُعجِزاتُهم (**جَاءَتْ**) في أزمِنَتِهم (**وَلَمْ تَدُمِ**) أي ولم تَبقَ بعد وفاتهم، أمّا مُعجزةُ القُرءانِ فهذه باقِيةٌ إلى الوقتِ الذي يُرفَعُ فيه القُرءانُ مِن الأرضِ في ءاخِرِ الزّمان.

<u>**اللامعة**</u>: جاء في حديثٍ رواهُ ابن حِبّانَ في «صَحِيحِه» وابنُ ماجه في «السُّنَن» وغيرُهما عنِ أبي هُريرةَ أنّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى**

تُبْعَثَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِن قِبَلِ الْيَمَنِ فَيَكْفِتُ بِهَا اللهُ كُلَّ نَفْسٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا يُنْكِرُهَا النَّاسُ مِنْ قِلَّةِ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا، مَاتَ شَيْخٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ وَمَاتَتْ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي فُلانٍ، وَيُسْرَى عَلَى كتَاب الله فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ ءايَةٌ» الحديثَ.

ورَوَى ابنُ أبي شَيبة في «المُصَنَّف» عن شَدّاد بنِ مَعقِلٍ عن ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه موقوفًا: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْءانَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُنْزَعَ مِنْكُمْ**»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ يُنْزَعُ مِنَّا وَقَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «**يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيُنْزَعُ مَا فِي الْقُلُوبِ، وَيَذْهَبُ مَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ مِنْهُ فُقَرَاءَ**»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

٩٤- مُحَكَّمَـــاتٌ فَمَـــا تُبْقِـــينَ مِـــنْ شُـــبَهٍ
لِذِي شِـــقَاقٍ وَمَـــا تَبْغِـــينَ مِـــنْ حَكَـــمِ

اللُّغة: (**مُحَكَّمَاتٌ**) أي مُتقَنةٌ في البلاغةِ والنّظمِ.

المعنَى: (**مُحَكَّمَاتٌ**) أي مُحكمةُ العباراتِ تامّةُ الفصاحةِ (**فَمَا تُبْقِينَ**) أي لَم تَترُكْ (**مِنْ شُبَهٍ لِـ**)ـمُعانِدٍ (**ذِي شِقَاقٍ**) مُشاقٍّ للدِّين يُلَبِّس في شُبَهِه على الناس إلا وتَدحَضُها ببراهينها وحِكَمها، (**وَمَا تَبْغِينَ**) أي وليسَت تَحتاجُ هذه الآياتُ (**مِن**) أجلِ الحُكم على حُجَجِ مُعانِدِها بالبُطلانِ إلى (**حَكَم**) يتوقَّفُ للنّظَر في حالِ المُعانِد، فإنّ براهِينَ هذهِ الآياتِ الكريمةِ ظاهرةٌ كظهورِ الشّمسِ كافيةٌ للحُكم على مُعانِدِها.

اللامعة: إنّ في القرءان ءاياتٍ مُحْكماتٍ وءاياتٍ مُتشابِهاتٍ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ءال عمران: ٧].

أمّا الآياتُ المُحْكمةُ فهي ما لا يَحتمِلُ مِن التّأويل بحسب وَضْع اللُّغة إلا وجهًا واحدًا، أو ما عُرِفَ المرادُ به بوضوحٍ كقولِه تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

شَىۡءٞ﴾ [الشُّورى: ١١]، وقَولِه: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقولِه: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

أمّا الآياتُ المُتشابِهة فالتَّشابُه هو ما لم تَتّضِح دِلالتُه أو يَحتمِلُ أوجُهًا عديدةً ويُحتاج معها إلى النَّظر لِحَملِه على الوجهِ المُطابِق، وذلك كقَوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فيَجِب أن يكون تفسير هذه الآية بغير الاستِقرارِ والجُلوسِ ونَحو ذلكِ مِن صفاتِ المخلوقاتِ، بل يَكفُر من يَعتِقد أنّ الله استقَرَّ أو جلَسَ أو قعَدَ على العرشِ، فيَجب تركُ حَملِ هذه الآيةِ ونحوِها على الظاهر وتُحمَل على مَحْمِلٍ مُستقِيمٍ في العقولِ؛ فمِن ذلك حملُ لَفْظةِ الاستواء على القَهْرِ بمعنَى أنّ الله قهَرَ العرشَ وحَفِظَه ولولا لُطْفُ الله لسَقَط العرشِ مُحَطِّمًا السّماواتِ والأَرَضِينَ.

٩٥- مَـــا حُورِبَـــتْ قَـــطُّ إِلَّا عادَ مِـــنْ حَـــرَبٍ
أَعْـــدَى الأَعَادِي إِلَيْهَـــا مُلْـــقِيَ السَّـــلَمِ

اللُّغة: (**الحَرَب**): هو السَّلَب، والمراد هنُا اللّازِمُ مِنه وهو الشِّدّةُ. و(**السَّلَم**): أي الاستِسلامُ والانقِيادُ.

المعنَى: (**مَا حُورِبَت**) ءاياتُ القُرءانِ بمُعارَضةِ مُعانِدٍ (**قَطُّ**) كمُدَّعٍ الإتيانَ بمِثلِها (**إِلَّا عادَ**) هذا المُعانِدُ (**مِنْ حَرَبٍ**) أيْ مِن بَعد مُحاولتِه الشّديدةِ المُعارضةَ (**أَعْدَى الأَعَادِي**) أي عادَ هذا الشّديدُ العِنادِ (**إِلَيْهَا**) مُنقادًا لِعَجزِه عَن مُعارَضتِها (**مُلْقِيَ السَّلَمِ**) أي سِلاحَهُ مُسْتَسلِمًا.

٩٦- رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعارِضِهَا
رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ

اللُّغة: (**الجانِي**): المُذْنِب.

المعنَى: (**رَدَّتْ**) أي أبطَلَتْ (**بَلَاغَتُهَا**) أي بلاغةُ الآياتِ الشّريفةِ وفَصاحَتُها (**دَعْوَى**) كُلِّ (**مُعارِض**) لَـ(**ـهَا**) مُدّعٍ الإتيانَ بمِثلها (**رَدَّ**

الغَيُورِ) أي كَرَدِّ الرَّجُلِ شديدِ الغَيرةِ **(يَدَ)** أي أذَى **(الجَانِي)** المُعتَدِي **(عَنِ الحُرَمِ)** أي عَن مَحارِمِه.

<u>**اللامعة**</u>: رَوَى الحاكِمُ في «المُستَدرَك» عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرَةِ[1] جاءَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيهِ القُرءانَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَومَكَ يَرَونَ أَن يَجمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لَمَ؟ قَالَ: لِيُعطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيتَ مُحَمَّدًا لِتُعرِضَ لِمَا قِبَلَهُ، قَالَ: قَد عَلِمَتْ قُرَيشٌ أَنِّي مِن أَكثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُل فِيهِ قَولًا يَبلُغُ قَومَكَ أَنَّكَ مُنكِرٌ لَهُ أَو أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟! فَوَاللَّهِ مَا فِيكُم رَجُلٌ أَعلَمَ بِالأَشعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشعَارِ الجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيئًا مِن هَذَا، وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَولِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً،

---

(١) أحد قادة قريشٍ المُشركِين الّذين عَدوُا النّبِيّ ولم يُسلِموا، وهو والِدُ سيّدِنا خالدِ بنِ الوليدِ رضي الله عنه.

وَإِنَّ عَلَيهِ لَطَلَاوَةً[1]، وَإِنَّهُ لَمُثمِرٌ[2] أَعلَاهُ مُغدِقٌ[3] أَسفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعلُو وَمَا يُعلَى وَإِنَّهُ لَيَحطِمُ مَا تَحتَهُ، قَالَ: لَا يَرضَى عَنكَ قَومُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: هَذَا سِحرٌ يُؤثَرُ، يَأثُرُهُ مِن غَيرِهِ، فَنَزَلَت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدَّثر: ١١]. قال الحاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ عَلَى شَرطِ البُخَارِيِّ وَلَم يُخَرِّجَاهُ».

٩٧- لَهَـــا مَعَـــانٍ كَمَـــوْجِ البَحْـــرِ فِي مَـــدَدٍ
وَفَـــوْقَ جَـــوْهَرِهِ فِي الحُسْـــنِ وَالقِـــيَمِ

اللُّغة: (**المَدَد**): أي الامتِداد والاتِّصال.

المعنَى: (**لَهَا**) أي للآياتِ القُرءانيّةِ (**مَعَانٍ**) كثيرةٌ (**كَمَوْجِ البَحْرِ**) تتدَفَّقُ (**فِي مَدَدٍ**) أي في اتّصالٍ وامتِدادٍ كالبَحرِ يَمُدُّ بعضُه بَعضًا (**وَ**)ءاياتُ

---

(١) أي حُسنًا ورَونَقًا وقَبولًا.

(٢) أي كثيرُ النَّفعِ.

(٣) يعني غزيرَ المَعاني كغزارةِ الماءِ.

القُرءانِ تَبلُغ مَنزِلةً (**فَوْقَ جَوْهَرِهِ**) أي جَوهرِ البَحرِ المُستَخرَجِ مِنهُ (**في الحُسْنِ وَالقِيَمِ**) أيِ القَدرِ، ففي الآياتِ مِن المعاني والأسرار والأنوار ما يفيض كأمواج البحار، وفيها مِن الفوائد النَّفائسِ ما هو أعظم من لآلئ البحار.

٩٨- فَــلَا تُعَــدُّ وَلَا تُحْصَــى عَجَائِبُهَــا
وَلَا تُسَــامُ عَلَى الإِكْثَــارِ بِالسَّــأَمِ

اللُّغة: (**تُسامُ**): أي تُوْصَف. و(**السَّأَمُ**): أي المَلالةُ.

المعنَى: (**فَلَا تُعَدُّ**) محاسِنُ ومَعانِي الآياتِ بِتَعدادِ أحَدٍ مِن الخلَقِ (**وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا**) عِندَ أحدٍ مِنهُم (**وَ**)مع ذلك فهي (**لَا تُسَامُ**) أي لا تُوصفُ (**عَلَى**) أي معَ (**الإِكْثَارِ**) مِنها (**بِالسَّأَمِ**) أي المَلَلِ مِنها، فلا يَملُّ مِنها مع كَثرَتِها تالٍ لها وسامِعٌ، وذلك لِما فيها مِن أسرارٍ وأنوارٍ وبلاغةٍ ومعانٍ. فكأنَّ البُوصِيرِيَّ أراد ما عناهُ الشّاعِرُ بِقَولِه:

ما يرجع الطرف عنها بعد رؤيتها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

٩٩- قَـــرَّتْ بِهَـــا عَـــيْنُ قَارِيْهَـــا فَقُلْـــتُ لَهُ
لَقَـــدْ ظَفِـــرْتَ بِحَبْـــلِ اللهِ فَاعْتَصِـــمِ

اللُّغة: (**قَرَّتْ عَينُه**): أي بَرَدَتْ دَمعَتُها مِن السُّرور. و(**حَبْلُ اللهِ**): القُرءانُ. و(**الاعتِصام**): الاسْتِمْساكُ.

المعنَى: إنّ ءاياتِ القُرءانِ قَد (**قَرَّتْ**) أي سُرَّتْ (**بِهَا عَيْنُ قَارِيْهَا**) واطمَأَنَّتْ (**فَقُلْتُ لَهُ**) أي لِقارئِها واللهِ (**لَقَدْ ظَفِرْتَ**) أي فُزْتَ مِن اللهِ تعالَى بسببِ العمَلِ (**بِحَبْلِ اللهِ**) أي القُرءانِ (**فَاعْتَصِمِ**) أي فتَمَسَّك به، فقد أوصَى بذلك ربُّنا في القُرءان الكريم فقال عَزَّ وجلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [ءال عِمران: ١٠٣].

١٠٠- إِنْ تَتْلُهَـــا خِيْفَـــةً مِـــنْ حَـــرِّ نَـــارِ لَظَـــى

....

اللُّغة: (**لَظَى**): هي جَهَنَّم. و(**الوِرْد**): الماءُ المورُود. و(**الشَبِمُ**): البارِدُ.

المعنَى: إنّ ءاياتِ القُرءانِ قد تكون سببًا لنَجاتِكَ مِن العذابِ في الآخرة وذلك أنّك (**إِنْ تَتْلُها**) بنيّة حَسنةٍ وأنتَ مُتّقٍ للهِ عامِلٌ بما في القُرءانِ مِن الأحكامِ مُعتصِمٌ بهِ (**خِيْفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى**) في الآخِرة ثُمّ تموت على ذلك فإنّك تنجو مِن دُخول النّارِ وتدخلُ الجنّة ءامِنًا، وكذلك إنْ لَم تَتْلُ القُرءانَ إلّا أنّكَ أدَّيتَ الواجباتِ واجتنَبْتَ المُحَرَّماتِ وخرجتُ مِن دُنياكَ تَقِيًّا فإنّ مأواك تَدخُل الجنّة بلا عذابٍ.

أمّا عَجُزُ هذا البيتِ كما هو في النُّسَخ المُتداوَلة ففاسِدٌ ونصُّه:

(أَطْفَأْتَ نَارَ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ)

وفي روايةٍ: (أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ)

فكِلاهُما مُخالِفٌ لِنَصّ القُرءانِ والسُّنّة والإجماع، واعتقادنا في الناظم رحمه الله أنّه بريء منه ولا يُستَبعَدُ أن يكون قد حَصَل تصحيفٌ في

بعض ألفاظه، وبيان ذلك أنّه **لا يجوز** أن يقال ولا أن يُعتَقَد أنّ نار جهَنَّم تنطفِئ بالأوراد أو الصلاة أو بالصيام أو بتلاوة الآياتِ، لأنَّ الله تعالى قال في وصفِ جهنَّم: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ [فاطِر: ٣٦] وقال تعالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [ءال عِمران: ٨٨]، وقال سُبحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التّغابُن: ١٠]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، فقد خلَقَ اللهُ النّارَ وشاء لها البقاء إلى غير نهاية، فهي لا تنطفئ ولا لِلَحظةٍ.

وقد نقَلَ الإجماعَ على عدَمِ فَناءِ النّارِ عِدّةٌ مِن الحُفّاظ والأصوليّين مِنهم الحافظ أبو منصورٍ البغداديُّ في «الفَرْق بَين الفِرَق»[1] وتقيّ الدين السُّبكيّ

(١) «الفَرْق بَين الفِرَق»، أبو منصورٍ البغداديُّ، (ص/٣٣١).

في «الاعتبار بِبقاء الجنّة والنّار»[1] والحافظ ابن حَجَر العسقلانيّ في «فتح الباري»[2] والمُتكلِّمُ السَّعد التّفتازانيّ في «شرح المَقاصِد»[3] وغيرُهم.

أمّا ما تكلَّف له بعض شُرّاح «البُردة» مِن حَملِهم لعَجُز هذا البيت الفاسِد على معنَى أنّ التالِيَ للآيات يَنجُو مِن العذابِ ويُطفِئُ النّارَ عن نَفسِه فهو تأويلٌ بعيدٌ وتَكَلُّفٌ في غَيرِ محلِّه، فلَأَنْ يُقال: أخطأَ ناسِخٌ أو صَحَّف بَعضُهُم أو حرَّف ءاخَرون أهوَنُ بألفِ مَرّةٍ بل أكثرَ مِن أن يُعتَقَد ظاهِرُ لَفظٍ يُصادِمُ الشّريعةِ وأهوَنُ مِن أنْ يُنسَبَ للبُوصيرِيّ كلامٌ مُخالِفٌ للشّريعةِ ونحنُ نُبرّئُه مِن كُلِّ ما عارَضَ الشّريعةَ بلا تَوَقُّفٍ، فالأدَب كلّ الأدب في الوقوفِ مع القرءان وعِندَ حُدودِه لا معارَضتِه ومُخالَفتِه، فلَيسَ الحَقُّ يُعرَفُ بالرِّجال ولكِنَّ الرِّجالَ يُعرَفُونَ بالحَقِّ.

ثُمّ إنّه كثيرًا ما افتُرِي على العُلماءِ والأولياءِ بأبياتٍ ليسَ مِن تأليفهِم ويَجِلُّ مقامُهم عن أن يقولُوا مِثلها، مِن ذلك ما افتُرِي على سيّدنا ومولانا

(١) «الاعتبار ببقاء الجنّة والنار»، تقيّ الدِّين السُّبكي، (ص/٥٧- ٥٨).

(٢) «فَتح الباري»، ابن حجر العَسقلانيّ، (٤٢١/١١).

(٣) «شرح المَقاصِد»، سعد الدِّين التّفتازانيّ، (١٣١/٥ و١٣٣).

القطب الشيخ عبد القادر الجيلانِيّ رضي الله عنه وأرضاه، فقد افتُرِيَ عليه أنّه قال:

وَلَوْ أَنّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي إِلَى لَظَى لأُخْمِدَتِ النِّيرانُ مِنْ عُظْمِ سُلْطَانِي

وهذا البيتُ كذِبٌ وافتِراءٌ على الشيخ عبد القادرِ، فهو رضي الله عنه أجلُّ وأعظَم مِن أن يقول قولًا يعارِضُ القُرءانَ، والأولياء أشدُّ تأدُّبًا مع كتاب الله ودينه من عامة الناس.

١٠١- **كَأَنَّهــا الحَــوْضُ تَبْـيَضُّ الوُجُـوهُ بِـهِ**
مِــنَ العُصَـاةِ وَقَــدْ جَـاؤُوهُ كَالحُمَــمِ

اللُّغة: (**الحُمَم**): جَمع حُمَمَةٍ وهي الفَحْمة المُسْوَدّة.

المعنَى: لَمّا كانتَ ءاياتُ القُرءانِ شفيعةً لقارئِها مِن المؤمنِينَ في الدُّنيا كانَتْ (**كَأَنَّها الحَوْضُ**) لأنّها تكونُ سببًا في إخراجِه مِن النّارِ إنْ كُتِبَ

لهُم العذابُ في النّارِ فيَخرجون إلى مُغتَسَلٍ هو نهَرُ الحياةِ لا حَوضُ النّبِيّ ﷺ، فيَدخُلُه العُصاةُ بعد خُروجِهم مِن النّارِ فيُغسَلون فيه فـ(**ـتَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ**) أي بسببِ المَتلُوّ مِنَ الآياتِ في الدُّنيا، فيَذهَبُ عنهُم أثَرُ المَحْشِ أي الحَرقِ الّذي أصابَهُم في النّارِ إنْ كانوا (**مِنَ العُصَاةِ**) أهلِ الكبائِرِ الّذِين كُتِبَ لَهُم دُخولُ النّار (**وَقَدْ جَاؤُوهُ**) خرَجوا مِنها إلى نَّهرِ (**كَالحُمَمِ**) أي كالفَحمِ.

اللامعة: ثبتَ في الحديثِ الصّحيح أنّ النبّيَّ ﷺ قال: «**وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ**[١]**، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ**[٢]**، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ**[٣]**، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ**[٤] **ثُمَّ يَنْجُو،**

(١) نَبْتٌ له شَوكٌ عظيمٌ، ويُقالُ لِشَوكِه حَسَكُ السَّعدان، يُشبِهُ حَلَمَة الثَّدْيِ، قاله المُلّا عليٌّ القاري.

(٢) أي تأخذُ الكلاليبُ النّاسَ بحَسَب أعمالهم السّيّئة.

(٣) أي يَهلِك ويُحبَس بِعَمَلِه القبيحِ.

(٤) أي يُقَطّع.

حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ ءَادَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا[1] فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ[2] فِي حَمِيلِ السَّيْلِ[3]» الحديثَ.

١٠٢- وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ مَعْدِلَةً فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

اللُّغة: (القِسْط): أي العَدْل.

---

(١) أي احترَقوا.

(٢) بِكَسر الحاء.

(٣) أي محمُولِه.

المعنَى: (**وَ**)ءاياتُ القُرانِ هيَ ءاياتُ حَقٍّ (**كَالصِّـرَاطِ**) استِقامةً (**وَكَالمِيزَانِ مَعْدِلَةً**) أيْ عَدْلًا (**فَالقِسْطُ**) أيِ العَدلُ (**مِنْ غَيْرِهَا**) أي مِن غَيرِ الآياتِ (**فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ**) فلا يحصل العَدل بين النّاس إلا باتّباع القُرءان والتزام شَريعَتِه.

١٠٣- لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ

<u>**اللُّغة**</u>: (**حاذِقٌ**): ماهِرٌ.

<u>**المعنَى**</u>: (**لَا تَعْجَبَنْ**) أيُّها المُؤمِنُ بهذهِ الآياتِ (**لِحَسُودٍ**) أي مِنهُ إذْ أخذَهُ حسَدُه للنَّبيّ ﷺ فـ(**ـرَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلًا**) مِنهُ (**وَ**)إنَّمَا (**هْوَ**) في الحقيقةِ (**عَيْنُ**) أي نَفْسُ (**الحَاذِقِ**) كثيرِ (**الفَهِمِ**) لِما اشتَمَلَتْ علَيهِ مِن أنواع الإعجاز الدّالّةُ على صِدقِ النّبِيّ محمَّد ﷺ، وإنّما مَنَع هذا الحاسِدَ حسَدُه وعِنادُهُ، فلا تَعجَبَنَّ أيُّها المُؤمِنُ فإنّ الحاسِد قد يُنكِرُ أمرًا موجود يراهُ مِن بابِ العِنادِ.

اللامعة: قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، قيل: ما بَطَن هوَ الحسدُ[١].

وقد دَأَبَ الوُعّاظ وأربابُ القُلوب على التّحذير مِن الحَسَد، فِممّا قالوا:

- أثر الحسدِ يتبَيّن فيك قبل أَن يتبَيّن في عَدُوِّك.
- وقالَ الأصمعي: رأيت أعرابيًّا أتَى عليهِ مائة وعشرون سنةً، قُلْت لَهُ: ما أطوَلَ عُمرك؟ فقالَ: تركتُ الحسد[٢] فبَقِيتُ.

---

(١) قال الإمام الهرريُّ رضي الله عنه: "الحسدُ هوَ أن يَكرَه الشخصُ النعمةَ التي أنعمَ الله بها على المسلم دينيّة كانت أو دنيويةً وتَمنّي زوالِها واستثقالُها له، وإنما يكونُ معصيةً إذا لم يكرهْه أي إذا لم يستشعر بكراهيةِ ذلك مُخالفةً لنفسه، ومَحلُّهُ أيضًا إن عملَ بمقتضاهُ. قال بعضُ السلف: "لا يعصي إلا إذا عمِلَ بمقتضاه". ومثالُ العمل بمقتضاهُ أن يذهبَ للناسِ ويقولَ: لا تُعامِلوهُ، حتى لا يزيدَ مالُهُ، وأما مجردُ تمنّي زوالِ النعمةِ الدنيويةِ عن المسلمِ دونَ العملِ بمُقتضاهُ فليسَ حسدًا محرَّمًا، فالحسدُ الذي هو حرامٌ هو تمنّي زوالِ النعمةِ عن المسلم مع السَّعي لذلك بالقول أو بالفعلِ بالبدن، أمّا إذا لم يقترن به ذلك فليسَ فيه معصيةٌ" اهـ.

(٢) أي الذي يكون سببًا للغَمّ والهَمّ.

- ويقال: الحاسِد ظَالِم غَشُوم لا يُبقِي ولا يَذَر.
- وقالَ عُمَر بن عَبْد الْعَزِيز: ما رأيتُ ظالِمًا أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد: غَمٌّ دائم ونَفَسٌ متتابع.
- وقيل: من علامات الحاسد أَن يتَمَلَّق إِذَا شهدتَ ويغتابَ إِذَا غِبتَ ويشمَت بالمصيبة إِذَا نزلَتْ.
- وقيل: الحاسد إِذَا رأى نِعمة بُهِت، وإذا رأى عِثْرة شَمِت.
- وقيل: إِذَا أردتَ أَن تسلم من الحاسد فلَبِّس عليهِ أمرَك[1].
- وقيل: إياك أَن تتَعَنَّى[2] في مَوَدّة مَن يَحسُدك فَإِنَّهُ لا يَقبَل إِحسانَك.

١٠٤- قَـدْ تُنْكِـرُ العَـيْنُ ضَـوْءَ الشَّـمْسِ مِـنْ رَمَـدٍ
وَيُنْكِــرُ الفَــمُ طَعْــمَ المَــاءِ مِــنْ سَــقَمِ

اللُّغة: (السَّقَم): المَرَض.

---

(١) أي استر نِعَم الله عليك لئلّا يتمنّى الحاسد زوالَها ويسعى في ذلك.

(٢) أي أن تُتعِبَ نفسَك.

المعنَى: (**قَدْ تُنْكِرُ العَيْن**) الباصِرةُ (**ضَوْءَ الشَّمْسِ**) أي وُجودَه (**مِنْ رَمَدٍ**) أصابَ العَينَ فتَظُنُّ أنّ الضّوءَ غيرُ موجودٍ والحالُ أنّ العِلّة في الباصِرةِ (**وَ**)كذلك قَد (**يُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ**) العَذبِ (**مِنْ سَقَمٍ**) أي مَرَضٍ أصابَهُ فيَمنَعُه مِن الاستِطعامِ فيَسُبُ فَسادَ الطّعمِ إلى الماء.

الفصل السابع: في إسرائِه ومعراجِه ﷺ

١٠٥- يَــا خَــيْرَ مَــنْ يَمَّــمَ العَــافُونَ سَــاحَتَهُ
سَــعْيًا وَفَــوْقَ مُتُــونِ الأَيْنُــقِ الرُّسُــمِ

اللُّغة: (**يَمَّمَ**): أي قَصَد. و(**العافُونَ**): جَمْع عافٍ وهو طالِبُ المَعرُوف. و(**المُتون**): الظُّهور. و(**الأَيْنُق**): أي النّياقُ جَمْع ناقةٍ.

المعنَى: يَا رَسولَ اللهِ (**يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ**) أي قصَدَ (**العَافُونَ**) طالِبُوْ المعروفِ (**سَاحَتَهُ**) أي ساحةَ دارِهِ (**سَعْيًا**) أي وهُم ساعُونَ مُسرِعُونَ على الأقدام (وَ)راكبُونَ (**فَوْقَ مُتُونِ**) أي ظُهورِ (**الأَيْنُقِ الرُّسُمِ**) أي النُّوقِ المُؤثِّرة في الأرضِ مِن شِدّة وطئِها علَيها.

١٠٦- وَمَــــنْ هُـــوَ الآيَــــةُ الكُــــبْرَى لِمُعْتَــــبِرٍ
وَمَــــنْ هُـــوَ النِّعمَــــةُ العُظْــــمَى لِمُغْتَــــنِمِ

اللُّغة: (**الآيةُ**): أي العلامةُ.

المعنَى: يَا رَسولَ اللهِ يَا خَيرَ خَلْقِ اللهِ (وَ)يَا (**مَنْ هُوَ الآيَةُ**) أي العَلامةُ (**الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ**) مُتأمِّلٍ مُتفكِّرٍ مُتَذَكِّرٍ في عَظِيم هِدايَتِه وبرَكاتِه (وَ)يَا (**مَنْ هُوَ النِّعمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ**) يَغتَنِمُ خيرَ النِّعَم وهي اتّباعُ النّبِيّ ﷺ.

اللامعة: مِن أسماء النّبيّ الّتي عَدَّها لهُ أهلُ السِّيَر «**نِعمةُ الله**» فهو ﷺ نِعمةٌ على مَن ءامَن بِهِ في الدَّارَين. وقد ذهَبَ بعضُ المُفسِّرين في تأويل

قَولِ الله تعالَى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النَّحل: ٨٣] أي يَعرِفون النّبيَّ محمَّدًا ﷺ أنّه على حَقٍّ وأنّه مُرسَلٌ مِن عِند الله ومع ذلك جَحَدوا نُبُوَّته، وإليهِ ذهَبَ السُّدِّيُّ الكبيرُ.

تنبيه: في البيتِ الآتِي تَسمِيةُ "المسجِد الأَقصَى" حَرَمًا وهو خِلافُ الصّواب

١٠٧- **سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ**[١]
كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

اللُّغة: **(سَرَى)**: أي سارَ ليلًا. و**(الدّاجي)**: المُظْلِم.

(١) الصّوابُ أنّ المسجِد الأقصى بِبَيتِ المَقدِس ليس حَرَمًا وليس له مِن حيث الأحكام كُلُّ ما لِحَرَمِ مَكّةَ أو المَدِينةِ المنوّرةِ.

<u>المعنَى</u>: الصّوابُ أنْ يُقال: «**إلى قُدُسٍ**» مَثلًا بدَل أن يُقال «**إلى حَرَمٍ**»، وقَلَّما رأينَا مِن شُرّاح «البُردة» مَن نَبَّه على ذلك، غير أنّ بَدرَ الدِّينِ **محمَّدًا الغَزّيّ** (ت ٩٨٤هـ) قال في شَرحِه: "إلّا أنْ يُرادَ بالحَرَمِ المَوضِعَ المُحتَرَمِ" اهـ.

والمعنَى: (**سَرَيْتَ**) أي سِرتَ يا رَسولَ الله على دابّةِ البُراقِ (**مِنْ حَرَم**) مَكّةَ سائِرًا (**لَيْلًا إِلَى قُدُسٍ**) أي بيتِ المَقدِسِ حيثُ المَسجِدُ الأقصَى، وسُمِّيَ بيتُ المَقدِسِ بذلك لأنّه بيتُ الطُّهرِ أي البيتُ المُبارَكُ، وكان إسراؤُه ﷺ (**كَمَا سَرَى البَدْرُ**) التّامُّ النُّورِ ليلةَ كَمالِه (**فِي**) لَيلٍ (**دَاجٍ**) أي مُظلِمٍ (**مِنَ**) اللّيالِي ذِي (**الظُّلَمِ**) ووجهُ التّشبيه أنّه ﷺ نُورٌ مُبِينٌ كالبَدرِ بل أحلَى وقد سَرَى ﷺ مسافةً طويلةً في اللّيلِ المُظلِمِ كما يَسري البَدرُ المُنيرُ مُضيئًا وَحدَهُ في سَماءِ اللَّيل المُظلِمِ.

١٠٨- وَبِـــتَّ تَـــرْقَى إِلَى أَنْ نِلْـــتَ مَنْزِلَـــةً
مِــنْ قَــابَ قَوْسَــيْنِ لَــمْ تُــدْرَكْ وَلَــم تُــرَمِ

<u>اللُّغة</u>: (**لَم تُرَم**): أي لَم تُطْلَبْ.

المعنَى: (**وَبِتَّ**) وقتَ مِعراجِكَ يا رَسولَ اللهِ (**تَرْقَى**) أي تَصعَدُ في تِلكَ اللّيلةِ مُختَرِقًا السّماواتِ السَّبعَ الطِّباقَ (**إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً**) دَنَا عِندَها (**مِنْـ**)ـكَ جِبريلُ عليهِ السّلامُ مسافةً (**قَابَ**) أي قَدْرَ (**قَوْسَيْنِ**) أي ذِراعَينِ أو أَقَلَّ كما قال تعالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جِبريلُ عليهِ السّلامُ مِنَ النّبِيّ محمَّدٍ ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ إلَيهِ نُزولًا ﴿فَكَانَ﴾ في القُرب مِنهُ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النَّجم: ٨-٩]، فنِلتَ يا سيّدِي يا رسولَ الله مَنزِلةً (**لَمْ تُدْرَكْ**) مِن قَبلُ لأحَدٍ مِن الأنبياءِ عليهِمُ السّلامُ (**وَلَم تُرَمِ**) أي ولَمْ يَطلبُها مِنهُم أَحَدٌ.

اللامعة: وورد في الحديث الصحيح أن جبريل عليه السلام خلق على ستمائة جناح يتناثر منها تهاويل الدُّرّ والياقوت، فلم يَكُن رسول الله ﷺ يراه قبل هذه المرّة إلا بصورة إنسان أو يسمع صوته من غير أن يرى له صورةً، ثم رءاه ﷺ ليلة المعراج أيضًا على تلك الصورة عند سدرة المنتهى التي تعلو إلى السماء السابعة فلم يحصل لرسول الله ﷺ في تلك المرة ما حصل له في المرة الأولى في الأرض مِن الغَشْي، فمعنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النَّجم: ٨-٩] أنّ جبريل اقترب من محمد بمِقدار ذِراعَين بل أقربَ.

وليس معناهُ ما يفتريه بعض الجَهَلةِ فيقولون إنّ الله تعالى دنا بذاتِه مِن مُحمَّدٍ فكان بين محمد وبين الله كما بين الحاجب والحاجِبِ، نعوذُ بالله مِن الضّلال البَعِيد، فإثباتُ المَسافة لله تعالى مُحالٌ، لأنّ المسافة للمخلوقِ أمّا الخالق تعالَى فموجودٌ بلا كيف ولا مكانٍ، ليس بَينَه وبين خَلْقِه مَسافةٌ. فالعرش الذي هو أعلى المخلوقاتِ والفَرْشُ الذي هو مُنتهَى المخلوقات في الجهة السُّفلى على حدٍّ سواءٍ بالنسبة إلى ذاتِ الله، فلا يجوز اعتقاد القُرْب المكاني أي المَسافِيّ في حَقِّ الله تعالى.

فمَن قال افتِراءً على الله: "إنّ الله اقتَرَب مِن الرَّسولِ كقُرب الحاجِب من الحاجِب" فهو خارِجٌ مِن الإسلامِ كافِرٌ بِرَبِّه سواءُ دَرَى أو لَم يَدْرِ.

قال العَلّامةُ أحمدُ بنُ إسماعيلَ الـگوراني (Gürani) (ت ٨٩٣هـ)، أستاذُ السُّلطان محمَّدٍ الفاتِح رضي الله عنه، في كتابه «الكَوثر الجاري»: اتّفَقَتِ الرِّواياتُ على أنّ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قُرْبُ جِبريلَ منه، لأنّ القُربَ المَكانِيَّ مِن الله تعالى مُحالٌ، هذا مِمّا يَجِبُ الإيمانُ به، وإنْ قال أحَدٌ غيرَ هذا فضَلالةٌ. قال بعضُ الفُضَلاء: لو صَحَّتْ تلك الرِّوايةُ كان محمولًا

على التَّصوِير، وتَمثِيلُ المَعقولِ بالمَحسوسِ دِلالةٌ على أنّهُ في غاية أعلَى الرُّتَبِ، وهذا الّذِي قالَهُ حَسَنٌ لو صَحَّتِ الرِّوايَةُ" ا.هـ.

وأمّا الحديثُ الذي رواه البُخاري في «صَحِيحِه»: «**وَدَنَا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كانَ مِنْهُ قابَ قَوْسَينِ أَوْ أَدْنَى**» فقد طَعَن في هذِه الرِّوايةُ بعضُ الحُفّاظِ كعَبدِ الحَقِّ، وذهَبَ الخَطّابِيُّ فيما نَقلَهُ عنهُ الحافظ العَسقلانيُّ في «الفتَح» إلى قَولِ ما نصُّه: "ليسَ في هذا الكتاب، يَعنِي صحيحَ البُخارِيّ، حديثٌ أشنَعَ ظاهِرًا ولا أشنَعَ مَذاقًا مِن هذا الفصلِ، فإنّه يَقتضِي تحديدَ المَسافة بين أحَدِ المذكُورينَ وبينَ الآخرِ وتَمييزَ مَكانِ كُلّ واحِدٍ مِنهُما، هذا إلى ما في التَّدَلّي مِنَ التَّشبيهِ وَالتّمثِيلِ له بالشَّىءِ الَّذي تَعَلَّق مِن فَوقُ إلى أسفَلَ" ا.هـ.

١٠٩- وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

المعنَى: (وَقَدَّمَتْكَ) يا رَسولَ اللهِ (جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا) في بيَتِ المَقدِس فصلَّيتَ بِهِم إمامًا (وَ) كان تَقديمُ الأنبياءِ و(الرُّسْلِ) لكَ (تَقْدِيمـ)ـًا مِثلَ تقديمِ (مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ) في المَنزِلة.

اللامعة: رَوَى مُسلِمٌ في «صحيحِه» مِن حديثِ أبي هريرةَ أنّ النّبِيَّ ﷺ قال: «وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ[1] جَعْدٌ[2] كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ[3]، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ» الحديث.

١١٠- وَأَنْـــتَ تَخْـــتَرِقُ السَّـــبْعَ الطِّبَـــاقَ بِهِـــمْ

(١) أي وسَطٌ مِن الرِّجالِ في الجِسم، وقيل: خَفيفُ اللَّحم.

(٢) يُريد جعودة الجسم وهو اجتماعه، قاله المّلا عليٌّ القاري.

(٣) فإنّ رجالَ قبيلةِ شَنُوءةَ لم يَكونوا سِمانًا.

فِي مَوْكِـبٍ كُنْـتَ فِيـهِ صَـاحِبَ العَلَـمِ

اللُّغة: (**السَّبْعُ الطِّباقُ**): السَّماواتُ وهي طِباقٌ لأنّ بعضَها فَوقَ بعضٍ مِن غير اتّصالٍ بينَها و(**العَلَم**): اللِّواء.

المعنَى: رَقِيتَ يا رَسولَ اللهِ (**وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ**) تَقطَعُ السّماواتِ (**السَّبْعَ الطِّبَاقَ**) أي الّتي بعضُها فَوقَ بعضٍ مِن غير اتّصالٍ بينَها، اختَرَقتْها سماءَ بَعد سماءٍ حالَ كونِك مارًّا (**بِهِمْ**) أي ببعضِ الرُّسُلِ عليهِمُ السَّلامُ وأنتَ (**فِي مَوْكِبٍ**) أي جَمعٍ مِن الملائكةِ (**كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ**) أي الرّاية، يعني كُنتَ كبيرَ الجَمْعِ شأنًا.

اللامعة: رَوَى البُخاريُّ في «صَحيحِه» مِن حديثِ أَنَسٍ رضيَ الله عنه عنِ النّبيّ ﷺ قال: «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ**

أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ[1]؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ

(١) يعني هل طُلِب للعرُوج، وسؤال الملَك كان فَرَحًا واستِبشارًا لا استِبعادًا واستِنكارًا. قال الحافظ النوويُّ: "وليس مُراده الاستفهامَ عن أصل البِعثة والرسالة فإنّ ذلك لا يَخفى عليه إلى هذه المُدّة، فهذا هو الصحيح" اهـ.

الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» الحديثَ.

١١١- حَــــتَّى إِذَا لَــــمْ تَــــدَعْ شَــــأْوًا لِمُسْــــتَبِقٍ
مِــــنَ الدُّنُــــوِّ وَلَا مَــــرْقًى لِمُسْــــتَنِمِ

اللُّغة: (**الشَّأْوُ**): أي الغايةُ. و(**الدُّنُوُّ**): أي القُرْب. و(**المَرْقَى**): هو محَلُّ الارتِقاء. و(**المُسْتَنِم**): طالِبُ الرِّفعةِ.

المعنَى: لَمْ تَزَلْ وقتَها تَخترِقُ السّماواتِ إلى مقامِ القُرب المَعنويِّ (**حَتَّى إِذَا**) زِدتَ اختِراقًا (**لَمْ تَدَعْ**) أي لَمْ تَترُكْ (**شَأْوًا**) أي غايةً (**لِمُسْتَبِقٍ**) يُرِيدُ السَّبْقَ (**مِنَ الدُّنُوِّ**) أي القُربِ المَعنوِيِّ (**وَلَا مَرْقًى**) أي موضِع ارتِقاءٍ (**لِمُسْتَنِمِ**) أي لِطالبِ رِفعةٍ.

١١٢- **خَفَضْــــــتَ كُلَّ مَقَــــامٍ بالإِضَــــافَةِ إِذْ**

نُودِيــتَ بِــالرَّفعِ مِثْــلَ المُفْــرَدِ العَلَــمِ

اللُّغة: (**الرَّفْعُ**): الارتِفاعُ. و(**العَلَم**): المُشارُ إليهِ.

المعنَى: فَلَمَّا بلَغتَ تلك المَرتبةَ العالِيةَ (**خَفَضْتَ**) تَجاوزتَ (**كُلَّ مَقَامٍ**) مِن مَقاماتِ إخوانِك الأنبياءِ عليهمُ السّلامُ وسَموتَ فوقَهُم في مقامٍ عالٍ (**بالإِضَافَةِ**) أي بالنِّسبةِ إلى مَقامِكَ العالِي، فالأنبياءُ عليهمُ السّلامُ كُلُّهم

مُتَّصِفُونَ بالصِّفاتِ الحَمِيدةِ والمَقاماتِ العالِيةِ إلّا أنَّ **محمَّدًا** ﷺ سَمَى على الكُلِّ رِفعةً فوقَ رِفعةٍ، وقد نِلتَ يا سيّدي يا رَسولَ اللهِ ذلكَ المَقامِ العالِي **(إِذْ)** أي حِينَ **(نُودِيتَ)** أي ناداكَ اللهُ تعالى نداءً **مخصوصًا** **(بِالرَّفعِ)** أي لِرَفعِ شأنك بين الأنبياء **(مِثْلَـ)**ـما خُصَّ **(المُفْرَدِ العَلَمِ)** بالرَّفع مِن دُونِ أقسام المُنادَى، والمراد به المَعرِفةُ.

<u>اللامِعة</u>: رَفَع اللهُ تعالَى قَدْرَ نَبِيّه **محمّدٍ** ﷺ في الدُّنيا والآخِرة، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشَّرْح: ٤]، فرُفِع اسمُ النّبِيّ **محمَّدٍ** ﷺ بِقَرنِهِ بذِكرِ اللهِ في الشَّهادَتين وفي الأذانِ والإقامةِ للصّلاةِ وفي الخُطَب والتّشَهُّدِ في الصّلاةِ وغيرِ ذلكِ.

ورَوَى ابنُ حِبّانَ في «صحِيحِه» مِن حديثِ أبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي**».

١١٣- كَيْمَــــا تَفُـــوزَ بِوَصْـــلٍ أَيِّ مُسْـــتَتِرِ

عَـــــنِ العُيُـــــونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَــــــتِمِ

المعنَى: نِلتَ يا رَسولَ اللهِ ما نِلتَ مِن المُقاماتِ والمَزايا (**كَيْمَا**) أي مِن أجلِ أنْ (**تَفُوزَ بِوَصْلٍ**) أي بِقُربٍ مَعنويّ مِنَ اللهِ، وهذا المَقامُ الّذي نِلتَهُ مُستَتِرٌ عنِ الخَلقِ (**أَيِّ مُسْتَتِرٍ**) أيْ وكان لهذا المَقامِ استِتارٌ كامِلٌ (**عَنِ العُيُونِ وَ**)فُزتَ يا رَسولَ بِنَيلِ (**سِرٍّ**) مَكتومٍ عنِ الخَلقِ (**أَيِّ مُكْتَتِمِ**) يعني سِرًّا كامِلًا في الاكتِتامِ عنِ الخَلقِ، فلا يَبلُغُ أَحَدٌ مِن الخلقِ معرفةَ قَدْرِ عُلُوّ مَقامِ النّبيّ محمَّدٍ ﷺ، فهو يزيدُ كُلَّ يومٍ كمالًا.

١١٤- **فَحُــــزْتَ كُلَّ فَخَــــارٍ غَـــــيْرَ مُشْـــــتَرَكٍ**
وَجُـــــزْتَ كُلَّ مَقَــــامٍ غَـــــيْرَ مُـــــزْدَحَمِ

اللُّغة: (**حُزْتَ**): أي جَمَعتَ. و(**جُزْتَ**): أي جاوَزْتَ.

المعنَى: (**فَحُزْتَ**) أي جَمَعتَ (**كُلَّ فَخَارٍ**) بما نِلتَ مِن المَنزِلةِ العَظيمةِ وكُنتَ بهذا الفَخارِ مُستَقِلًا (**غَيْرَ مُشْتَرَكٍ**) معَ غَيرِك فيه (**وَ**)قَدْ (**جُزْتَ**)

أي عَبَرتَ (**كُلَّ مَقَامٍ**) بِمُفرَدِك (**غَيْرَ مُزْدَحِمِ**) أي وأنتَ غيرُ مُزاحَمٍ فيه مِن غَيرِك.

١١٥- **وَجَــلَّ مِقْـــدَارُ مَــا وُلِّيــتَ مِـــنْ رُتَـــبِ**
وَعَـــزَّ إِدْرَاكُ مَــا أُوْلِيْـــتَ مِـــنْ نِعَـــمِ

اللُّغة: (**أُولِيَ**): أي أُعْطِيَ.

المعنَى: (**وَجَلَّ**) أي عَظُمَ (**مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبِ**) أي مِن مَناصِبَ شَرِيفةٍ (**وَعَزَّ**) أي تعذَّرَ على غَيرِكَ مِن الخَلقِ (**إِدْرَاكُ**) أي الوصولُ إلى (**مَا أُوْلِيْتَ**) أي أُعطِيتَ (**مِنْ نِعَم**) أي مِن مَقاماتٍ عليّةٍ وفَضائِلَ سَمِيّةٍ.

١١٦- **بُشْــــرَى لَنَــا مَعشَــــرَ الإِسْــلَامِ إِنَّ لَنَــا**
مِـــنَ العِنَايَـــةِ رُكْنًـــا غَـــيْرَ مُنْهَـــدِمِ

اللُّغة: (**العِنايةُ**): أي العَونُ.

المعنَى: (بُشـرَى) عظيمةٌ (لَنَا مَعشَـرَ) أهلِ (الإِسْلَامِ) فـ(ـإِنَّ لَنَا مِنَ العِنَايَةِ) أي بِعَونٍ مِن اللهِ (رُكْنًا) عَظيمًا (غَيْرَ مُنْهَدِمِ) أي باقيًا وهي الشّريعةُ الغَرَّاءُ الّتي الباقية الّتي لا تُنسَخُ إلى يوم القِيامة.

١١٧- لَمَّـــا دَعَا اللهُ دَاعِينَـــا لِطَاعَتِـــهِ
بِـــأَكْرَمِ الرُّسْـــلِ كُنَّـــا أَكْـــرَمَ الأُمَـــمِ

اللُّغة: (دَعَاهُ): أي سَمَّاه.

المعنَى: (لَمَّا دَعَا) أيْ سَمَّى (اللهُ) تعالَى نَبِيَّنا محمَّدًا ﷺ الّذي هو (دَاعِيْنَا لِطَاعَتِهِ) جَلَّ جلالُه (بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا) نحنُ أُمَّةُ النَّبِيّ محمَّدٍ ﷺ (أَكْرَمَ الأُمَمِ) أُخرِجَت لِلنّاسِ.

وقيل معناهُ: (لَمَّا دَعَا) أيْ سَمَّى (اللهُ) تعالَى (دَاعِيَنَا) أيْ نَبِيَّنا محمَّدًا ﷺ الّذي دَعانا (لِطَاعَتِهِ) في طَاعةِ اللهِ (بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ) حيثُ اصْطَفاهُ مِن خَيرِ القَبائلِ وجعَلَهُ سيّدَ ولَدِ ءادَمَ (كُنَّا) نحنُ (أَكْرَمَ الأُمَمِ).

الفصل الثامن: في جهاد النبيّ ﷺ وأصحابه

١١٨- رَاعَـــتْ قُلُـــوبَ العِـــدَاْ أَنْبَـــاءُ بِعْثَتِـــهِ
كَنَبْـــأَةٍ أَجْفَلَـــتْ غُفْـــلًا مِـــنَ الغَـــنَمِ

اللُّغة: (رَاعَ): أَفزَعَ. (الأنباءُ): الأخبارُ. و(النَّبْأَة): الصَّرْخة. و(أَجْفَلَ): أَفْزَعَ. و(الغُفْل): جَمْع غافِل.

المعنَى: حِين بُعِثَ النّبِيُّ محمَّدٌ ﷺ (رَاعَتْ) أي فَزِعَتْ (قُلُوبَ) الكُفّارِ (العِدَاْ أَنْبَاءُ) أي أخبارُ (بِعْثَتِهِ) ﷺ بالرِّسالةِ حالَ كونِهِم غافِلِينَ عن دِين الإسلام، وكان فزَعَهُم (كَـ)ـفَزَعٍ ناشِئٍ عنْ (نَبْأَةٍ) أي زَأْرةِ أَسَدٍ ورَدَتْ علَيهِم فـ(ـأَجْفَلَتْـ)ـهُم أي أفزَعَتْهُم كما تُفزِعُ زَأْرةُ الأسَدِ جَمْعًا (غُفْلًا) أي غافِلِينَ (مِنَ الغَنَمِ) المُشتَغلِين بالأكلِ مِن المَرعَى غافِلِين عَمّا يَجرِي مِن حَولِهِم.

اللامعة: جاءَ في الحديثِ الصّحيح أنّ النّبِيَّ ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَيُرْعَبُ مِنِّي مِنْ مَيْسَرَةِ شَهْرٍ**» الحديثَ.

فكانَ إذا صارَ بينَه ﷺ وبين العَدُوِّ مسيرة شَهرٍ أوقَعَ اللهُ تعالى في قلوب أعدائِه الخوفَ منه وملأهُم رُعبًا وفَزَعًا، وهذه الخصوصيّة حاصلةٌ له ﷺ على الإطلاق حتى لو كان وحدَه بِغَير عَسكرٍ.

١١٩- مَـــــا زَالَ يَلْقَـــــاهُمُ فِي كُلِّ مُعْـــــتَرَكٍ
حَـــتَّى حَكَـــوْا بِالقَنَـــا لَحْمًـــا عَلَى وَضَـــمِ

اللُّغة: (**المُعْتَرَك**): مكانُ الاعتِراكِ. و(**حَكَوا**): شابَهُوا. و(**القَنا**): جَمعُ قَناةٍ وهي الرُّمْح. و(**الوَضَم**): ما يَضَعُ القَصّابُ اللَّحمَ عليهِ مُعِدًّا إيّاه لِمَن يأخُذُه.

المعنَى: (**مَا زَالَ**) ﷺ يحارِبُ الكُفّارَ حِينَ (**يَلْقَاهُمُ**) فيُطاعِنهُم (**فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ**) أي ساحةِ قِتالٍ مُزدَحِمةٍ وقَعَ بينَهُ وبَينَهُم، وذلك بِنَفسِه تارةً

وبِخَيلِه وبُعوثِه تارةً أُخرى (**حَتَّى حَكَوْا**) أي صارُوا يُشبِهون - مِن كَثْرِة ما أوقَعَ مِنهُم مِن قَتلَى وما أصابَهُم مِن جِراحاتٍ (**بِـ**)ـسببِ الطّعنِ بـ(**ـالقَنَا**) أي الرِّماحِ والضّربِ بالسُّيوفِ والرَّمْيِ بالنَّبْلِ - (**لَحْمًا**) مَطروحًا (**عَلَى وَضَم**) لتأكُلَهُ السِّباعُ والطُّيورُ، والوَضَمُ هو ما يُوضَع عليهِ اللَّحمُ مِن خشَبةٍ ونحوِها وِقايةً لهُ مِن الأرضِ.

<u>**اللمعة**</u>: كانَ رسولُ الله ﷺ أشجَعَ النّاسِ، وقد جاء في بيان ذلك أخبارٌ كثيرةٌ، مِنها:

- عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا**».
- وعنهُ رضي الله عنه أيضًا قال: «**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلُقِيَ الْقَوْمُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ**».

- وعن سَعدِ بنِ عِياضٍ الثُّماليّ قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلِيلَ الْكَلَامِ قَلِيلَ الْحَدِيثِ[١]، فَلَمَّا أُمِرَ بِالْقِتَالِ تَشَمَّرَ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَأْسًا».

- وعن أنَسٍ رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَرَكِبَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيًا، فَخَرَجَ النَّاسُ فَإِذَا هُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوتِ قَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَقَدْ وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ[٢]».

- وعن عِمرانَ بن الحُصَين رضي الله عنه قال: «مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ».

- وعنِ البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنه قال: «إنّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا غَشِيَهُ الْمُشْرِكُونِ، نَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَمَا رُؤِيَ فِي النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ».

---

(١) أي لا يَتَكلَّم إلا بخَير.

(٢) يعني أنّه وجَدَ الفرَسَ سَريعَ الجَرْيِ.

١٢٠- **وَدُّوا الفِـــــرَارَ فَـــــكَادُوا يَغْبِطُـــــونَ بِـــــهِ**
أَشْـــلَاءَ شَـــالَتْ مَـــعَ العُقْبَـــانِ وَالـــرَّخَمِ

اللُّغة: (**يَغبِطُونَ**): هنا بِمعنَى يَحسُدُونها.

المعنَى: (**وَدُّوا**) أي تَمَنَّى الكُفّارُ أعداءُ رسولِ الله ﷺ (**الفِرَارَ**) مِن الحربِ لشِدّة ما حَصَل لَهُم فلم يَقدِرُوا (**فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ**) أي يَتَمَنَّون أنْ لو جَرَى لَهُم كما حَصلَ لأمثالِهُم الّذين صارُوا (**أَشْلَاءَ**) مِنَ اللَّحمِ (**شَالَتْ**) أيِ ارتَفَعَتْ في الجَوِّ (**مَعَ**) الطُّيورِ (**العُقْبَانِ وَالرَّخَمِ**) الّتي أكَلَتْ مِنها وأخذَتْها طعامًا لفِراخِها.

١٢١- **تَمضِـــــيْ اللَّيَـــالِي وَلَا يَـــدْرُونَ عِـــدَّتَهَا**
مَـا لَـمْ تَكُـنْ مِـنْ لَيَـالِيْ الأُشْـهُرِ الحُـرُمِ

اللُّغة: (**عِدّةٌ**): أي عَدَدٌ. و(**الأشهُرُ الحُرُم**): أي الّتي لها حُرمةٌ ومَنزِلةٌ عِندَ اللهِ، كان حُرِّمَ فيها القِتالُ ثمّ أُبيحَ.

المعنَى: (**تَمضِـيْ اللَّيَالِي**) والأيّامُ (**وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا**) أي عَدَدَها لِشِدّة ما حصل عليهم مِن القِتال والمُحارَبة لهم (**مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِيْ الأُشْهُرِ الحُرُمِ**) وهي ذُو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرَّم ورَجَبٌ، يَعنِي إذا دَخَلَتِ الأشهُرُ الحُرُم عَرَفُوها بإمساكِ النَّبِيّ ﷺ عن قِتالِهم فيها أوّل الأمر، ثُمّ أُبيحُ له ﷺ القِتالُ فيها.

١٢٢- **كأنَّمَـــا الدِّيْـــنُ ضَـــيْفٌ حَـــلَّ سَـــاحَتَهُم**
بِكُـــلِّ قَـــرْمٍ إِلى لَحْـــمِ العِـــدَا قَـــرِمِ

اللُّغة: (**القَرْم**): السيّد. و(**القَرِم**): شديد الشّهوة.

المعنَى: (**كأنَّمَا الدِّيْنُ**) دِينُ الإسلامِ (**ضَيْفٌ حَلَّ**) أي نَزَل (**سَاحَتهم**) أي ساحةَ الأعداءِ ءاتِيًا (**بِكُلِّ قَرْمٍ**) أي سيّدٍ مِن الصّحابةِ تَوّاقٍ (**إلى**) تَمزيقِ (**لَحْمِ العِدَا**) الكُفّارِ (**قَرِم**) أي شديدِ الشّهوة إلى ذلك.

١٢٣- يَجُــــرُّ بَحْــــرَ خَمِــــيسٍ فَــــوْقَ سَــــابِحَةٍ
يَــــرْمِي بِمَــــوْجٍ مِــــنَ الأَبْطَــــالِ مُلْــــتَطِمِ

اللُّغة: (**الخَمِيس**): الجيشُ. و(**السّابِحة**): الخَيل الجارِية.

المعنَى: (**يَجُرُّ**) ذلك الضَّيفُ الّذي نَزَلَ سَاحة قِتال العِدا أو السيّد القَرْم (**بَحْرَ خَمِيسٍ**) أي جيشًا يَموجُ كمَوجِ البَحرِ المُلتَطِم (**فَوْقَ**) خيلٍ (**سَابِحَةٍ**) أي جارِيةٍ بسُرعةٍ في طَلبِ الكُفّارِ (**يَرْمِي**) العِدا (**بِمَوْجٍ**) مِن كُلِّ فارسٍ (**مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِم**) بَعضُه ببَعضٍ.

١٢٤- مِــــنْ كُلِّ مُنْتَــــدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِــــبٍ

يَسْــــطُوْ بِمُسْتَأْصِــــلٍ لِلْكُفْـــرِ مُصْـــطَلِمِ

اللُّغة: (**مُنتَدَب**): أي مَدعُوّ. و(**يَسْطُو**): أي يَصُول. و(**استَأْصَلَهُ**): أي قَلَعه مِن أَصلِهِ. و(**الاصطِلام**): الاستِئصالُ.

المعنَى: (**مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ**) أي مَدعُوٍّ (**لِلَّهِ**) أي دعاهُ اللهُ إلى جِهادِ الكافرين (**مُحْتَسِبٍ**) أجرَهُ فيما يَنالُه مِن مَوتٍ في سَبيل الله أو ما هُوَ دُونَ ذلِكَ حال كَونِه (**يَسْطُوْ**) أي يَصُولُ (**بِـ**)ـسِلاحٍ (**مُسْتَأْصِلٍ لِـ**)ـأهلِ ا(**لْكُفْرِ**) بسَيفٍ قالِعٍ (**مُصْطَلِمِ**) أي قاطِعٍ مُهلِكٍ لَهُم.

١٢٥- **حَـــتَّى غَـــدَتْ مِلَّـــةُ الإِسْـــلَامِ وَهْيَ بِهِـــمْ**
مِـــنْ بَعْـــدِ غُرْبَتِهَـــا مَوْصُـــولَةَ الـــرَّحِمِ

اللُّغة: (**الرَّحِم**): القَرابةُ.

المعنَى: لم يَزِل السّيفُ قائِمًا (**حَتَّى غَدَتْ**) أي صارَتْ (**مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهْيَ**) قائِمةٌ (**بِهِمْ**) أي بالصّحابةِ الأبطال (**مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا**) في زَمَنٍ كانَ انتِشارِ الكُفرِ (**مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ**) أي مُقامًا بِحَقّها وذلك بِكثرةِ مَن يقوم بِنُصرَتها مِن الصّحابةِ في ذلك الوقت.

اللامعة: رَوَى عبدُ الرّحمنِ بنُ سَنَّة أنّهُ سَمِع النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْحَازَنَّ[1] الْإِيمَانُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ[2]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْرِزَنَّ[3] الْإِسْلَامُ إِلَى مَا بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**».

١٢٦- مَكْفُولَــــةً أَبَــــدًا مِـــــنْهُمْ بِخَــــيْرِ أَبٍ

---

(١) أي يَنضَمَّنَّ ويجتَمِعَنَّ ويَأوِيَنَّ.

(٢) أي كسُرعة السّيل في مُرورِه.

(٣) أي ليَعُودَنَّ ويَلجأَنَّ.

وَخَــــيْرِ بَعْــــلٍ فَلَــــمْ تَيْــــتَمْ وَلَــــمْ تَــــئِمِ

اللُّغة: (**البَعْل**): الزَّوج. و(**التَّأَيُّم**): فُقدانُ الزَّوج بِمَوتِه.

المعنَى: صارَت مِلّةُ الإسلام (**مَكْفُولَةً**) مَصُونَةً مَحفوظةً (**أَبَدًا مِنْهُم**) أي مِن مَكرِ وإيذاءِ الكافِرين (**بِـ**)ـكَفالةِ (**خَيْرِ أَبٍ وَخَيْرِ بَعْلٍ**) أي زَوجٍ يعني النَّبِيَّ ﷺ (**فَلَمْ تَيْتَمْ**) أي لَم يحصُل لَهَا تَيَتُّمٌ مِن جهِة الأبِ (**وَلَمْ تَئِمِ**) أي ولَم تتأَيَّمْ مِن جِهة البَعل وهو حيٌّ.

١٢٧- هُــمُ الجِبَــالُ فَسَــلْ عَــنْهُم مُصَــادِمَهُم

مَــاذَا لَــقِيْ مِــنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْــطَدَمِ

اللُّغة: (**المُصْطَدَم**): مَكانُ الاصطِدامِ في الحَرب.

المعنَى: أصحابُ النّبيّ ﷺ (**هُمُ**) الأبطال (**الجِبَالُ**) الراسِخُونَ في القِتالِ (**فَسَلْ**) أي فاسأَلْ (**عَنْهُم مُصَادِمَهُم**) أي مَن يُواجِهُهم في الحرب مُصادِمًا

لَهُم يُخبِرْكَ (**مَاذَا لَقِي مِنْهُمُ**) مِنَ البأسِ والشِّدَّة (**فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ**) أي في كُلِّ ساحةِ حربٍ صادمَهُم فيها.

١٢٨- **وَسَـــلْ حُنَيْنًـــا وَسَـــلْ بَــدْرًا وَسَـــلْ أُحُـــدًا**
فُصُـــولَ حَتْـــفٍ لَهُـــمْ أَدْهَى مِـــنَ الــوَخَمِ

اللُّغة: (**الفُصول**): الأشياءُ المُتمايِزُ بَعضُها عَن بَعْضٍ. و(**الحَتْف**): المَوْتُ. (**أَدْهَى**): أي أَشَدّ. و(**الوَخَم**): الوَباء.

المعنَى: (**وَسَلْ حُنَيْنًا**) الواديَ الّذي بَينَ مكّة والطائفِ حين كانت المعركةُ بين والصّحابة والكُفّار (**وَسَلْ بَدْرًا**) الموضِعَ الّذي بَينَ مَكّة والمدينةِ حيثُ هُزِمَ المُشرِكُونَ (**وَسَلْ أُحُدًا**) الجَبَل المَيمونَ بالمَدِينةِ المُنوّرةِ حيثُ قُتِّل الكُفّارُ تَقتيلًا وأبلَى الصّحابةُ بَلاءً عظيمًا، سَلْ هذه الأماكِنَ تَحكِي لَك (**فُصُولَ حَتْفٍ**) أي أنواعَ الهلاكِ الّتِي كانتْ (**لَهُمْ**) أي للكُفّارِ على أيدِي المُسلمِينَ إذْ أصابَتهم (**أَدْهَى**) أي أشَدَّ إصابةً (**مِنَ الوَخَمِ**) أي الوَباءِ المُنصَبِّ.

اللامعة: مُوجَزٌ في ذِكر غَزوةِ حُنَينٍ:

حُنَينٌ هو وادٍ بِقُرب الطائف، بينه وبين مكة ثلاثُ ليال، وقد سُمِّي الوادي حُنَينًا باسم حُنَينِ بن قانِيةَ بنِ مَهلَايِلَ.

وسَبَبُ غَزوِ حُنَينٍ أنّ قَبِيلةَ هَوَزِان لَمّا عَلِمَت بِفَتح مكة جَمَعَها مالكُ بنُ عَوف ومعَها بَنوُ ثَقِيفٍ وَمُضَر وجُشَم وسَعدُ بن بكرٍ ونَاسٌ مِن بَنِي هِلال، وكان دُرَيدُ بنُ الصِّمَّةِ مِن جُشَم شَيخٌ كَبِير يَحمِلونه إلى المعارك لِلتَّيَمُّنِ بِرَأيه ومَعرِفَتِه، فدُعِي مالِكٌ فقيل له: إنك أصبحت رئيس قومك، وحصل نِزاع بين مالِك ودُرَيدٍ، ثم قال مالِكٌ للناس: إذا رأيتُموهم فاكسِرُوا جُفون سُيوفِكم ثم احمِلُوا حَملة رَجُلٍ وَاحِدٍ.

ثم لَمَّا أَجمَع المصطفى السَّيرَ إليهم ذُكِر له أن عند صفوان بن أُمَيّة أَدرِاعًا وسلاحًا وهو يومئذ كافِرٌ فقال: "يا أبا أُمَيَّة أَعِرنا سِلاحَك"، فقال: أَغَصبًا يا محمد؟ قال: "بل عارِيَّةً مَضمُونةً"، فأعطاه صَفوانُ مائة دِرعٍ بما يكفيها مِن السِّلاح، فسأله المصطفى أن يَكفِيَه حَملَها فَفَعل، ثم خرج ﷺ إلى حُنَين ومعه أَلفان من أهل مكة وعشرةُ ءالافٍ مِن الذين فَتَح الله بهم على نَبِيّه، فلَمَّا رأى النبيّ ﷺ ما معه مِن كَثرة الجنود قال: «**لَن نُغلَبَ اليَومَ مِن قِلَّةٍ**».

فلَمّا سار النَّبِيُّ والجيشُ وكان ﷺ على بَغلَتِه البَيضاء قال لِلعَبّاس وهو ءاخِذٌ بلِجامها: «**اصْرُخْ يا مَعشَرَ الأَنصَار**» فأجابوا لَبَّيكَ لَبَّيكَ، فاقتتلَ الصَّفَّانِ فكانت الدعوى أَوَّلَ ما كانت "**يا لَلأَنصَار**" ثم خَلُصت أخرى "**يا لَلخَزرَج**"، وكانوا صَبرًا عند الحرب، فأشرَف المصطفى ﷺ في ركائبه فنَظَر إلى مُجتَلَد القوم[1] فقال: «**الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ**[2]».

ولَمّا قَرُب انهِزام الكُفّار وجيء بالأُسارَى مُكَتَّفِين عِند النبيّ ﷺ التَفَت ﷺ إلى أبي سفيانَ بن الحارث، ابن عَمِّ الرسول وأخيه في الرَّضاع وكان شَبِيهَهُ مُحَبَّبًا إليه، وكان مِمَّن صَبَرَ معه يومئذ وهو ءاخِذٌ بِثَغر بَغلَته فقال: «**مَن هَذَا؟**» قال: ابنُ عَمِّك يا رسولَ الله، وقَبَض قَبضةً مِن الحَصَى فَحَصَب[3] بها وُجُوهَ المشركين وقال: «**شَاهَتِ الوُجُوهُ**»، فهُزموا مِن كُلِّ ناحية، وتَبِعَهم المسلمون يُقَتِّلُونهم وغَنِمُوا نساءَهم وذَرَارِيَّهم وشاءَهم[4] وإِبِلَهُم، وفَرَّ مالك بنُ عوف فدخل حِصنَ الطائف في ناسٍ مِن أَشرافِ

---

(١) أي مَكَان جَلادهم بِالسُّيُوفِ أي ساحة المعركة.

(٢) أي اشتَدَّ القِتالُ.

(٣) أي رَمَى.

(٤) جَمْع شاةٍ.

قَومِه، فأَسلَم عند ذلك أُناسٌ كَثِيرُون مِن أهل مكة وغيرِهم حين رأوا نَصرَ اللهِ رَسُولَه ﷺ.

ورأى النبِيُّ ﷺ أُمَّ سُلَيم بِنتَ مِلحانَ - وكانت مع زوجها أبي طلحة - وهي حازِمةٌ وَسطَها بِبُرِدٍ لها وإنها لحامِلٌ ومعها خِنجَر فقال ﷺ: «**أُمُّ سُلَيمٍ؟!**»، قالت: نعم، بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله، اقتُل هؤلاء الّذين يَنهَزِمُون عنك كما تَقتُل الذين يُقاتلونك فإنهم لِذَلِك أَهلٌ، قال: «**يَا أُمَّ سُلَيمٍ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَد كَفَى وَأَحسَنَ**»، فقال لها زَوجُها أبو طَلحةَ: ما هذا الخنجرُ؟ قالت: إنْ دَنا مِنِّي مُشرِكٌ بَعَجْتُه[1] به، واستَلَب أبو طلحةَ وَحدَه عِشرِين رَجُلًا.

فانهزَمَت هَوَازِنُ وَقُتِل مِن ثَقِيفٍ سَبعُون تحت رَايَتِهم، وأدركَ رَبِيعَةُ بنُ رُفَيعٍ دُريدَ بنَ الصِّمَّة فأخذ بخِطام جَمَلِه فأَناخَ بِهِ فقال دُرَيدٌ: ما تريد؟، قال: أَقتُلَك، قال: مَن أنتَ؟ قال: رَبِيعةُ بنُ رُفَيعٍ، ثُمَّ ضَرَبه بِسَيفِه فلم يُغنِ شيئًا.

---

(١) أي طَعَنتُه وشقَقَتُ بَطنَهُ.

ولَم يَجِئ عن رسول الله ﷺ نصٌّ يَنهَى فيه عن قَتلِ العجوز الكبيرِ في السِّن إذا كان يُقاتل المسلِمِينَ أو يُوَجِّه الكُفّار إلى قِتالهم وتَدبِيرِ المكائد لهم، ولم يثبُت عنه أنّه اعتَرَض على قَتلِ دُرَيدِ بن الصِّمَّة.

وأنزلَ اللهُ تعالى في يوم حُنَينٍ قُرءانًا: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ الآياتِ [التَّوبة: ٢٥]، ثُم جُمِعَت سَبايا حُنَينٍ والأَموالُ فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بِحَبسِها في الجِعرانةِ حتى يَنصَرِف عن الطائِف فيَقسِمَها.

١٢٩- المُصْـدِرِي البِـيضَ حُمْـرًا بَعْـدَمَا وَرَدَتْ
مِـنَ العِـدَاْ كُلَّ مُسْـوَدٍّ مِـنَ اللِّمَـمِ

<ins>اللُّغة</ins>: (**المُصدِر**): مِن أصدَرَ غيرَه إذا رَجَعَهُ. و(**البِيضُ**) السُّيُوف. و(**اللِّمَم**): بكسرِ اللّام جَمْع لَمّةٍ وهي الشَّعَر إذا جاوَزَ شَحْمة الأُذُن.

<ins>المعنَى</ins>: امْدَحِ (**المُصْدِرِيْ**) أيِ المُرجِعِي السُّيوفَ (**البِيضَ**) المَصقولةَ إلى أغمادِها (**حُمرًا**) مِن دَمِ الكُفّارِ، وذلك (**بَعْدَمَا وَرَدَتْ**) السُّيوفُ (**مِنَ العِدَاْ كُلَّ**) شَعرٍ (**مُسْوَدٍّ**) كائِنٍ (**مِنَ**) مَوضِعِ (**اللِّمَمِ**) أي موضِعِ الشَّعَرِ

المُجاوِرِ شَحْمةَ الأُذُنِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى قتل الصّحابةِ شبابَ الكُفّار الأشدّاءَ سُودِ الرُّؤوسِ.

١٣٠- وَالكاَتِبِـــينَ بِسُـــمْرِ الخَـــطِّ مَـــا تَرَكَـــتْ
أَقْلاَمُهُـــمْ حَـــرْفَ جِسْـــمٍ غَـــيْرَ مُـــنْعَجِمِ

اللُّغة: (**الكاتِبون**): أي الطّاعِنُون. (**السُّمْر**): الرِّماح. و(**الخِطّ**): الشَّجَر يُعمَل منه الرِّمح. و(**حَرْف**): أي طَرَف. و(**مُنعَجِم**): مَطعُون.

المعنَى: (**وَ**)امَدحِ (**الكاَتِبِينَ**) أيِ الجَيشَ الطّاعنِينَ (**بِسُمْرِ**) أي رِماحِ شَجَرِ (**الخَطِّ**) الّذينَ (**مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ**) أي أَسِنّةُ رِماحِهِم (**حَرْفَ**) أي طَرَفِ (**جِسْمٍ**) مِن كافِرٍ (**غَيْرَ مُنْعَجِمِ**) أي غَيرَ مطَعونٍ بل طَعنَت مِنهُم كُلَّ طَرَفٍ. وتشبيهُه إيّاهم بالكتاب والسُّمرَ بالأقلام دليلٌ على غاية إحكامِهم للطَّعن بها حتّى إنّها كانت في أيديهم كالأقلام في أيدي الكَتَبة.

١٣١- شَـــاكِيْ السِّـــلَاحِ لَهُـــمْ سِـــيمَاْ تُمَـــيِّزُهُمْ
وَالْـــوَرْدُ يَمْتَـــازُ بِالسِّـــيْمَاْ عَـــنِ السَّـــلَمِ

اللُّغة: (شَاكِي السّلاح): الرّجُلُ ذو الشَّوكةِ والحَدَّ في سِلاحِه. و(السِّيْما): العَلامة. و(السَّلَم): شَجَرٌ لَهُ شَوكٌ.

المعنَى: للمُقاتلين مِن جَيشِ المُسلمِينَ ما يُمَيِّزهُم في الظّاهِر عن غَيرِهم: تراَهُم (شَاكِيْ السِّلَاحِ) أي حادِّيهِ، وهذه (لَهُمْ سِيمَاْ) أي علامةٌ (تُمَيِّزُهُمْ) عَن غَيرِهم (وَ)معَ كَونِهم أشِدّاءَ على الكُفّارِ فإنّهم رُحماءُ بينَهُم ومثِلُهُم (الوَرْدُ) أي شَجَرُهُ فإنّه (يَمْتَازُ بِالسِّيْمَاْ) أي بحُسن المَنظرِ وبَهائِه وبطِيبِ الرّائحةِ (عَنِ) شجَرِ (السَّلَمِ) الّذي له شَوكٌ.

١٣٢- تُهْـــدِي إِلَيْـــكَ رِيَـــاحُ النَّصْـــرِ نَشْـــرَهُمُ
فَتَحْسَـــبُ الزَّهْـــرَ فِي الأَكْمَـــامِ كُلَّ كَـــمِيْ

اللُّغة: (الأكمامُ): جَمْع كِمٍّ بكسر الكاف وهو غِلافُ الوَرد.

المعنَى: إذا قاربتَ أرضَ إحدَى معارِكهم (**تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْـرِ**) أي التأييدِ (**نَشْـرَهُمُ**) أي عبقًا زَكِيًّا لأنّه يَلوحُ لناظِرَيك مَشهدُ عَودِهِم مُنتَصِرين نَصرًا طَيِّبًا يُشابِهُ رِيحَ الوَردِ في ذَكائِه، ولذَلِكَ (**فَـ**)ـإنَّك (**تَحْسَبُ الزَّهْرَ**) إذا رأيتَهُ حالَ كَونِهِ (**فِي الأَكْمَامِ**) أي في غِلافِهِ هوَ (**كُلَّ كَمِيْ**) أي هُو الشُّجاعُ، كما أنّ الأزهارَ ذاتُ رائحةٍ طيّبةٍ، سِيّما وأنّهُم يعودُون مِن المعركةِ وقد اصطَبَغت أوشِحَتُهم بدماء أعدائهم حتى بَدَوا كالزَّهر في أكمامه.

١٣٣- **كَـأَنَّـهُـمْ فِي ظُـهُـورِ الخَـيْـلِ نَـبْـتُ رُبًى**
مِـنْ شَـدَّةِ الحَـزْمِ لَا مِـنْ شَـدَّةِ الحُـزُمِ

اللُّغة: (**الرُّبَى**): جَمْع رَبوةٍ وهي ما ارتَفَعَ مِن الأرض. و(**الحَزْم**): قُوّة الثّبات. و(**الحُزُم**): جَمْع حِزامٍ وهو ما يُشَدُّ به سَرْجُ الفرَس على ظَهرِهِ بالرّبطِ والاستِحكامِ التّامّين.

المعنَى: هؤلاءُ الشُّجعانُ مهَرَةٌ (**كَأَنَّهُمْ**) في ثَباتِهم (**فِي**) أي علَى (**ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًى**) ثابِتٌ في الأرضِ قارٌّ، وهُم على هذه الحالِ (**مِنْ شَدَّةِ الحَزْمِ**) أي قُوّةِ الثّباتِ التّي فيهم (**لَا**) أنّهُم ثابِتونَ (**مِنْ**) أجلِ (**شَدَّةِ الحُزُمِ**) الّتي على ظَهْر الخَيل تُثَبِّتُهم ولا مِن أجلِ شَدِّهِم أنفُسَهُم عليها بِحَزمٍ.

١٣٤- **طَارَتْ قُلُوبُ العِدَاْ مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا**
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

اللُّغة: (**الفَرَق**): الفَزَع. و(**البَهْم**): جَمْع بَهْمة بفتح الباء وهي السَّخْلة وَلَدُ الغنَمِ مِن الضّأْنِ وَالمَعْزِ ساعةَ وَضْعِهِ. و(**البُهَم**): جَمْع بُهْمة بضمّ الباء وهو الشُّجاع.

المعنَى: (**طَارَتْ**) أي اضطَربَتْ (**قُلُوبُ العِدَاْ مِنْ**) أَجلِ (**بَأْسِهِمْ**) أي شِدَّة الأبطالِ (**فَرَقًا**) أي خَوفًا مِنهُم (**فَـ**)ـكَأنّهُم زالَتْ عُقُولُهم إلى أنْ صارَتْ

(**مَا تُفَرِّقُ**) مِنَ الدَّهْشِ (**بَيْنَ البَهِمِ**) أي السِّخالِ أولادِ الغَنَمِ (**وَ**)بينَ (**البُهَمِ**) أيِ الشُّجْعانِ.

١٣٥- وَمَـــنْ تَكُـــنْ بِرَسُـــولِ اللهِ نُصْـــرَتُهُ
إِنْ تَلْقَـــهُ الأُسْـــدُ فِي ءاجَامِهَـــا تَجِـــمِ

اللُّغة: (**الآجامُ**): جَمْع ءاجِمة وهي الأشجارُ المُلْتَفّة أو الأرضُ كثيرةُ القَصَبِ. و(**وَجِمَ**): أمسَكَ عن الكلامِ لِخَوفٍ أو هَيبةٍ.

المعنَى: إنّ الصّحابةَ الكِرام كانوا مُنتَصِرِينَ في الجِهادِ لاستنصارِهِم رَسولَ الله ﷺ ونُصرَتِهِ لهم معنًى وحِسًّا وإعانَتِه لَهُم بإذنِ الله، (**وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ**) ﷺ (**نُصْـرَتُهُ**) على أعدائِه وإعانَتُه وإغاثَتُه بإذنِ الله فإنّهُ (**إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ**) الّتي تُهلِكُ مَن لاقَتهُ عادةً وإنْ كانتْ مُلاقِيةً لَهُ (**فِي ءاجَامِهَا**) أي في مَساكِنها في الغاباتِ ونحوِها حيثُ تكونُ أشَدَّ وثُوبًا فإنّها (**تَجِم**) تَسكُنُ ولا تتحَرَّك تُجاهَهُ خوفًا.

اللامعة: في البيتِ السّابِقِ إشارةٌ إلى قِصّةِ سَفِينةَ مَولَى رَسولِ الله ﷺ، فعَنِ عن ابنِ المُنْكَدِر أنّ سَفِينةَ مولَى رسول الله ﷺ أخطأَ الجيشَ بأَرضِ الرُّومِ أو أُسِرَ في أرضِ الرُّومِ، فانطَلَق هارِبًا يَلتَمِسُ الجَيشَ فإذا هو بالأَسَد، فقال له: «**يا أبا الحارِث**[1]**، إنّي مولَى رسولِ الله ﷺ، كان مِن أَمْرِي كَيْتَ وكَيْتَ**» فأقبَلَ الأسَدُ يُبَصْبِصُهُ[2]، وفي رواية: فطَأْطَأَ رأسَه وأقبَلَ إلَيه، حتّى قامَ إلى جَنْبِه، كُلَّما سَمِع صوتًا أَهوَى إليه ثم أقبَلَ يَمشِي إلى جَنْبِه، فلَم يَزَل كذلِكَ حتَّى بَلَغ الجيشَ ثم رَجَع الأَسَدُ.

والأخبارُ مِن نَحوِ ذلك كثيرةٌ، فمِن عجيب مُعجِزاتِه ﷺ أنْ لَجَأ إليهِ بعضُ البهائِمِ شكايةً، فمِن ذلك:

- ما رواهُ أبو نُعَيمٍ في «دَلائِل النُّبُوّة» بِسَنَدِه إلى أنسِ بنِ مالِكٍ[3] رضي الله عنه قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمٍ قَدِ اصْطَادُوا ظَبْيَةً فَشَدُّوهَا عَلَى عَمُودِ فُسْطَاطٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُخِذْتُ وَإِنَّ

---

(١) هي كُنيةُ الأسدِ.

(٢) أي يَختلِسُ النَّظَر إليه وهو يُحَرِّكُ ذَنَبَهُ اضطِرابًا.

(٣) ضَعَّفها بعضهُم لكنْ قال الحافظ السَّخاوي: "ورَد في الجملة عِدّةُ أحادِيثَ يُقَوِّي بَعضُها بَعضًا" اهـ.

لِي خَشْفَيْنِ[1] فَأَسْتَأْذِنْ لِي أَنْ أُرْضِعَهُمَا وَأَعُودُ إِلَيْهِم، فَقَالَ ﷺ: «**أَيْنَ صَاحِبُ هَذِهِ؟**» قَالَ الْقَوْمُ: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَلُّوا عَنْهَا حَتَّى تَأْتِيَ خَشْفَيْهَا تُرْضِعَهُمَا وَتَرْجِعَ إِلَيْكُمْ**»، قَالُوا: وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَنَا**»، فَأَطْلَقُوهَا فَذَهَبَتْ فَأَرْضَعَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ فَأَوْثَقُوهَا، فَمَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيْنَ صَاحِبُ هَذِهِ؟**»، قَالُوا: هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**تَبِيعُونِيهَا؟**»، قَالُوا: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «**خَلُّوا عَنْهَا**»، فَأَطْلَقُوهَا فَذَهَبَتْ.

- وما رواهُ أحمدُ وغيرُه عن يَعلَى بنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيّ قال: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ[2]، فَلَمَّا رءاهُ الْبَعِيرُ جَرْجَرَ[3] وَوَضَعَ جِرَانَهُ[4]، فَوَقَفَ عَلَيْهِ[5] النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَيْنَ**

(١) بتثليث الخاء، أي وَلَدين مِن الظِّباءِ.

(٢) أي يُستَقى عليه.

(٣) أي صَوَّتَ.

(٤) أي مَدَّ باطِنَ عُنُقِه.

(٥) أي عِندَهُ.

صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟» فَجَاءَ، فَقَالَ ﷺ: «**بِعْنِيهِ**» فَقَالَ: لَا بَلْ أَهَبُهُ لَكَ، فَقَالَ: «**لَا، بِعْنِيهِ**» قَالَ: لَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ، وَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ، قَالَ: «**أَمَا إِذْ ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلَفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ**».

وأعظَمُ مِن ذلك انتِصارُ الصّحابةِ في حربِ مُسيلِمةَ وجُنودِهِ في مَوقِعة اليَمامة بالاستِنصارِ برَسولِ الله ﷺ والاستغاثةِ بِه إذْ كان شِعارُ المُسلِمين وقتَئِذٍ: «**يا مُحَمَّداهُ**»، ومعناهُ أغِثْنا يا رسولَ الله بالدُّعاءَ لَنا بالنَّصرِ بإذنِ الله، فقتَلَ المُسلمونَ يومَها عشرةَ ءالافٍ مِن الكُفّارِ.

١٣٦- وَلَــنْ تَــرَى مِــنْ وَلِيٍّ غَــيْرَ مُنْتَصِــرٍ
بِــهِ وَلَا مِــنْ عَــدُوٍّ غَــيْرَ مُنْقَصِــمِ

<u>اللُّغة</u>: (المُنْقَصِم): المُنْقَطِع.

المعنَى: (**وَلَنْ تَرَى مِنْ**) مُسلِمٍ تَقِيّ (**وَلِيٍّ**) للهِ (**غَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِهِ**) أي برسولِ اللهِ ﷺ (**وَلَا**) تُبصِرُ (**مِنْ**) كافِرٍ (**عَدُوٍّ**) لرسولِ اللهِ (**غَيْرَ مُنْقَصِم**) أي لا تُبصِرُهُ إلّا مُنقَطِعًا مُنكَسِرًا.

١٣٧- أَحَـــلَّ أُمَّتَـــهُ فِي حِـــرْزِ مِلَّتِـــهِ
كَاللَّيْـــثِ حَـــلَّ مَـــعَ الأَشْـــبَالِ فِي أَجَـــمِ

اللُّغة: (**الحِرْز**): المَوضِع الحَصِين. و(**اللَّيْث**): الأَسَدُ. و(**الأَشبال**): أَولادُ الأَسَد. و(**الأَجَم**): الغابةُ حيثُ مَوضِعُ الأَسَدِ.

المعنَى: (**أَحَلَّ**) أي أَنزَلَ ﷺ (**أُمَّتَهُ فِي حِرْزٍ**) أي حِصنِ (**مِلَّتِهِ**) الإسلامِ مَصونِينَ مِن الكُفرِ إذا اتّبعوهُ فكانوا (**كَاللَّيْثِ**) أي الأسدِ إذا (**حَلَّ مَعَ**) أولادِهِ (**الأَشْبَالِ**) مُحَصّنًا لَهُم (**فِي أَجَمٍ**) أي غابةٍ صَونًا لَهُم مِن عَدُوٍّ يطَرُقُهم.

اللامعة: أرشَدَ اللهُ تعالَى عبادَه في القُرءانِ الكريمِ إلى الصّراطِ المُستَقِيم وبيَّن لَهُ كيفيّة الاهتِداءِ بِهَدي رَسولِ الله ﷺ وأنّ مَنِ اهتَدَى بِهَديِه كان في حِرزٍ حَصينٍ، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: ٨٠]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [ءال عِمران: ٣١]، وقال أيضًا: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

١٣٨- كَـمْ جَـدَّلَتْ كَلِمَـاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ
فِيـهِ وَكَـمْ خَصَّـمَ البُرْهَـانُ مِـنْ خَصِـمِ

اللُّغة: **(جَدَّلَ)**: أي قَطَع. و**(الجَدِل)**: كثيرُ الجَدَل. و**(خَصَّمَهُ)**: بتشديد الصّاد بمعنَى غلبَهُ في الخِصامِ. و**(الخَصِم)**: كثيرُ الخِصامِ.

المعنَى: **(كَمْ)** أي ما أكثَرَ ما **(جَدَّلَتْ)** أي قَطَعَت **(كَلِمَاتُ اللهِ)** أي ءاياتُ القُرءانِ الكريمِ **(مِنْ)** امرِئٍ مُعانِدٍ للحَقِّ **(جَدِلٍ فِيهِ)** أي شديدِ

الجَدَلِ في أمرِ النَّبِيِّ ﷺ (**وَكَمْ خَصَّمَ**) أي غلبَ (**البُرْهَانُ**) أي الدّليلُ القاطِعُ في الخِصامِ (**مِنْ**) مُعانِدٍ للحَقِّ (**خَصِمِ**) أي شديدِ الخِصامِ.

<u>**اللامعة**</u>: لقد أنزَلَ اللهُ تعالَى القُرءانَ الكريمَ مُعجِزةً دائِمةً على مَرِّ العُصورِ وأعَجَز بِه الفُصحاءَ والبُلغاء، وفلنأخُذ لذلك مِثالًا ءايةً مِنهُ وهي قولُهُ تعالَى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ٤٤]:

- قال بدرُ الدِّين الزّركَشيُّ في «وقوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ٤٤] أمَرَ ونَهَى وأخبَرَ ونادَى ونَعَت وسَمَّى وأهلَكَ وأبقَى وأسعَدَ وأشقَى، قَصَّ مِن الأنباءِ ما لو شُرِحَ ما اندرَج في هذه الجُملة مِن بَدِيع اللَّفظِ والبَلاغةِ والإيجازِ والبَيانِ لَجَفَّتِ الأَقلامُ وانحسَرَتِ الأَيدي" اهـ.
- وقال مجدُ الدِّين الفَيروزآبادي في «بَصائر ذَوِي التّمييز»: "وذُكِر أَنَّ بعضَ البلغاء قَصَد مُعارضةَ القُرءان وكان يَنظُر في سورة هودٍ إِلى أَن

وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ الآيةَ، فانشقَّتْ مَرارَتُه مِن هَيبةِ هذا الخطابِ وماتَ مِن حِينِه" اهـ.

- وقال السُّيوطيُّ في «الإتقان»: "قال ابنُ أبي الإِصْبَع: ولم أرَ في الكلامِ مِثلَ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ فإنّ فيها عِشرينَ ضَرْبًا مِن البَدِيعِ وهي سبعَ عَشْرةَ لَفْظةً" ا.هـ.
- وقال أيضًا في «مُعترَكِ الأقران»: "ورُوِي أنّ ابنَ المُقَفَّع طَلَب ذلك[1] ورَامَهُ وشَرَعَ فِيهِ فمَرَّ بِصَبِيّ يَقرأُ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ فرَجَع ومَحا ما عَمِل وقال: أشهدُ أنّ هذا لا يُعارَض وما هو مِن كلامِ البَشَر، وكان أفصَحَ أهلِ وَقتِه" اهـ.

١٣٩- كَفَـــاكَ بِـــالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِـــزَةً

فِي الجَاهِلِيَّـــةِ وَالتَّأْدِيـــبَ فِي اليُـــتُمِ

(١) يعني بزَعمِه مُعارضةَ القُرءانِ.

المعنَى: (**كَفَاكَ**) أيُّها المخاطَب رؤيةَ مُعجِزةٍ (**بِالعِلْمِ**) الّذي ظَهَرَ (**فِي**) سيّدِنا محمَّدٍ النَّبِيّ (**الأُمِّيّ مُعْجِزَةً**) لَهُ ﷺ دالّةً على صِدقِه فيما جاءَ بهِ (**فِي**) زَمَنٍ كانَتْ تَسودُ فيهِ تعالِيمُ (**الجَاهِلِيَّةِ وَ**)كَفاكَ أنْ بـ(**ـالتَّأْدِيبِ**) الّذي تأَدَّب بِهِ مِن مَكارِمِ الأخلاق ومَحاسِنِ الخِصالِ معَ كَونِه نشأَ صغيرًا (**فِي اليُتُمِ**) أي بلا أبٍ، فلَم يتَلَقَّ ذلك عن أبٍ، إلّا أنّه ﷺ كانت عناية الله مُحِيطةً به في كلّ أوقاتِه.

الفصل التاسع: في التوسُّل بالنّبِي ﷺ

١٤٠- خَدَمْتُـــــهُ بِمَـــــدِيحٍ أَسْـــــتَقِيلُ بِـــــهِ
ذُنُــوبَ عُمْــرٍ مَضَـــى فِي الشِّــعْرِ والخِــدَمِ

اللُّغة: (**أستقيلُ**): أي أطلُبُ العَفوَ. و(**الخِدَم**): جَمعُ خِدمةٍ.

المعنَى: (**خَدَمْتُهُ**) أي مَدحتُ رسولَ الله ﷺ (**بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ**) أي أطلُبُ مِنَ اللهِ (**بِهِ**) أن يُقِيلَنِي مِن أوزارِ نَفسِي وأنْ يَمحوَ لي (**ذُنُوبَ عُمْرٍ**) لم

أغتَنِمْهُ فيما فيه خيرٌ لي في ديني بل (**مَضَـى**) وانقضَى (**فِي**) إنشادِ (**الشِّعْرِ**) الّذي لا خَيرَ فيه لأبناء الدُّنيا مِن مُلوكٍ وأمثالِهم (**وَ**)في (**الخِدَمِ**) أي الخِدمة لَهُم.

اللامعة: ليسَ مُجَرَّدُ المَدحِ لِغَرضٍ دُنيوِيٍّ إثمًا إلّا أن يكون فيه حرامٌ أو تَشجِيعٌ على الحَرام، أمّا إن كان لِمَحبّةٍ مِن أجل نَيل غَرَضٍ دُنيَوِيٍّ مِن الممدوح مِن غَيرِ تَشجِيعٍ على مَعصيةٍ وإِنَّما لِمجرَّدِ شَهوةِ نَفْسٍ ومَيلٍ للقُربِ مِنَ الممدوحِ فيما لا خيرَ فيه للمرءِ فإنّه مَضْيَعةٌ للوَقتِ مَذمومٌ.

وقد رَوَى البُخاريّ في «الأدب المُفرَد» أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً**» أي بعضُ الشِّعرِ كَلامٌ نافعٌ يَمنع عن الجهل والسَّفَه، وهو المنظومُ من المواعظ والأمثال المباحة المنتَفِعُ بها النّاسُ وما فيه ثناءٌ على الله ورسوله ونصيحةٌ للمُسلِمين وما أشبه ذلك، وهذا النوع مِن الشعر محمودٌ وممدوحٌ، وأمّا الشعر المذمومُ فهو ما فيه كلام قَبِيحٌ مكروهٌ أو مُحَرَّمٌ.

وقال ابنُ الملَقِّن: "الشِّعر والرّجَز والحُداء كسائر الكلام، فما كان فيه ذكر تعظيمِ الرَّبّ تعالَى ووَحدانِيَّتِه وقُدرَته وإيثارِ طاعته وتصغير الدُّنيا

والاستسلام له تعالى كنَحو ما أورده البخاري في الباب فهو حَسَن مُرَغَّبٌ فيه، وهو الذي قال فيه عليه السلام: «**إِنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكْمَةً**»، وما كان منه كذبًا أو فُحشًا فهو الَّذِي ذَمَّه اللهُ ورسوله. وقال الشافِعِيُّ: الشِّعرُ كَلامٌ: حَسَنُه كحَسَن الكلام وقَبِيحُه كقَبِيحه. قُلتُ: وهو حديثٌ مرفوعٌ، وسَماع الحُداء ونشيدِ الأعراب لا بأس به[1] فإنّ الشارعَ[2] قد سَمِعَه وأقَرَّه ولم يُنكِرْهُ" اهـ.

١٤١- إِذْ قَــــلَّدَانِيَ مَــــا تُخْشَـــــى عَوَاقِبُـــــهُ
كَــــأَنَّنِي بِهِمَــــا هَـــــدْيٌ مِـــــنَ النَّعَـــــمِ

<u>اللُّغة</u>: **(قَلَّدَ)**: هوَ مِن تقليدِ القِلادةِ في العُنُق. و**(النَّعَم)**: الإبِل والبقَر والغَنَم.

---

(١) أي إنْ لم يُخالِفِ الشَّرع.

(٢) أُطلِق الشارع هنا على الرسول ﷺ لأنّه هو المبلّغ وإلا فإنّ الشارع في الحقيقة أي الذي شرَع الدين للعباد هو اللهُ تعالَى، فإطلاقه على الرسول ﷺ هنا مجازٌ.

<u>المعنَى</u>: لقد كلَّفني الشِّعرُ والخِدَمُ فِيمَا لا خَيرَ فِيهِ (**إِذْ قَلَّدَانِيَ**) بقِلادةٍ مِن الأمورِ المكروهة الّتي لا خيرَ فيها (**مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ**) أي أوصَلاني إلى الوقوع في الحرام، فإنّ مَن يَستَسهِل الوقوع في المكارِه قد يَقَعُ في المُحرَّماتِ مِن حيثُ لا يَشعُرُ فـ(**كَأَنَّنِي بِهِمَا**) أي الشِّعرِ والخِدَمِ فِيمَا لا خَيرَ فِيهِ (**هَدْيٌ**) وهو ما أُهدِيَ (**مِنَ النَّعَمِ**) للذّبحِ بمكّة، فكأَنَّ في نَحري قِلادةً قُلِّدتُها - بسببِ الشِّعرِ والخِدَمِ فِيمَا لا خَيرَ فِيهِ - وسوف أُساق إلى عاقبةٍ مُؤلِمةٍ بسببِ وجودِها تلك القِلادة في نَحري كما أنّ عاقبةَ الهَدْيِ المُقلَّدةِ الذّبحُ.

١٤٢- **أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا**
حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ

<u>اللُّغة</u>: (**الغَيُّ**): هنا الاغتِرارُ.

<u>المعنَى</u>: (**أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا**) بالاغتِرارِ بالأباطيل والرُّكونِ إلى شهواتِ الدُّنيا وتركِ الاستعداد للآخِرة (**فِي الحَالَتَيْنِ**) الشِّعرِ والخِدَمِ فِيمَا لا خَيرَ

فِيهِ **(وَمَا حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ)** مِن جِهَتِهِما **(وَالنَّدَمِ)** يعني التّوبةَ مِن الآثامِ الّتي حصلَتْ بِسببِهما.

١٤٣- فَيَـــا خَسَـــارَةَ نَفْـــسٍ فِي تِجَارَتِهَـــا

لَـــمْ تَشْـــتَرِ الدِّيـــنَ بِالدُّنْيَـــا وَلَـــمْ تَسُـــمِ

اللُّغة: **(سَام)**: مِن سامَ السِّلعةَ أي تعرضَّ لِشِرائِها.

المعنَى: **(فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ)** أي ما أخسَرَها **(فِي تِجَارَتِهَا)** لأنّها **(لَمْ تَشْتَرِ)** أي لَم تأخُذِ **(الدِّينَ بِالدُّنْيَا)** أي بَدَلَهَا **(وَلَمْ تَسُم)** في أخذِهِ بدَلَ الدُّنيا الفانيةَ أي لم تتعرض لأخذه بدَلَهَا ل أخذتِ الدُّنيا غافلةً عمّا تَنجُو به في الآخرة.

١٤٤- وَمَـــنْ يَبِـــعْ ءاجِـــلًا مِنْـــهُ بِعَاجِلِـــهِ

يَـــبِنْ لَهُ الغَـــبْنُ فِي بَيْـــعٍ وَفِي سَـــلَمِ

اللُّغة: (**الغَبْن**): الخِداعُ. و(**السَّلَم**): وهو بيعُ الدَّينِ بالعَين.

المعنَى: (**وَمَنْ يَبِعْ ءاجِلًا مِنْهُ**) أي مِنَ الدِّينِ بأنْ يتخلَّى عنه ويبذُلَهُ (**بِعَاجِلِهِ**) وهو متاعُ الدُّنيا الفاني (**يَبِنْ**) أي يَظهرْ (**لَهُ الغَبْنُ**) أي يَتَبيَنْ لَهُ أنّه مَخدوعٌ (**فِي**)حالةِ (**بَيْعـ**)ـهِ العاجِلِ (**وَفِي سَلَمـ**)ـهِ أي بَيعهِ الآجِلِ، فإذا كان مَن باع عينًا حاضِرةً بثَمنٍ غائبٍ قد يَختلف الوفاءُ بالثَّمن فيؤدِّي بهِ إلى الغَبْن، فكيفَ بِمَن باع ما يَنفَعُه ءاجِلًا بما يَضُرُّه عاجِلًا فإنّهُ أشَدُّ غَبْنًا.

١٤٥- إِنْ ءاتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

اللُّغة: (**حَبْلِي**): أي وَصْلِي بالنّبِيِّ ﷺ.

المعنَى: (**إِنْ ءاتِ ذَنْبًا**) أي أرتكِبْهُ مِن بعدِمَا ما تقدَّمَتْ تَوبَتِي بالنَّدَمِ على ما ارتكَبْتُه مِن الحرامِ بسببِ تعمُّقِي في الشِّعرِ والخِدَمِ فِيمَا لا خَيرَ

فِيهِ (**فَمَا عَهْدِي**) الّذي التَزَمْتُهُ مِن دينِ الإسلامِ (**بِمُنْتَقِضٍ**) لأنّ تكرارَ الذّنب الّذي هو دُونَ الكُفرِ مِن غيرِ استحلالٍ لَهُ لا يُخرِجُ مُرتَكِبَهُ (**مِنَ**) عُهدةِ الإسلام والإيمانِ بالله و(**النَّبِيّ**) ﷺ (**وَلَا حَبْلِي**) أي وَصلِي برسول الله أو بِدِينِهِ (**بِمُنْصَرِمِ**) أي بِمُنقطِعٍ.

١٤٦- فَـــإِنَّ لِي ذِمَّـــةً مِنْـــهُ بِتَسْـــمِيَتِي
مُحَمَّـــدًا وَهْـــوَ أَوْفَى الخَلْـــقِ بِـــالذِّمَمِ

اللُّغة: (**ذِمّةً**): أي أمانًا.

المعنَى: (**فَإِنَّ لِي ذِمَّةً**) أي جِوارًا وأمانًا (**مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي مُحَمَّدًا**) باختِيارِي لذلِكَ (**وَهْوَ**) ﷺ (**أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ**) فيَشفَعُ لي بإِذن اللهِ. وكأنّ النّاظِمُ يُريد الإشارة إلى الحديث: «**مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا تبَرُّكًا بِهِ كَانَ هُوَ وَمَوْلُودُهُ فِي الجَنَّةِ**» إلّا أنّ هذا الحديثَ فيه ضَعفٍ، فقد قال ابن الجوزيّ في «الموضوعاتِ»: "في إسنادِ هذا الحديثِ مَن قدَ تُكُلِّمَ فيه" اهـ.

١٤٧- **إِنْ لَـمْ يَكُـنْ فِي مَعَـادِي ءاخِـذًا بِيَـدِيْ**
فَضْـلًا وَإِلَّا فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ القَـدَمِ

اللُّغة: (**المَعاد**): العَودُ للجزاءِ في الآخرةِ.

المعنَى: (**إِنْ لَمْ يَكُنْ**) رسول الله ﷺ شفيعًا لي (**فِي مَعَادِي**) أي يومَ القيامة (**ءاخِذًا بِيَدِيْ**) أي شافِعًا فِيَّ (**فَضْلًا**) مِنهُ وإحسانًا (**وَإِلَّا**) إنْ لَم يكَنُ كذلك في مَعادِي (**فَقُلْ**) هو خِطابٌ منهُ لِنَفسِهِ (**يَا زَلَّةَ القَدَمِ**) أي يا سُوءَ الحالِ الّذي أنا فيه.

١٤٨- **حَاشَـاهُ أَنْ يَحْـرِمَ الـرَّاجِيْ مَكَارِمَـهُ**
أَوْ يَرجِـعَ الجَـارُ مِنْـهُ غَـيْرَ مُحْـتَرَمِ

المعنَى: (**حَاشَا**) قَدرِ(ه) الجليلِ (**أَنْ يَحْرِمَ**) أي يَمنعَ (**الرَّاجِيْ**) مِنهُ (**مَكَارِمَهُ**) أي شَفاعَتَهُ (**أَوْ**) أنْ (**يَرجِعَ الجَارُ**) أي الذي التجَأَ إلى جِوارِهِ المَنِيع (**مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ**) أي مَحرومًا شفاعَتَهُ إنْ كُتِبَتْ لي الشّفاعةُ.

اللامعة: ورُوِيَ عن أبي عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب العُتبيّ أحد أصحاب سفيان بن عيينة قال: دخلت المدينة فأتيت قبرَ النَّبِيّ ﷺ فزرتُه وجلستُ بقُربِه فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرُّسل، إنّ الله تعالى أنزَلَ عليك كتابًا صادقًا قال فيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤] وإنّي جِئتُك مُستَغفِرًا مِن ذَنبِي مُستشفِعًا بك إلى رَبِّي، ثم بكى وأنشَدَ:

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالقَاعِ أَعْظُمُهُ ۞ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيْ الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ۞ فِيهِ العَفافُ وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ
أَنْتَ الشَّفِيعُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ۞ عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا مَا زَلَّتِ القَدَمُ
وَصَاحِبَاكَ فَلَا أَنْسَاهُمَا أَبَدًا ۞ مِنِّيْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ما جَرَى القَلَمُ

ثمّ استغفَرَ وانصَرَفَ. قال العُتبيُّ: فرَقَدتُ فرأيت النَّبِيَّ ﷺ في النّوم وهو يقول: الْحَقِ الأعرابيّ وبَشِّره بأنَّ الله غفَر له بشَفاعَتِي، فاستيقظتُ فخرَجتُ أطلُبه فلَم أَجِدْه.

وقد استحسَن هذه القِصّة جماعةٌ من الفُقهاء المشاهير، فأورَدُوها في كتبهم، منهم أبو محمَّد بن قدامة المقدسي الحنبلي في «المُغْنِي» وأبو الفَرَج المقدسي الحنبلي في «الشرح الكبير» والحافظ النووِيُّ في «المجموع» و«الأذكار» والقرطبي في «تفسيره» والسُّبكِيُّ في «شِفاء السّقام» والمَقريزيُّ في «إمتاع الأسماع» والقسطَلّانيُّ في «المَواهِب اللَّدُنِّيّة» ومحمّد الصالحي الشامي في «سُبُل الهُدى» والدِّيار بكريّ في «تاريخ الخميس» والحافظ أبو الطّيب الفاسي في «شفاء الغَرام» وابن الضِياء في «تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» والسّمهوديّ في «خلاصة الوَفا بأخبار دار المصطفى».

وقال الحافظ النّوويُّ في «المجموع»: "ومِن أحسَنِ ما يَقولُ ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيّب **وسائر أصحابنا** عن العُتبيّ مستحسِنِينَ له" ثُمّ ذكَرَ القِصّة.

١٤٩- وَمُنْــــذُ أَلْزَمْــــتُ أَفْــــكَارِي مَدَائِحَــــهُ
وَجَدْتُــــهُ لِخَــــلاصِيْ خَــــيْرَ مُلْــــتَزِمِ

<u>المعنَى</u>: (**وَمُنْذُ**) زَمانٍ (**أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ**) ووجّهتُها إلى ذلك متوسِّلًا بالنّبِيّ ﷺ إلى الله تعالَى (**وَجَدْتُهُ**) ﷺ (**لِخَلاصِيْ**) مِنَ الشّدائِد (**خَيْرَ مُلْتَزِمِ**) أي كفيلٍ في الخَلقِ لِخَلاصِي.

١٥٠- وَلَــنْ يَفُــوتَ الغِــنَى مِنْــهُ يَــدًا تَرِبَــتْ
إِنَّ الحَيَــاْ يُنْبِــتُ الأَزْهَــارَ فِي الأَكَــمِ

<u>اللُّغة</u>: (**تَرِبَتْ**): أي افتقَرَتْ. و(**الحَيَا**): المَطَر. و(**الأَكَمَة**): جمَع أَكَمَة وهي الرَّبوةُ أي ما ارتَفَعَ مِن الأرضِ.

<u>المعنَى</u>: (**وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى**) أي العَطاءُ (**مِنْهُ يَدًا**) لِمُؤمِنٍ قد (**تَرِبَتْ**) أي افتَقَرَتَ فـ(**ـإِنَّ الحَيَاْ**) أي المطَرَ إذا نزَل إلى الأرض عمّ الصالِح منها وغيرَ

الصالحِ فـ(**يُنْبِتُ**) الرّياحِينَ و(**الأَزْهَارَ فِي الأَكَمِ**) أي المُرتَفعات مِن الأرض، مع أنّها هي مَظِنّةُ عدَمِ الإنباتِ بسببِ عدم ثَباتِ الماءِ عليها لِعُلُوّها، فكمَا أنّ المطَرَ لَم يَفُتْهُ أن يكونَ سبَبًا للإنباتِ في تِلكَ المواضِع فكذلِكَ جُودُ رسولِ الله ﷺ وإشفاقُه على أُمّتِه عامٌّ بدليلِ أنّ شَفاعتَه هي كما قال ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنَ أُمَّتِي**».

١٥١- **وَلَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الدُّنْيَـا الَّـتِي اقْتَطَفَـتْ**
يَـدَا زُهَـيْرٍ بِمَـا أَثْـنَى عَلَى هَـرِمِ

<u>**المعنَى**</u>: (**وَ**)أنا على فَقْرِي (**لَمْ أُرِدْ**) بِمَدحِي رسولَ اللهِ ﷺ شيئًا مِن (**زَهْرَةَ**) أي حُطامِ (**الدُّنْيَا**) ونعِيمها الزّائِلِ (**الَّتِي اقْتَطَفَتْ**) أي نالَتْ مِنها (**يَدَا**) الشّاعِرِ الجاهِلِيّ (**زُهَيْر**) بنِ أبي سُلَمى (**بِمَا أَثْنَى**) مِنَ المدِيح (**عَلَى هَرِمِ**) بنِ سِنانٍ الذي كان يُضرَب به المَثَلُ في الجُودِ، وإنّما أرجو بمدحِي رسولَ اللهِ ﷺ الثّوابَ مِن اللهِ والشّفاعةَ مِن نَبِيّه ﷺ يومَ القِيامةِ.

الفصل العاشر: في المُناجاة وعَرْضِ الحاجاتِ

١٥٢- يَـا أَكْـرَمَ الرُّسْـلِ مَـا لِي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ
سِـوَاكَ عِنْـدَ حُلُـولِ الحَـادِثِ العَمِـمِ

اللُّغة: (**ألوذُ**): أي ألتَجِئُ. و(**العَمِم**): بكسرِ الميم الأولى أي الشّامِل العميم.

المعنَى: (**يَا أَكْرَمَ الرُّسْلِ**) عِندَ الله وأحبَّ الخَلقِ إلى الله (**مَا**) أي لَيسَ (**لِي مَنْ أَلُوذُ**) أي أحتمِي (**بِه**) وألتجئُ إليهِ ليَشفَعَ لِي عِندَ اللهِ (**سِوَاكَ**) يا حبيبَ اللهِ (**عِنْدَ حُلُولِ**) أي مجيءِ (**الحَادِثِ العَمِمِ**) وهوَ يومُ القِيامةِ وأهوالُه.

١٥٣- وَلَـنْ يَضِـيقَ رَسُـولَ اللهِ جَاهُـكَ بِيْ
إِذَا الكَـرِيمُ تَحَـلَّى بِاسْـمِ مُنْـتَقِمِ

اللُّغة: (تَحَلَّ): اتَّصَف.

المعنَى: (وَلَنْ يَضِيقَ) يا (رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ) الرّفيعُ (بِيْ إِذَا) أي و(الكَرِيمُ) اللهُ عزّ وجلّ (تَحَلَّ) أي تَسَمَّى (بِاسْمِ) الـ(ـمُنْتَقِمِ) فهو تعالَى يُعاقِبُ مَن شاءَ مِن عُصاةِ المُسلِمين وأنا أرجو أن تكونَ أنتَ يا رسولَ اللهِ شفِيعي يومَ الحِساب.

اللامعة: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَياتِي خَيْرٌ لَكُم ومَمَاتي خَيرٌ لَكُم تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لَكُم، وَوفَاتي خَيرٌ لَكُم تُعْرَضُ عَلَيَّ أعْمالُكُم فَما رَأيتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ الله علَيهِ، وما رأيتُ مِنْ شَرّ استَغْفَرْتُ لَكُم»، رَواهُ البَزّارُ، ورِجالُهُ رجالُ الصَّحيحِ، ونحنُ نقولُ:

أ) هذا الحديثُ يدلُّ على أن النَّبِيَّ ينفعُ بعدَ موتِهِ خلافًا لنُفاة التوسلِ القائلينَ إنهُ لا أحدَ ينفع بعد موتِهِ، فإنهُ عليه الصلاةُ والسلامُ لما قال: «ومماتي خيرٌ لَكُم» مرتين أَفهَمَنَا أنه يَنفعنَا بعد موتِهِ أيضًا بإذنِ الله عزَّ وجلَّ.

وأما قولُهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**تُحدِثُونَ ويُحدَثُ لكُم**» فمعناهُ: يحصلُ منكم أمورٌ، ثم يأتي الحكمُ بطريقِ الوحي إلى رسولِ اللّه.

ثم يؤكّدُ النبيُّ عليه الصلاةُ والسّلامُ نفعهُ لأمَّتِهِ بعد وفاتِهِ بقولِهِ: «**ووفاتي خيرٌ لكم؛ تُعرَضُ عليَّ أعمالُكُم، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ اللّه عليهِ، وما رأيتُ من شَرّ استغفرتُ لَكُم**».

ب) ويؤيد ذلك نَفْعُ موسى عليه السلام لأمة محمد ﷺ ليلة المعراج، لما سألَ النَّبيَّ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: «ماذا فَرَضَ اللّه على أمتِكَ؟»، فقال له: «**خمسينَ صلاةً**»، قال: «ارجِع وَسَل التَّخفيفَ فإنّي جَرَّبتُ بني إسرائيلَ، فُرِضَ عليهم صلاتانِ فلم يقوموا بهما»، فَرجعَ فطلَبَ التَّخفيفَ مرَّةً بعد مرَّةٍ، وفي كلّ مرَّةٍ كانَ موسى عليهِ السلامُ يقولُ لهُ: «ارجِع فَسَل التّخفيفَ»، إلى أن صارت خمس صلواتٍ بأجرِ خمسينَ.

فهل يشكُّ عاقلٌ بنفعِ موسى عليه السَّلام لهذهِ الأمَّةِ هذا النّفعَ العظيمَ، وهو الذي قد توفيَ قبلَ ليلة المعراجِ بأكثر من ألف سنةٍ؟! فهذا عملٌ بعد الموتِ انتفعت به الأمة المحمدية كلها بلا شك ولا مواربة.

ج) ويَدُلّ على ذلك أيضًا ما رواهُ مسلمٌ في حديثِ المعراجِ، أنّ كُلًّا مِن الأنبياءِ الذين لقيَهُم في السماءِ دعا للرسولِ بخيرٍ وهم ثمانية: ءادم في الأولى، وعيسى ويحيى في الثانيةِ، ويوسف في الثالثةِ، وإدريس في الرابعةِ، وهارون في الخامسةِ، وموسى في السادسةِ، وإبراهيم في السابعةِ، وكل ذلك نفعٌ بعد الموت.

فبطل تعلُّق نُفاة التوسل بالاستدلال بحديثِ البخاري: «**إذا مات ابن ءادم انقطع عمله إلا من ثلاث**» فإنه بزعمِهِم يمنع الانتفاع بزيارة قبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم.

يقال لهم: المرادُ بقولهِ عليه السلام «**انقطع عمله**» أي العمل التكليفي، وليس فيه تعرض لما سوى ذلك من نحو نفع التوسل بهم، بل فيه ما يدل على خلافِ دعواهم، حيث إن فيه أن دعوةَ الولدِ الصالحِ تنفعُ أباه، وليس مراد الرسول بذلك أنه لا ينفع الميت دعاء غير ولده الصالح، وإلَّا فما معنى صلاة الجنازة؟؟ وما معنى الدفن في البقيع؟؟

وأمَّا تَوسُّلُ عُمرَ بالعَبَّاسِ بعدَ مَوتِ النَّبي ﷺ فليسَ لأَنَّ الرّسُولَ قدْ مَاتَ، بلْ كانَ لأجْلِ رِعَايةِ حَقّ قَرابَتِه مِنَ النَّبي ﷺ. ويدل على ذلك أمورٌ منها:

١- قَولِ العبّاسِ حِينَ قَدَّمَهُ عُمَرُ: «اللّهُمَّ إنّ القَوْمَ تَوجَّهُوا بي إلَيْكَ لِمَكَاني مِنْ نَبيّكَ»، فَتَبيَّنَ بُطْلانُ رأْيِ ابنِ تَيْمِيَةَ ومَنْ تَبِعَهُ مِنْ مُنْكِرِي التَّوسُلِ. رَوى هذا الأَثَرَ الزُّبَيرُ بنُ بكّار كما قالَ الحافظُ ابن حجر.

٢- ويُسْتَأنسُ لَهُ أَيضًا بِما رَواهُ الحاكِمُ في المستَدْرَكِ أنَّ عُمرَ رَضِيَ الله عَنْهُ خَطَب النَّاسَ، فقالَ: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ رسُولَ الله ﷺ كانَ يَرَى للعَبّاسِ مَا يَرَى الولَدُ لِوَالدِه، يُعَظّمُهُ ويُفَخّمُهُ ويَبَرُّ قَسَمَهُ، فاقْتَدُوا أيُّها النّاسُ برسولِ الله ﷺ في عَمّهِ العبَّاسِ، واتّخِذُوه وسِيلةً إلى الله فِيما نَزَلَ بكُم»، فَهذا يُوضِحُ سَببَ تَوسُّلِ عُمَرَ بالعَبّاسِ.

فتركُ عمر التوسل بالنَّبي في ذلكَ الموضِع ليسَ فيه دلالةٌ على منعِ التَّوسُّلِ بغيرِ الحيّ الحاضِرِ، فقد تَرَكَ النّبيُّ ﷺ كثيرًا من المباحَاتِ، فهل دلَّ تركُهُ لهَا على حرمتِها؟ وقد ذَكَرَ العلماءُ في كتبِ الأصولِ أن تركَ الشَّيءِ لا يَدُلُّ على منعِهِ.

وقد أرادَ سيدنا عمرُ بفعلِهِ ذلكَ، أن يبيّنَ جوازَ التَّوسُّلِ بغيرِ النبيّ ﷺ من أهلِ الصَّلاحِ ممَّن تُرجَى بركتُهُ، ولذا قالَ الحافظُ ابن حجرٍ في فتحِ الباري عَقِبَ هذه القصَّة ما نصُّه: «يستفادُ من قصةِ العبّاسِ استحبابُ الاستشفاعِ بأهلِ الخيرِ والصَّلاحِ، وأهلِ بيتِ النُّبوَّةِ».

فَلا الْتِفَاتَ بَعْدَ هَذا إلى:

١- دَعْوَى بَعْضِ هَؤلاءِ المشَوّشِينَ أنَّ الحدِيثَ المذْكُورَ في إسنَادِهِ أبو جَعْفَرٍ وهوَ رَجُلٌ مجْهُولٌ ولَيْسَ كَما زَعَمُوا، بل أبو جَعْفرٍ هَذا هُوَ أبو جَعْفَرٍ الخِطْمِيُّ، وهو ثِقَةٌ.

٢- ودَعْوَى بعضهم أنَّ مُرادَ الطَّبرَانيّ في حديث الأعمى المعروف بقَولِه: «والحدِيثُ صَحِيحٌ» القَدْرُ الأَصْلِيُّ، وهوَ مَا فَعلَهُ الرَّجُلُ الأَعْمَى في حَياةِ رسُولِ الله فَقَط، وَلَيْسَ مُرادُه ما فَعلَهُ الرَّجُلُ أيّامَ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ بَعْدَ وفاةِ الرسولِ.

وهذا مردودٌ، لأَنَّ عُلَماءَ المصْطَلح قَالُوا: الحَدِيثُ يُطلَقُ علَى المَرْفُوعِ إلى النّبيّ والمَوقُوفِ على الصَّحابَةِ، أي أنَّ كَلامَ الرسولِ يُسَمَّى حَدِيثًا

وقَولَ الصَّحابِيّ يُسَمَّى حَدِيثًا، ولَيسَ لَفْظُ الحَدِيثِ مَقْصُورًا على كلامِ النّبِي فَقط في اصطِلاحِهِمْ.

وقد نَصّ على ذلك غير واحد من علماء الحديث، منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، كما نقل عنه السُّيوطي في تدريب الراوي، وابن الصلاح في «مقدّمته» في علوم الحديث. واعلم أن كلامَ هَذا المُمَوِّهِ لا يُوافِقُ المُقَرَّرَ في عِلْمِ المُصْطَلَحِ، فَلينْظُرْ مَنْ شَاءَ في كِتَابِ «تَدْرِيْبِ الرَّاوِي» و«الإفْصَاحِ» وغَيرِهما مِن كُتُبِ المُصْطَلَحِ.

فإنَّ هذا القائل لم يجرّهُ إلى هذهِ الدَّعوى إلا شِدّة تعصبهِ لهواهُ، وعَدم مبالاتِهِ بمخالفةِ العلماءِ، فهو كَسَلَفِهِ ابن تيمية.

٣- استدلالهم بما ورد في حدِيث ابنِ عَبّاسٍ - الذي رواهُ التّرمذيُّ - أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لهُ: «**إذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ الله وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِن بالله**» علَى مَنْعِ التَّوسُّلِ بالأَنبياءِ والأَوْلياءِ. وتلك شُبهة باطلة:

أ) لأَنَّ الحديثَ معناهُ: أن الأَوْلى بأن يُسأَلَ ويُسْتَعانَ بهِ الله تَعالى، وليسَ مَعناهُ لا تَسْأَلْ غيرَ الله ولا تَسْتَعِنْ بغَيْرِ الله. نَظِيرُ ذَلِكَ قَولُه ﷺ: «**لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا ولا يأكُلْ طَعامَكَ إلا تَقِيٌّ**»

فكَما لا يُفهَمُ مِنْ هَذا الحَديثِ عَدَمُ جَوازِ صُحْبَةِ غَيرِ المؤمنِ وإطْعامِ غَيرِ التَّقِيّ، وإنَّما يُفْهَمُ مِنهُ أنَّ الأَوْلَى في الصُّحبَةِ المؤمنُ وأنَّ الأَوْلَى بالإطْعامِ هُوَ التَّقِيُّ، كذلكَ حَديثُ ابنِ عبَّاسٍ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا الأَوْلَوِيّةُ، وأمّا التَّحريمُ الذي يدَّعونه فلَيسَ في هذا الحَدِيثِ، ولا في غيره.

ب) ولأنّ المتوسّلَ القائلَ: «اللّٰهُمَّ إني أسألكَ بنبيكَ، أو بأبي بكرٍ، أو بأويسٍ القَرَني»، أو نحوِ ذلك فقد سأَلَ الله، ولم يسأل غيرهُ، فأينَ الحديث وأين دعواهُم؟!

ثم إن الحديثَ ليس فيه أدَاة نهي، لم يَقُل الرسولُ لابنِ عبّاسٍ: لا تسأل غيرَ الله ولا تَستَعِن بغيرِ الله، ولو وَرَدَ بلفظِ النهي فليسَ كل أداة نهي للتحريمِ، كحديثِ الترمذي وابنِ حبانَ: «**لا تُصَاحِب إلا مؤمنًا ولا يَأكُل طعامَكَ إلا تَقيٌّ**»، فهذا الحديثُ - مع وجودِ أداةِ النهي فيه - ليسَ دليلًا على تحريمِ أن يطعمَ الرجلُ غير تقي، وإنما المعنَى أن الأولى أن تطعمَ طعامَكَ التقيَّ. فكيفَ تجَرأ نفاة التوسل على الاستدلالِ بهذا الحديثِ لمنعِ التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ؟! ما أجرأَهُم على التحريمِ والتكفيرِ بغيرِ سببٍ!!

ومن عَرَفَ حقيقتَهُم فإنه لا يَجعل لكلامِهِم وزنًا. وكيفَ يُجعَل لهذهِ الفرقة وَزنٌ وهم يكفرونَ المؤمنَ الذي يأتي ليُسَلمَ على الرسولِ، ثم يَدعو الله متوجهًا إلى القبرِ الشريفِ، فإنهم يَرَونَ هذا شركًا ولا سيما إذا وَضَعَ يدهُ على شباك الحجرة المبارك، فإنهم يجعلونَ هذا الشرك الأكبر الذي يستوجِبُ فاعله الخلودَ في النارِ، كما هو معروفٌ من تَصَرُّفهم مع الزائرينَ.

ولَعمرِي ماذا يقولونَ فيما ثَبَتَ عن أبي أيوب الأنصاري من أنه جَاءَ إلى قبرِ الرسولِ، فَوَضَعَ وجهَهُ عليهِ للتبركِ؟! وهذا لا شَكّ عندهُم من أكبرِ الكفرِ والشركِ، وحاشا لله أن يكون أبو أيوب أشركَ بالله لذلكَ، ولا يَخطُرُ هذا ببالِ مسلمٍ، فلم ينكر عليهِ أحدٌ من الصحابَةِ ولا أحدٌ من أهلِ العلمِ من السلفِ بل ولا الخلفِ.

فإذا كانَ وضع الوجهِ على قبرِ الرسولِ للتبركِ لا يُعَدُّ شركًا، فكيفَ وضعُ الكَفّ على الشبيكةِ التي هي بينَ القبرِ وبينَ الزائرِ؟! فإنا لله وإنا إليه راجعونَ.

فالحاصِل أنَّ معنَى الحديثِ: الأَوْلَى بأنْ تسأل الله وتَستعِين بالله.

١٥٤- فَــــإِنَّ مِـــــنْ جُـــوْدِكَ الدُّنْيَـــا وَضَرَّتَهَـــا

....

المعنَى: (**فَإِنَّ مِنْ جُوْدِكَ**) أي مِمّا جادَ اللهُ تعالَى بهِ عليكَ (**الدُّنْيَا**) أي مِن خيرِها وهو هِدايتُك النّاسَ (**وَ**)مِن جُودِك (**ضَرَّتَهَا**) أي ضَرَّةَ الدُّنيا يريدَ الآخِرةَ وذلك أنّه أُعطِيَ الشّفاعةَ العُظمَى يومَ القيامة، ولا يَنال يومَ القيامةِ شفاعةً إلا المُؤمِن.

أمّا عَجُزُ هذا البيتِ كما هو في النُّسَخ المُتداوَلة ففاسِدٌ ونصُّه:

(وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوحِ وَالقَلَمِ)

لأنّ النّبِيّ ﷺ يعلَم بعضَ ما في اللّوح المحفوظ مِمّا أطلَعَهُ اللهُ عليه مِن الأمورِ الّتي حصلَتْ وستَحصُلُ في الدُّنيا وليسَ يَعلَمُ كُلَّ ما في اللَّوحِ المحفوظِ لأنّ اللَّوحَ المحفوظَ مكتوبٌ فيهِ كُلُّ ما يجري في هذه الدُّنيا إلى نهايَتها أي إلى يومِ القيامةِ، أمّا أنْ يُنسَبَ إلى النّبِيّ أنّهُ يعَلَمُ كُلَّ ما في

اللّوحِ المحفوظ فهذا غُلُوٌّ وكلامٌ مردودٌ فاسِدٌ مُعارِضٌ لكثيرٍ مِن النُّصوصِ الشّرعيّة، مِنها:

- قولُ الله تعالَى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التّوبة: ١٠١].

- وما رواهُ الشّيخانِ في صَحِيحَيهما وغيرُهما عن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما قال: خَطَب رسولُ الله ﷺ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، **ثُمَّ قَالَ**: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] **إِلَى ءاخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] **فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**».

- وقال ابنُ الحاجّ المالكِيُّ (ت ١٢٧٣هـ) في حاشيته على «مختصر الدر الثمين» لأحمد ميارة المالكي في الكلام على "عدم دفع الزكاة لأهل الأهواء" ما نصه[1]: "وأما مَن يُكَفَّرُ ببِدعته اتِّفاقًا كالقائل بنُبُوّةِ عَلِيّ وأنّ جبريلَ غَلِطَ، والقائل بأنّ الأنبياء يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فلا يُعطَونَ منها[2] إجماعًا" اهـ.

فاعتِقادُنا في الناظم رحمه الله أنّه بريءٌ من عَجُزِ هذا البيتِ ولا يُستَبعَدُ أن يكون قد حَصَل تصحيفٌ في بعض ألفاظ البيتِ.

١٥٥- يَـا نَفْـسُ لَا تَقْنَطِـيْ مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ

إِنَّ الكَبَـــائِرَ في الغُفْـــرَانِ كاللَّمَـــمِ

اللُّغة: (اللَّمَم): صِغارُ الذُّنوب.

---

(١) انظر: حاشية ابن الحاج على الشرح الصغير لميارة على متن ابن عاشر (٦٨/٢)، ط. صالح مراد الهلالي سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) أي مِن الزّكاةِ.

المعنَى: لَمَّا رأى الناظمُ مِن نَفسِه شِدّة الخوفِ، أقبلَ عليها يُؤنِسها برَحمةِ الله قائلًا: (**يَا نَفْسُ لَا**) يحمِلَنَّك الخوفُ مِن عذاب الله بِسَبب ما جَنَيْتِه مِن الذُّنوب على أنْ (**تَقْنَطِيْ**) أي تَيْأَسِي مِن رَحمةِ اللهِ (**مِنْ**) أي بسَببِ (**زَلَّةٍ**) أيْ مَعصيةٍ (**عَظُمَتْ**) كَبُرَتْ، وليسَ ذلك على معنى الأَمْنِ، إنّما يريدُ أنْ لا تَصِلَ نَفسُه إلى القُنوط من رحمة اللهِ، (**إِنَّ الكَبَائِرَ**) مِن الذُّنوبِ سِوَى الكُفرِ (**فِي**) جَوازِ (**الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ**) أي كالصّغائرِ مِن حيثُ إنّ كُلًّا مُجوَّزٌ غُفرانُه بدليل قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨ و١١٦].

اللامعة: عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِّيِّ قَالَ: سَمِعتُ عَبدَ اللَّهِ بنَ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ يَقُولُ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا**

اللَّهُ وَأَنَّ **مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَيُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ**[1] **وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ**[2] **السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**». قال الحاكمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وجاءَ في الحديثِ القُدسِيّ الشّريفِ: «**أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي**»: قال القاضي عياضٌ: "قيل: معناه بالغُفران له إذا استَغفرَ، والقبولِ إذا تابَ، والإجابةِ إذا دَعا، والكفايةِ إذا طَلَب الكفاية، وقيل: المرُاد به الرجاءُ وتأميلُ العَفْوِ، وهذا أَصَحُّ" اهـ.

١٥٦- لَعَـــلَّ رَحمَـــةَ رَبِّيْ حِـــيْنَ يَقْسِـــمُهَا
تَـــأْتِي عَلَى حَسَـــبِ العِصْـــيَانِ فِي القِسَـــمِ

---

(١) بكَسر الكاف. قال في «القاموس»: الكِفّةُ بالكَسر مِن الميزان معروفٌ ويُفتَحُ" اهـ.
(٢) أيْ خَفَّتْ.

<u>المعنَى</u>: **(لَعَلَّ رَحمَةَ رَبِّيْ)** أي لَعَلَّ الرّحمةَ الخاصّة التي يُنقَذُ بِها بعض عُصاةِ المُسلمِينَ في الآخِرة مِن العذابِ **(حِيْنَ يَقْسِمُهَا)** أي حينَ تظهرُ في الآخِرةَ **(تَأْتِيـ)**ـنِي عظيمةً **(عَلَى حَسَبِ)** كَثرةِ **(العِصْيَانِ فِي القِسَمِ)** أي القِسمة، فأنال رَحمةً عظيمةً واسعةً في مُقابلِ ذُنوبٍ كثيرةً قدِ ارتَكَبْتُها، لأنّه لا يَلزَمُ أنْ تكونَ المغفرةُ للمغفورِ لَهُ أعظَمَ كُلَّمَا كانتْ ذُنوبُه أكثَرَ، إلّا أنّ النّاظِمَ أرادَ الدُّعاءَ لنَفسِه.

وقولُ النّاظم: "**حِيْنَ يَقْسِمُهَا**" يعني حين تَنزِلُ الرّحمةُ مقسومةً على حسبِ تقديرِ الله الأزليّ، وليس معناهُ أنّ الله تعالَى يُقَدِّرُ حُصولَ شىءٍ في ذلك اليومِ لم يَكُن شاءَهُ مِن قَبلُ، فإنّ تقدير الله أزليٌّ أبديٌّ لا يتغيَّرُ ولا يلحَقُهُ زمانٌ، أمّا المقدوراتُ فهي مخلوقةٌ مقيَّدةٌ بالزّمانِ.

<u>اللامعة</u>: رَوَى البُخاريُّ ومُسلِمٌ وغيرُهما عن أبي هُرَيرةَ ﷺ أنّ النَّبِيَّ قال: «**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ**

فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ[(١)]»

١٥٧- يَـــا رَبِّ وَاجْعَـــلْ رَجَـــائِيْ غَـــيْرَ مُـــنْعَكِسٍ

لَدَيْـــكَ وَاجْعَـــلْ حِسَـــابِيْ غَـــيْرَ مُنْخَـــرِمِ

اللُّغة: (**مُنعَكِس**): أي خائِب. و(**مُنخَرِم**): أي مُنقَطِع.

المعنَى: (**يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِيْ**) الرَّحمةَ في الآخِرةَ رَجاءً (**غَيْرَ مُنْعَكِسٍ**) أي غَيرَ خائِبٍ ولا مَردودٍ (**لَدَيْكَ**) أي في القَبولِ عِندَكَ يا اللهُ (**وَاجْعَلْ حِسَابِيْ**) أي ما حِسبتُ أَنِّي أنالُهُ مِن العفوِ حِسْبانًا (**غَيْرَ مُنْخَرِمِ**) أي غيرَ ناقِصٍ ولا مَقطوعٍ وذلك بأَنْ تُحَقِّق لي رجائِي في عَفوِكَ الجميلِ عَنِّي.

---

(١) قالَ ابنُ أَبِي جَمْرةَ رَحِمَهُ اللهُ: "خَصَّ الفرَس بالذِّكر لأنها أَشَدُّ الحيوان المَأْلوفِ الَّذِي يُعايِنُ المُخاطَبونَ حَرَكَته معَ وَلَدِه، وَلِمَا في الفرَس مِن الخِفّة والسُّرعة في التَّنَقُّل، ومع ذلك تتَجَنَّب أن يَصِل الضَّرَرُ مِنها إلى ولدها" اهـ.

اللامعة: ورَد في الحديث الذي رواه الحاكِمُ مَرفوعًا: «**لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ البَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»، فمعنى "**يَعْتَلِجان**" يَتصارَعان ويَتدافعان، فالدُّعاء والبلاء كُلٌّ بمَشيئةِ الله، فإنْ كان في عِلْمِ اللهِ في الأزلِ أنّ هذا الدُّعاء يُقْبَل فيَندفِع البلاءُ وإلّا فلا يَنْدَفِعُ، فاللهُ عالِمٌ بأَنّ هذا يَغلِبُ هذا وهذا يَغلِبُ هذا. وفي ذلك قال الغَزالِيُّ: فاعْلَمْ أنَّ مِن القضاءِ رَدَّ البلاء بالدُّعاء[1]، والدُّعاء سَبَبٌ لِرَدِّ البلاء واستِجلابِ الرَّحْمة، كما أنّ التُّرْسَ سَببٌ لِرَدِّ السَّهم، والماءَ سَبَبٌ لخُروجِ النَّباتِ مِن الأرضِ، وكما أنَّ التُّرْسَ يَدفَعُ السَّهم فيَتدافَعان فكذَلِك الدُّعاء والبَلاءُ يَتَعالجَانِ.

١٥٨- وَالْطُـــــفْ بِعَبْـــــدِكَ فِي الدَّارَيْـــــنِ إِنَّ لَهُ
صَـــبْرًا مَـــتَى تَدْعُـــهُ الأَهْـــوَالُ يَنْهَـــزِمِ

اللُّغة: (**الأَهْوال**): جَمْع هَولٍ وهو الشِّدّةُ والفَزَع.

---

(١) أيْ لا يَندَفِعُ بالدُّعاءِ إلّا ما قَدَّر الله أنّهُ يَندَفِعُ.

المعنَى: (**وَالْطُفْ**) أي ارفُقْ يا اللهُ (**بِعَبْدِكَ**) يعني النّاظمُ نَفسَهُ (**فِي الدَّارَيْنِ**) دارِ الدُّنيا الفانيةِ ودارِ الآخِرةِ الباقيةِ فـ(**ـإِنَّ لَهُ**) أي لِعَبدِكَ المذكورِ (**صَبْرًا**) ضَعِيفًا لا يَقوَى بهِ على مُقاساةِ كَثيرٍ مِن مصاعِبِ الدُّنيا ومتاعبِها، فكَيفَ بِهِ (**مَتَى تَدْعُهُ**) أي تَطلُبْهُ (**الأَهْوَالُ**) أي الأمورُ المُهوِّلةُ يومَ القيامةِ فإنّهُ (**يَنْهَزِم**) صبرُهُ الضّعيفُ ولا يثبُتُ.

١٥٩- وَائْـــذَنْ لِسُـــحْبِ صَـــلَاةٍ مِنْـــكَ دَائِمَـــةٍ
عَلَى النَّـــبِيِّ بِمُنْهَـــلٍّ وَمُنْسَـــجِمِ

اللُّغة: (**المُنْهَلُّ**): أي الدّائِمُ أو السّائِلُ بشِدّةٍ.

المعنَى: (**وَائْذَنْ**) مِن الإذْنِ وهو هنا بِمعنَى أَبِحْ (**لِسُحْبِ صَلَاةٍ**) وتَسليمٍ (**مِنْكَ**) يا رَبِّ خَلْقًا وتكوينًا (**دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ**) **محمَّدٍ** ﷺ (**بِـ**)**مجيئِها** على نَحوِ (**مُنْهَلٍّ**) أي مُنصَبٍّ (**وَمُنْسَجِم**) أي وسائِلٍ كانصِبابِ المطَرِ الّذي هذه صِفَتُهُ.

١٦٠- مَـــا رَنَّحَـــتْ عَـــذَبَاتِ البَـــانِ رِيْـــحُ صَـــبَا
وَأَطْـــرَبَ العِـــيْسَ حَـــادِيْ العِـــيْسِ بِـــالنَّغَمِ

اللُّغة: (**رَنَّحَتْ**): أمالَتْ. و(**عَذَباتُ البانِ**): أغصانُ شَجَرِ البان طَيِّبِ الرّائحةِ. و(**العِيْسُ**): الإِبِلُ البِيضُ. و(**حادِيها**): سائِقُها.

المعنَى: وأَدِمْ يا ربّ صلاتَك وسلامَك على نَبِيّك محمَّدٍ ﷺ (**مَا رَنَّحَتْ**) أي ما دامت تُمِيلُ (**عَذَبَاتِ**) أي أغصانِ شجَرِ (**البَانِ رِيْحُ**) الـ(**ـصَبَا**) التي تَهُبُّ مِن المَشرِقِ صَوبَ بابَ الكَعبةِ (**وَ**)أَدِم يا رَبِّ الصّلاةَ والسّلامَ على نَبِيّك محمَّدٍ ﷺ ما (**أَطْرَبَ**) أي ما دامَ يُطِربُ (**العِيْسَ**) أي الإبلَ (**حَادِيْ العِيْسِ**) أي سائِقُها طرَبًا (**بِالنَّغَمِ**) أي بِصوتِهِ الحسَنِ.

اللامعة: للإبل خاصيّةٌ عظيمة في حصول الطَّرَب لها وقُوّة النشاط عند سماع صوت الحادِي، حتى إنّها لَتَقطَعُ المسافة الطويلة في المُدّة القصيرة لِمَا يَعترِيها مِن نشاطٍ إِثْرَ سماعِ حُسنِ صوتِ حادِيها وطَرِبها بهِ.

تَمَّ الشَّرحُ ولله الحمدُ والمِنّةُ

نُبْذَة تعريفِيَّة عن حياةِ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم الناشر

من منارة الشرق ومهد العلم، بيروت مدينة العلم والعلماء، سطر المجد كتابًا بأحرفٍ ذهبيةٍ تسرد سيرةَ رجلٍ عرف قدرَ الآخرة فسعى لأجلها. هو السيد الشريف الحسيب النسيب رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ نسبًا، الأشعري عقيدةً، الشافعي مذهبًا، الرفاعي القادريّ طريقةً، خادم الآثار النبوية الشريفة.

هي حكايةٌ بدأت بيتيمٍ الْتَقى ـ وهو ابن عشرٍ تقريبًا لا أمَّ له ولا أبَ ـ بعلَّامة العصر وقدوة المحققين، محدث الزمان الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري الذي قدم إلى بيروت عام ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين رومية، وقد رأى الشيخ في ذاك اليتيم ما أعجبه من حسن الإقبال على العلم والشجاعة في قول الحق والجرأة في الإقدام، فكفله.. ورأى فيه فارسًا من فرسان الدعوة المحمدية فاعتنى بهذا الغرس، فها هو ذاك اليتيم اليوم سهم في كنانة أهل الحق وعلم من أعلام الدعوة. أقبل المؤلف أحسن الإقبال يتابع دروس العالم الحافظ، لا ينقطع عن مجلسه

ولا يترك مدارسة العلم وينقل ما سمعه عن الشيخ فكان تحت نظر شيخه وسمعه، ثم ما زال هذا الشاب المقبل على العلم يتردد على المجالس فلا يفوته منها خير إلا حصّله ولا يأخذ مسألة إلا تدارسها مع أقرانه حتى حضر مع الشيخ في إقراء وشرح كتبه وكتب غيره من العلماء في شتى العلوم والفنون، وسمع منه ءالاف المسائل والإملاءات. وكان الشيخ كثيرًا ما يُعطي الدرسَ ثم يأمر المؤلفَ بإعادته، فشبَّ ينهل المعارف ويسلك سبل السلام متمسكًا بمنهاج شيخه متخلِّقًا بأخلاقه، ءامرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، ذا عزم وهمة، ومنتصرًا لقضايا الأمة.

وفي سنة ١٩٧٩ر استلم الخَطابة في مساجد بيروت وأجاد بذلك، حتى إنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس المصلين، فالتَفَّت القلوب حوله تجمعهم المحبة في الله والأخوة الحقة.

وكان الشيخ يُرسله إلى العديد من البلاد لنصرة دين الله وتعليم الناس ونشر المفاهيم السليمة، فاستقبله أهلها وعلماؤها بالترحاب، وأجازه كثيرٌ من العلماء والمحدّثين والفقهاء والمشايخ إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته، وممن أخذ عنهم وأجازه:

- الشيخ الإمام الحافظ المجتهد عبد الله بن محمد الهرري المعروف بالحبشي.

الشيخ المعمر ملا حسن سيد أفندي مستك أوستوران الحنفي القادري النقشبندي القونوي التركي.

- مفتي وشيخ العراق الفقيه المفسر المُعَمَّر عبد الكريم محمد المدرس بمدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الشافعي النقشبندي.

- مسند عصره المحدث الشيخ أبو الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني الأندنوسي ثم المكي.

- محدث الهند الشيخ حبيب الرحمن بن الشيخ صابر الأعظمي الحنفي.

- المحدّث المعمَّر الفقيه عبد الرحمٰن بن شيخه أبي الإسعاد وأبي الإقبال خادم السنة محمد عبد الحي بن شيخه أبي المكارم عبد الكبير بن شيخه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الحسيني الحسني الإدريسي الكتّاني.

- محدث البلاد التونسية الشيخ محمد الشاذلي بن الشيخ محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر النّيفر.

- الشيخ مفتي البلاد التونسية كمال الدين بن الشيخ محمد العزيز جعيط.

- المحدث الفقيه الحنفي محمد عاشق إلهي البرني ثم المدني المفتي في دار العلوم ـ كراتشي.

- الشيخ الفقيه الشافعي أحمد نصيب المحاميد الحوراني ثم الدمشقي تلميذ محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين الحسني.

- الشيخ الزاهد محمد علي الحريري الرفاعي الحوراني ثم الدمشقي.

- الشيخ الولي الصالح محمد سليم الرفاعي القاري.

- مفتي محافظة الرقة السورية محمد السيد أحمد.

- الشيخ المعمَّر الصالح صاحب الأحوال السنية محمد ياسين حزوري التركماني ثم الحمصي.

- الشيخ الفرضي نور الدين خزنه كاتبي الدمشقي.

- الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد هاشم المجذوب الرفاعي.

- الشيخ الفقيه المعمَّر محمد زين العابدين بن الشيخ محمد عطاء الله بن الشيخ إبراهيم الجذبه.

- مؤرخ الشام الفقيه الحنفي الشيخ محمد رياض المالح.

- مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد الرقيمي الأشعري.

-المفتي الشيخ عمر جيلاني الأشعري.

- الشيخ المسند المقرئ إدريس منديلي الشافعي.

-الشيخ المعمَّر الفقيه الشافعي أبو عمر عبد السلام القصيباتي العاتكي الدمشقي.

-الشيخ محمد رجائي بن الشيخ كمال الدين المشهور بشهيد ميسلون الحسني الدمشقي.

-الشيخ يحي بن سعيد الخطيب مفتي مدينة الرستن السورية.

-الشيخ الدكتور أكرم عبد الوهاب الملّا يوسف محمد سعيد الموصلي الشافعي.

- الشيخ المعمر يوسف محمود عمر العتوم الأردني.

-الولي الصالح الهائم السائح نورين تندلكي السوداني القادري خليفة قطب السودان المعمَّر عبد الباقي بن الحاج عمر بن أحمد الحسيني المكاشفي.

- المعمَّر الفقيه حامد بن علوي بن سالم بن أبي بكر الكاف الحسيني.

- الشيخ سهيل بن محمد الزبيبي الدمشقي الحنفي.

- الفقيه الأصولي المحدث عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي.

- المتبحر في فنون الحديث محمد بن المفتي محمد سراج بن محمد سعيد بن أبي بكر بن ءادم الآني الجبرتي.

- الشيخ العابد الزاهد محمد أمين الودي المشتهر بشيخ كَسر شيخ نجاة الحبشة.

- المعمَّر الشيخ عبد الصمد بن سادو قلتو الأوكولشي العروسي الأورومي.
- المفتي الشيخ خطاب بن المفتي عمر الفقيري التلوي ثم الإسطنبولي التركي.
- الفقيه ملا طيب بن عبد الله بن سليمان بن محمد البحركي.
- العلّامة الفقيه الحبيب علي بن حسين بن عبد الله عيديد.
- الشيخ المشهور محمد رشاد بن عبد الله الطرطري الهرري الأورومي الشافعي.
- الوجيه الشيخ السيد حسين بن السيد عبد الرحمٰن بن السيد عبد الصمد بن السيد الفقيه جمال الدين محمد الآني الشافعي الحبشي.
- الشيخ المسند محمد عبد الرشيد النعماني الحنفي.
- الشيخ الفاضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر الملا الإحسائي.
- الشيخ المعمَّر محمد عثمان بلال مفتي مدينة حلب.
- الشيخ الشريف السيدا محمد علي الجيلانباري.
- الشيخ الأستاذ المتفنن في العلوم محمد سعيد أرواس ألواني.
- الشيخ الفقيه الجبل الراسخ عبد العزيز بن الشيخ إبراهيم بن بلال.
- الشيخ الفقيه الحنفي خطيب المسجد الأموي في دمشق الشيخ نزار

محمد الخطيب.

- الشيخ الحاج علي ولي حفيد ولي الله المشهور بالشيخ بشرى.
- الشيخ المسند الرابغي عبد القادر البخاري.
- الشيخ المسند عبد الحميد عبد الحليم الداري.
- السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ جمال بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي نسابة العالم الإسلامي.
- العلامة الفقيه عبد الرحمـٰن كنج كويا تنكل قاضي بلال وعميد كلية السيد مدني العربية ومرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند عبد الرحمـٰن البخاري.
- الشيخ المعمر محمد طاهر ءايت علجت الجزائري.
- الشيخ الفقيه اللغوي المفتي الأمين عثمان الأمين.
- الشيخ العلّامة المعمر الفقيه الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف.
- الشيخ المعمر محمد بن عمر المختار شيخ المجاهدين.
- الفقيه الأصولي المحدث أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني الغماري.

وبالإجمال فإجازاته فاقت السبعمائة إجازة، ومن أراد زيادة تفصيلٍ

فلينظر في ثبتيه: «جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، والثبت الكبير «المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي».

وفي سنة ١٩٨٥ر تزوج بالسيدة الفاضلة عائشة علي وأعقب منها السيد محمدًا والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

وفي سنة ١٩٩٥ر حج بيت الله الحرام، ثم زار قبر النبي المصطفى ﷺ واستوطن المدينة المنورة، ثم حجَّ بعد ذلك خمس عشرة حجةً واعتمر عمراتٍ كثيرة.

وقد أخذ وتلقى على العلماء من الكتب والمصنفات ما يصعب حصره لضيق المقام، وهي في علومٍ شتى، فمنها على سبيل المثال لا الحصر:

التوحيد والعقيدة:

- **سلسلة كتب الشيخ عبد الله الهرري:**

١. الدليل القويم على الصراط المستقيم.

٢. متن الصراط المستقيم.

٣. الشرح القويم على الصراط المستقيم.

٤. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.
٥. المطالب الوفية شرح العقيدة النسفية.
٦. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
٧. العقيدة المنجية.
٨. صريح البيان في الرد على من خالف القرءان.
٩. بغية الطالب في معرفة العلم الديني الواجب (١ـ٢).
١٠. شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله.
١١. التحذير الشرعي الواجب.
١٢. رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي.
١٣. رسالة في الرد على قول البعض: إن الرسول يعلم كل شىء يعلمه الله.
١٤. الغارة الإيمانية في ردِّ مفاسد التحريرية.
١٥. الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية.
١٦. صفوة الكلام في صفة الكلام.
١٧. قواعد مهمة.

- **رسائل السنوسي الأربعة:**

١٨. العقيدة الكبرى.

١٩. العقيدة الوسطى.

٢٠. العقيدة الصغرى (أم البراهين).

٢١. المقدمات في التوحيد.

٢٢. الخريدة البهية للشيخ الدردير.

٢٣. جوهرة التوحيد للقّاني.

٢٤. الاعتقاد والهداية للبيهقي.

- **رسائل أبي حنيفة الخمس:**

٢٥. الفقه الأكبر.

٢٦. الفقه الأبسط.

٢٧. العالم والمتعلم.

٢٨. رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي.

٢٩. رسالة الوصية المسماة وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد.

٣٠. بدء الأمالي للفرغاني.

٣١. حدائق الفصول وجواهر العقول المعروفة بالعقيدة الصلاحية لابن هبة الله البرمكي.

٣٢. عقيدة العوام للمرزوقي.
٣٣. كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام للفَضالي.
٣٤. التبيان في الرد على من ذم علم الكلام.
٣٥. الرسائل الإيمانية في الرد على القدرية: رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز ورسالة محمد بن الحنفية ورسالة الأوزاعي في الرد على غيلان.
٣٦. القول الفصل المنجي في الردّ على حسن قاطرجي.
٣٧. خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري.
٣٨. النَّهج السَّوِيّ في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مَوْلَوِي.

- **رسائل القشيري الثلاث:**

٣٩. لمع في الاعتقاد.
٤٠. بلغة المقاصد.
٤١. الفصول في الأصول.
٤٢. قواعد العقائد للغزالي.
٤٣. إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري.

٤٤. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.
٤٥. كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني.
٤٦. شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد للمقترح.
٤٧. التنزيه في إبطال حجج التشبيه المسمى إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة.
٤٨. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري.
٤٩. عقيدة أهل التوحيد للسنوسي، وغيرها.
٥٠. المِنحة الغَيبيّة في الرّد على الفرقة الوهّابية للمفتي محمد سراج الجبرتي.
٥١. المنظومة الميمِيّة في العقيدة للمفتي محمد سراج الجبرتي.

الكتب الحديثية:

٥٢. صحيح البخاري.
٥٣. صحيح مسلم.
٥٤. سنن أبي داود.
٥٥. جامع الترمذي.
٥٦. سنن النسائي.

٥٧. سنن ابن ماجه.

٥٨. موطأ مالك بالروايات الثلاث: رواية يحي بن يحي الليثي، ورواية أبي مصعب الزهري المدني، ورواية محمد بن الحسن الشيباني.

٥٩. صحيح ابن خزيمة.

٦٠. الأدب المفرد للبخاري.

٦١. المسند للدارمي.

٦٢. مسند أبي داود الطيالسي.

٦٣. مسند أبي حنيفة برواية ابن الحارث

٦٤. بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني.

٦٥. تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للعراقي.

٦٦. عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير.

٦٧. مكارم الأخلاق للطبراني.

٦٨. جزء سفيان الثوري في الحديث

٦٩. الشمائل المحمدية للترمذي.

٧٠. الأربعون النووية.

٧١. شرح الأربعين النوويّة المنسوب لابنِ دقيق العيد أو

العَسقلاني.

٧٢. بر الوالدين للإمام البخاري.

٧٣. جزء القراءة خلف الإمام للإمام البخاري.

٧٤. مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر المروزي.

٧٥. مسند أمير المؤمنين عمر بن العزيز للباغندي.

٧٦. عقد الجوهر الثمين للعجلوني.

٧٧. الأوائل الحديثية المائة، أوائل مائة كتاب من كتب الحديث بالأسانيد المتصلة إلى مؤلفيها.

٧٨. الأوائل السنبلية لمحمد سنبل.

٧٩. الأذكار للنووي.

٨٠. رياض الصالحين للنووي.

٨١. الأربعون حديثًا من أربعين كتابًا عن أربعين شيخًا للفاداني.

٨٢. الأربعون البلدانية، أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين بلدًا للفاداني.

٨٣. الأربعون البلدانية المسمى الأربعين المستغني بما فيه عن المعين للسِّلَفي.

٨٤. المعجم الصغير للطبراني.

٨٥. عمل اليوم والليلة للنسائي.
٨٦. إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.
٨٧. الأربعون الهررية.
٨٨. جِياد المسلسلات للسيوطي.
٨٩. الجامع الصغير للسيوطي.
٩٠. بغية الملتمس في سباعيات حديث الإمام مالك بن أنس للعلائي.
٩١. جزء أبي بكر أحمد بن محمد الأثرم تلميذ أحمد بن حنبل في الحديث.
٩٢. المنتقى لابن الجارود، وغيرها.

مصطلح الحديث:

٩٣. شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
٩٤. تعليقات المحدِّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي على شرح نخبة الفكر للعسقلاني.
٩٥. معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
٩٦. شرح الزرقاني على المنظومة البيقونية.

٩٧. ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
٩٨. المنحة الربانية شرح المنظومة البيقونية لمحمد سراج.
٩٩. ألفية العراقي المسماة التبصرة والتذكرة في علوم الحديث.
١٠٠. شرح ألفية العراقي للسيوطي.
١٠١. التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.
١٠٢. نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحَّ من الحديث للهرري.
١٠٣. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي.
١٠٤. شرح التبصرة والتذكرة للعراقي.
١٠٥. شروط الأئمة الستة لأبي الفضل المقدسي.
١٠٦. شروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي.
١٠٧. رسالة أبي داود السجستاني في وصف سُنَنِه.
١٠٨. قاعدة في الجرح والتعديل لتاج الدين السبكي.
١٠٩. قاعدة في المؤرِّخين لتاج الدين السبكي.
١١٠. المتكلمون في الرجال للحافظ شمس الدين السَّخاوي.
١١١. أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب ورود الحديث

للسيوطي.

الآداب والتصوف:

١١٢. تذكرة السامع والمتكلِّم في ءاداب العالم والمتعلِّم لابن جماعة.

١١٣. رسالة المسترشدين للمحاسبي.

١١٤. الرسالة القشيرية في التصوف للقشيري.

١١٥. رسالة ءاداب سلوك المريد للحبيب عبد الله بن علوي الحداد.

١١٦. جزء من كتاب: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.

١١٧. إجابة الداعي إلى بيان اعتقاد الإمام الرفاعي.

١١٨. إرشاد الأواه إلى تحريم ذكر الله بلفظ ءاه.

١١٩. مناقب الإمامين الرفاعي والجيلاني رضي الله عنهما وتبرئة الجيلاني مما نسبه إليه الدجالون.

١٢٠. مجمع العيلمين في مناقب أبي العلمين.

١٢١. وصية أبي حنيفة لتلميذه يوسف السَّمْتي

١٢٢. كرامات الأولياء للخلَّال.

١٢٣. الأربعون في التصوف للسُّلَمِي.

الفقه الشافعي:

١٢٤. شرح التنبيه للسيوطي.

١٢٥. المهذب للشيرازي.

١٢٦. منهاج الطالبين للنووي.

١٢٧. تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.

١٢٨. عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب.

١٢٩. الحاوي الصغير للقزويني.

١٣٠. شرح متن أبي شجاع للغزي.

١٣١. شرح متن الزبد للهرري.

١٣٢. المقدمة الحضرمية للحضرمي.

١٣٣. فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين للمليباري.

١٣٤. فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب لزكريا الأنصاري.

١٣٥. الإقناع للخطيب الشربيني.

١٣٦. المنهج القويم بشرح مسائل التعليم للهيتمي.

١٣٧. تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري.

١٣٨. الأحكام السلطانية للماورديّ.

١٣٩. الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للحبيب الحبشي.

١٤٠. متن سفينة النجاة في ما يجب على العبد لمولاه للحضرمي.

١٤١. رسالة في مسائل تتعلق بالذبائح والنذور للمحدِّث محمد سراج الجبرتي ابن المفتي.

مجموعة كتب الإمام الشافعي:

١٤٢. كتاب الأم.

١٤٣. كتاب الرسالة.

١٤٤. كتاب اختلاف العراقيين، وهو اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى.

١٤٥. كتاب اختلاف علي وعبد الله بن مسعود.

١٤٦. كتاب اختلاف مالك والشافعي.

١٤٧. كتاب جماع العلم.

١٤٨. كتاب بيان فرائض الله.

١٤٩. كتاب صفة نهي رسول الله.

١٥٠. كتاب إبطال الاستحسان، وهو الردُّ على محمد بن الحسن الشيباني.

١٥١. كتاب سير الأوزاعي.
١٥٢. اختلاف الحديث
١٥٣. مختصر البويطي.
١٥٤. مسند الإمام الشافعي.

الفقه الحنفي وأصوله:

١٥٥. اللباب في شرح الكتاب للغنيمي الميداني الحنفي.
١٥٦. أصول الشاشي لأبي عليّ الشاشي الحنفي.
١٥٧. الهداية شرح البداية للمرغيناني الحنفي.
١٥٨. نور الإيضاح للشُّرُنبُلالي.
١٥٩. نور الأنوار في شرح المنار لمُلّا جيون.
١٦٠. المنتخب الحسامي لحسام الدين الأخسيثكي.

الفقه المالكي:

١٦١. متن ابن عاشر في الفقه المالكي.
١٦٢. رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

علوم القرءان:

١٦٣. تفسير النسفي.

١٦٤. تفسير الجلالين للسيوطي والمحليّ.

١٦٥. التفسير النهر المادّ لأبي حيّان الأندلسيّ.

١٦٦. تفسير جزء عم للهرري.

١٦٧. تفسير جزء تبارك للهرري.

١٦٨. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

١٦٩. الإتقان في علوم القرءان للسيوطي.

١٧٠. التبيان في ءاداب حملة القرءان للنووي.

١٧١. الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي.

أصول الفقه وقواعده:

١٧٢. الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر الأهدل.

١٧٣. قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للرعيني.

١٧٤. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي.

١٧٥. الأشباه والنظائر للسيوطي.

١٧٦. لُبّ الأصول في علم الأصول لزكريا الأنصاري.

١٧٧. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري.

السيرة النبوية:

١٧٨. ألفية السيرة النبوية للعراقي.

١٧٩. مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشرة للمقدسي.

١٨٠. جزء من العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للمناوي.

١٨١. مختصر كتاب الكواكب الدرية في مدح خير البرية المسماة بالبردة ومختصر كتاب عنوان الشريف بالمولد الشريف لعلي ابن ناصر الحجازي، اختصره عبد الله الهرري.

١٨٢. الروائح الزكية في مولد خير البرية للهرري.

١٨٣. كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لابن عساكر.

١٨٤. مختصر كتاب الفتح الرحماني في ذكر الصلاة على أشرف الخلائق الإنساني سيدنا محمد المصطفى العدناني ﷺ وعلى ءاله وأصحابه النجباء البررة الكرام، اختصره عبد الله الهرري.

١٨٥. القصيدة الهمزية في مدح خير البَرِيّة للبوصيري.

وغيرها الكثير في شَتّى العلوم والفنون[1].

يرأس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان، ويشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات منها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

---

(١) الحمد لله الذي يَسَّر لي وأكرمني بأنْ قرأت عددًا كبيرًا من كتب علماء أهل السنة في مختلف العلوم والفنون على مشايخ وعلماء وفقهاء ومحدِّثين وقد رافق ذلك تحذيرهم تحذيرًا بالِغًا من بعض المواضع التي تخللتها بعضُ هذه الكتب مثل كتاب النَّهر المادّ والرسالة القشيرية وتفسير الجلالين وغيرها، وقد أكَّدوا على أنّ فيها ما يُحذَر بل وفيها ما هو خلاف عَقيدَةِ أهل السنة والجماعة مع الاعتقاد بأنّ ذلك مدسوس على مؤَلِّفِيها. فالعِبرة يا أخي المسلم هو بتَلَقِّي الكتب على أهل العلم الثِّقات ليُبَيِّنُوا للطالب ما دُسّ في بعض الكتب من الطامّات المهلِكات، ولذلك قال العلماء: «الَّذِي يَعتمد - أي وَحْدَه - على قراءة الكتب يَطلع ضالًّا مُضِلًّا».

وهو حائزٌ على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في بيروت ـ لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المدوِّي للمجسِّم ابن تيمية الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل في مدينة مكناس ـ المغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا ولله الحمد والمنة.

وهو مجازٌ بالطرق كلها، وإعطائها، وتلقين الأذكار والأوراد، وإقامة حلقات الذكر، والختم، والحضرة.

كما أنه دُعي وجال وتنقل في كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية كالحجاز وسوريا والأردن والعراق ومصر وليبيا واليمن والمغرب والإمارات العربية وأندنوسيا وماليزيا والهند وباكستان وبنغلادش وجزر الموريس وأستراليا وألمانيا وفرنسا وهولندا وفنلندا والسويد والدنمارك وتركيا وقبرص وهرر وبلاد أثيوبيا للتدريس والخطابة والتوجيه والمشاركة في المهرجانات وتفقد أحوال المسلمين والدعوة الإسلامية، وشارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض، وله مقالات ومقابلات تلفزيونية وإذاعية نُشرت.

أولى اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب

وتحقيق مصنفات العلماء في مكتبته التي وسمها بالمكتبة الأشعرية العبدرية في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون، وجعل مكتبته مفتوحةً لطلبة العلم والباحثين، ناهيك عما عُقد فيها من محاضراتٍ علميةٍ ومجالس إقراءٍ زكاةً للعلم.

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من تركيا وسوريا ومصر واليمن وباكستان والهند وغيرها بآثارٍ من ءاثار رسول الله محمد ﷺ، فحفظها في الخزينة الحليمية التي حوت شعراتٍ من شعراتِ نبي الله الأعظم ﷺ وقطعًا من عمامته وقميصه ونعله وغيرها من الآثار، وكل ذلك موثقٌ بالأثبات والأختام التي تثبت صحة نسبتها إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[١].

---

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي:

+٩٦١٣٢١٥٣١٦

+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨

sh.jamil.halim@gmail.com

https//:www.facebook.com/Sheikh.Jameel

نَسَبُ الشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم إِلَى رَسُولِ الله ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل ابن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري، خادم الآثار النبوية الشريفة رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحليم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسمٰعيل بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد إبراهيم بن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى ابن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد بن السيد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب

علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين[1].

(١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص٣٣٢، ٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ر ـ ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص١) ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٠م، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية (ص٤٣٣، ٤٣٤) كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

بيان أهمية علم التوحيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد طه الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا زوجة ولا ولد له، ولا شبيه ولا مثيل له، ولا جسم ولا حجم ولا جسد ولا جثة له، ولا صورة ولا أعضاء ولا كيفية ولا كمية له، ولا أين ولا جهة ولا حيز ولا مكان له، كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۝٧٤﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٠﴾ تنزه ربي عن الجلوس والقعود، وعن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصال، لا يحل فيه شىء، ولا ينحل منه شىء، ولا يحل هو في شىء لأنه ليس كمثله شىء، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر. وأشهد أنَّ حبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرة أعيننا محمّدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله ﷺ وعلى كلِّ رسول أرسله. الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا عظيم الجاه، ضاقت حيلتنا وأنت وسيلتنا، أدركنا

وأغثنا وأنقذنا بإذن الله يا رسول الله، أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرِّ والعلن، ألا فاتقوه وخافوه، يقول الله عزَّ وجلَّ في القرءان الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ ويقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ١٦٣﴾ وقال تقدست أسماؤه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ وقد بوَّب البخاري رحمه الله تعالى وعنوَنَ في صحيحه لهذه الآية فقال: باب العلم قبل العلم والعمل، وفي هذه الآية قدَّم القرءانُ الأصلَ على الفرع، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٩﴾ فالإيمان والتوحيد أصل وأساس وهو الحصن الحصين والركن الركين الذي بدونه لا يقبل العمل الصالح، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ بالله ورسوله**»، وهذه الأفضلية المطلقة، فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله ورسوله، فهو أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأفضل من قراءة القرءان والصدقات والذكر، وذلك لأنَّ الإيمان شرطٌ أساسٌ لا بدّ منه لقبول الأعمال الصالحة، وقد قال ربنا في القرءان الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٢٧٧﴾ فالإيمان أولًا، وفي ءايةٍ أخرى قال ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ٩﴾ وقال ﷺ: «**أفضل الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه**»، فإذا دخل عليه الشكُّ أفسده وأبطله، فلا يعود ولا يبقى الإنسان مؤمنًا إن شكَّ في وجود الله تعالى أو في صدق الرسول ﷺ أو في حَقِّيَّة الإسلام، أو شكَّ في تنزيه الله، فهذا لا يكون من المسلمين، لذلك قال ربنا في صفة المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ١٥﴾ أي لم يشكوا لأنَّ الإيمان إذا دخل عليه الشك أفسده؛ من هنا كان الواجب والفرض اللازم المؤكد الأول الإيمان بالله ورسوله، وهذا منهجٌ نبويٌّ وليس منهجًا مستحدثًا اليوم، وليس فكرةً ابتدعناها من عند أنفسنا وأخرجناها من جيوبنا، إنما هذا هو المنهج الذي جاء به محمد وعلَّمه ﷺ لصحابته وأمته.

وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ أهل اليمن جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: «يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، فأنبئنا عن بدء هذا الأمر ما كان»، فكان سؤالهم عن أول المخلوقات، أي عن أول هذا العالم وجودًا، وهو سؤالٌ مهم، إلا أن رسول الله ﷺ أجابهم عما هو أهم، أجابهم عن الأولى فقال ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**»، أي في الأزل لم يكن إلا الله، لا سماء ولا أرض ولا هواء ولا ماء ولا عرش ولا فرش، لا

خلاء ولا ملاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾، فعلمهم الرسول ﷺ ذلك وأكده عليهم مع أنهم يعتقدونه لأنهم كانوا من المسلمين ويعرفون التنزيه، مع هذا علَّمَنا المنهج، سألوا عن مهم فأجابهم عن أهم. وقوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره**» يعني أن الله أزلي، أي أن الله لا مكان له فلا يسكن السماء ولا يجلس على العرش، ليس في جهةٍ واحدةٍ ولا في كل الجهات، فهو تعالى لا يحتاج إلى الأماكن أزلًا وأبدًا، هذا هو المنهج النبوي، وهذا تعليم الرسول ﷺ للأمة. ثم قال ﷺ: «**وكان عرشه على الماء**»، أي أنَّ الماء هو أول العالم حدوثًا ووجودًا، ثم بعد ذلك خُلِقَ العرشُ.

وانظر أخي القارئ إلى ما قاله حذيفة رضي الله عنه وأرضاه: «إنا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرءان»، رواه البيهقي في السنن الكبرى وسعيد بن منصور في سننه. وقال سيدنا جندب بن عبد الله رضي الله عنه: «كنا غلمان حزاورة مع رسول الله فيعلمنا الإيمان قبل القرءان ثم يعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا»، رواه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجه في سننه والبيهقي في السنن الكبرى والبوصيري في زوائد ابن ماجه وقال: «إسناده صحيح». هذا هو المنهج النبوي الصحيح.

ورُوي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا نتعلم

التوحيد قبل أن نتعلم القرءان، وأنتم الآن تتعلمون القرءان ثم تتعلمون التوحيد»، وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه هذا كان خطابًا للذين كانوا في زمانه، فكيف بكثير من أهل زماننا اليوم الذين أعرضوا عن تعلم علم التوحيد والعقيدة، وهذا هلاك كبير. وفي قوله رضي الله عنه «كنا» يشير إلى نفسه وإلى غيره من الصحابة، وفيه إشارةٌ إلى أن الصواب هو ما كانوا عليه، فهذا تأكيد منه رضي الله عنه على أهمية علم التوحيد.

وانظر رحمك الله إلى ما صنفه التابعي الجليل الإمام العظيم أبو حنيفة النعمان رضي عنه من رسائل في هذا العلم الشريف، فقد أَلَّف في علم التوحيد خمس رسائلَ، وقال في كتابه الفقه الأبسط: «الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام»، يعني أن تتعلم أصول العقيدة أفضل من تعلم الأحكام الفرعية. وهذا الإمام أبو حنيفة بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ثم إنه كان تلميذ الصحابة، وأخذ العلمَ عن قريب المائة تابعي، فتأمل.

فهذا ما جاء في القرءان وما جاء في الحديث وما ورد عن الصحابة والتابعين. وقد سلك العلماء بعد التابعين مسلك من قبلهم، فانظر إلى ما جاء في كتاب «الفتاوى البزازية» أو الجامع الوجيز في مذهب أبي حنيفة للعلامة محمد بن محمد شهاب الدين يوسف الكردي البزازي

الذي كان من علماء القرن التاسع الهجري، فقد قال رحمه الله: «تعليم صفة الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدروا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، هذا الأصل في المجالس وعلى المنابر، هذا الأصل». وانظروا إلى ما قاله الفقيه الشافعي أبو حامد الغزالي في كتابه قواعد العقائد بعد أن تكلم عن مبحث الصفات والعقيدة والتنزيه والتوحيد: «اعلم أنَّ ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم للصبي في أول نشأته ليحفظه حفظًا»، والصبي هو من كان دون البلوغ.

فأين الذين ينتقدون أهل الحق ويعترضون عليهم في تكرارهم لأمور العقيدة من هذا الكلام؟ عمَّ الجهل وطمَّ وانتشر الفساد، وصار أهل السنة والجماعة كاليتيم الذي لا كافل له، فتخيل أخي القارئ يتيمًا لا كافلَ له كيف يكون حاله وأمره.

ومن مسائل علم العقيدة معرفة صفات الله تعالى الواجبة له إجماعًا وهي الصفات الثلاث عشرة التي لطالما تكرَّر ذكرها في مصنفات العلماء، ولما تكرَّر ذكرها في القرءان والحديث ونصوص العلماء قال العلماء: «يجب معرفتها وجوبًا عينيًّا» على كل مكلف، والوجوب في هذه المسألة هو معرفة معناها لا أن تُحفظ عين الألفاظ، وهذا سهل - أي

اعتقاد المعنى - فهذا فرضٌ على كل مكلفٍ، وممن ذكر ذلك أبو حنيفة الذي هو من أئمة السلف وممن بعده السنوسي، وكذلك محمد الفضالي الشافعي وعبد المجيد الشرنوبي المالكي، وكذلك جمال الدين الخوارزمي، ومحيي الدين النووي في كتابه المقاصد، ومفتي لبنان الأسبق الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري في كتابه الكفاية لذوي العناية وغيرهم من العلماء.

وصفات الله الثلاث عشرة الواجبة له إجماعًا هي:

الوجود: فالله تعالى يستحيل عليه تعالى العدم، موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا جهة ولا مكان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ۝١٠﴾ أي لا شكَّ في وجوده سبحانه، ووجوده تعالى أزلي أبدي ليس كوجودنا الحادث، فوجودنا بإيجاد الله لنا.

الوحدانية، أي أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وفعله؛ قال عزَّ من قائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

القيام بالنفس: أي أنه تعالى مستغنٍ عن كلِّ ماسواه، وكلُّ ما سواه محتاج إليه، فالعالم بما فيه لا يستغني عن الله طرفة عين، قال عزَّ وجلَّ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

القِدَم: بكسر القاف وفتح الدال، أي الأزلية، أي أنَّ الله تعالى لا ابتداء لوجوده، فيستحيل عليه تعالى الحدوث؛ قال تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ ۝٣﴾.

البقاء: أي أنَّ الله تعالى لا نهاية لوجوده، لا يفنى ولا يبيد ولا يهلك ولا يزول فيستحيل عليه الفناء، قال جلَّ جلاله ﴿وَٱلۡأٓخِرُ ٣﴾.

القدرة: وهي صفة أزليةٌ أبدية يؤثر الله بها في الممكنات، فيستحيل عليه تعالى العجز، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾

الإرادة: أي المشيئة، وهي تخصيص الممكن العقلي ببعض ما يجوز عليه دون بعض وبصفةٍ دون أخرى، فيستحيل حصول شىء خلاف مشيئته تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

السمع: فالله تعالى يسمع كلَّ المسموعات بدون أذن ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى الصمم، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ١١﴾

البصر: فالله تعالى يرى جميع المرئيات بدون حدقةٍ ولا ءالةٍ أخرى، فيستحيل عليه تعالى العمى، قال تعالى. ﴿ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.

الكلام: أي أنَّ الله متكلم بكلام ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، وما نجده في القرءان من ألفاظٍ عربيةٍ إنما هو عبارةٌ عن كلام الله الذاتي الأزلي وليس عين الصفة القائمة بذاته الكريم، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾

الحياة: فالله تعالى حيٌّ يستحيل عليه تعالى الموت، وحياته ليست بروح ودم وعصب، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢٥٥﴾

العلم: أي أنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، فهو تعالى يعلم الممكن ممكنًا والمستحيل مستحيلًا والواجب واجبًا، فيستحيل عليه تعالى الجهل، قال عزَّ من قائل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾. وعلمه تعالى أزليٌّ أبدي لا يزيد ولا ينقص ولا يتجدد.

المخالفة للحوادث: أي أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من كلِّ مخلوقاته بالمرة ولا بأي وجهٍ من الوجوه، ولا بأيِّ صفةٍ من الصفات، يقول الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ١١﴾ وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

هذه عقيدة كل المسلمين، عقيدة جميع الأنبياء والرسل، عقيدة الصحابة، وعقيدة السلف والخلف، فمن شكَّ أو توقَّف أو أنكر صفةً من صفات الله فهو كافرٌ بالله تعالى كما ذكر ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «من زعم أنَّ إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود»، ومن جهل الله كان كافرًا به. وقد قال سيدنا علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري: «الجهل بالله كفر به»، فالذي ينسب لله الحدَّ صغيرًا كان أم كبيرًا أو ينسب لله الكمية أو الجسم أو الشكل أو

الصورة أو الهيئة ليس مسلمًا. وقد نقل الإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي أبو منصور في كتابه تفسير الأسماء والصفات الإجماع على كفر المجسمة وعلى كفر القدرية الذين يكذبون بالقدر.

وبعد كلِّ ما نقلناه من ءاياتٍ قرءانية وأحاديث نبويةٍ وأقوالٍ للعلماء كيف يسعنا السكوت عن تعليم الناس أمور دينهم أو أن نقصِّر في نشر علم التوحيد والتنزيه الذي هو الأصل والأساس.

وأختم بما قاله الرازي في كتابه مناقب الشافعي، قال رحمه الله: «من أنكر وذمَّ وأبغض علم الكلام ـ يعني أصول العقيدة ـ فهو كافر»، وهذا نصٌّ صريحٌ من الإمام الرازي في تكفيره، بل وزاد قائلًا: «كافر لا يعرفُ اللهَ ولا يعرف الرسولَ ولا اليوم الآخر، وهو على دين ءازر» أي مشرك بالله، فهاك ما قاله الرازي فيمن يذم علم التوحيد علم العقيدة والتنزيه، فلا تلتفتوا إلى الغوغاء الأراجيف الذين يهولون الأمر ويقولون: «لا تتكلموا في التوحيد، لا تتكلموا في العقيدة، العلماء ذموا علم الكلام»، قولوا لهم: كذبتم، العلماء ذموا المعتزلة والمجسمة والقدرية والمرجئة وأهل الأهواء، أما علم التوحيد فقد قال فيه الشافعي: «أحكمنا ذلك قبل هذا»، أي أتقن علم التوحيد قبل علم الفقه والفروع. هذا الشافعي

وهذا أبو حنيفة وهذا حذيفة وهذا جندب وهذا عبد الله بن عمر وهذه الأحاديث وهذا الإجماع الذي نقله العلماء على أهمية تعلم علمِ العقيدةِ علمِ الكلام الذي اشتغل به علماء أهل السنة والجماعة، فماذا يريد المعارضون بعد ذلك؟

تمكنوا في علم التوحيد، تمكنوا في علم العقيدة، فإنَّ من لم يعرف التنزيه والتوحيد لم يعرف الله، ومن لم يعرف الله ليس من المسلمين، ومن لم يكن مسلمًا لا تصحُّ منه صلاة ولا صيام ولا حج، ومن مات على غير الإسلام فإنه يخلد في النار، اللّٰهُمَّ إنّا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ ومن اتّبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

مِن ءاثارِ الشيخ الدكتور جميل حليم

١. بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.
٢. أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.
٣. لُباب النُقول في تأويل حديث النزول.
٤. النجوم السارية في اضطراب وبطلان الاحتجاج بحديث الجارية.
٥. عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.
٦. التشرف بذكر أهل التصوف.
٧. فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.
٨. الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.
٩. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الأول.
١٠. الفرقان في تصحيح ما حُرّف تفسيره من آيات القرءان الجزء الثاني.
١١. القواعد القرءانية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.

١٢. البرهان المبيّن في ضوابط تكفير المعيّن.
١٣. نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.
١٤. نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.
١٥. قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.
١٦. لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.
١٧. التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.
١٨. القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.
١٩. الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.
٢٠. الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.
٢١. البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.
٢٢. مريم والمسيح في نص القرءان الصريح.
٢٣. جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.
٢٤. طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.
٢٥. لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.
٢٦. حقيقة التصوف الإسلامي.

٢٧. البيان والتوضيح في أن قول النبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.

٢٨. جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي.

٢٩. المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي وهو الثبت الكبير.

٣٠. السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.

٣١. الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.

٣٢. زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.

٣٣. إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم (أربعة أجزاء).

٣٤. الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان الحبشي خادم السنة النبوية.

٣٥. جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.

٣٦. المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.

٣٧. السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.

٣٨. المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.

٣٩. قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.

٤٠. تحقيق وتعليق على متن الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان.
٤١. لوامع الأهلة والنجم في جوامع أدلة الرجم.
٤٢. ضياء القمرين في نجاةِ والدَي الرَّسولِ ﷺ الشَّريفيْن.
٤٣. الطريقُ النوراني بشرح عقيدة الحافظ ابن حجر العسقلاني.
٤٤. الصراط المستقيم بشرح عقيدة القشيري عبد الكريم.
٤٥. درب السلامة في فوائد وإرشادات العلّامة أو سمعت الشيخ يقول.
٤٦. إسعاد الأرواح والقلوب بتبرئة نبي الله أيوب.
٤٧. شيخنا القائد الكرّار الشهيد الحلبي نزار.
٤٨. تحقيق وتعليق على مختصر سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه العشرة للمقدسيّ.
٤٩. الفوائد الهررية على العقيدة السنوسية.
٥٠. النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.
٥١. البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.
٥٢. معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.
٥٣. إجماع أهل التنزيل على إثبات حقيَّة التأويل.
٥٤. إجماع أهل الحق والفضيلة على جواز التوسّل والوسيلة.

٥٥. إسعاف فضلاء البشر بأدلة جواز التبرك من الكتاب والسنة والأثر.
٥٦. البوارق الإيمانية في إثبات أدلة الصوفيّة.
٥٧. رسول الله كأنك تنظر إليه وتراه.
٥٨. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول.
٥٩. الشرح الكبير لعقائد الإسلام المنير.
٦٠. شرح المقدمة الحضرمية المسمّى النفحات المسكية في فقه السادة الشافعية.
٦١. السرور والابتهاج في مزارات المعتمرين والحجاج.
٦٢. النفحات الأشعرية على الخريدة البهية.
٦٣. الشذا العاطر في شرح عقيدة ابن عاشر.
٦٤. نيل البشارة بشرح عقيدة الرسالة رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
٦٥. إسعاد النبلاء بمعرفة أحكام وأخبار النساء.
٦٦. تحقيق وتعليق على متن جوهرة التوحيد للفقيه إبراهيم اللقاني.
٦٧. الشرح الفريد لجوهرة التوحيد.
٦٨. تسهيل المعاني إلى جوهرة اللقاني.
٦٩. تحقيق وتعليق على متن الأدب المفرد.

٧٠. الشرح الوافي الأَسَدّ على كتاب الأدب المفرد.
٧١. بدر التمام في فضل أهل البيت الكرام ويليه إحياء الميت بفضائل أهل البيت.
٧٢. الإنفاق في سبيل الله تجارة رابحةٌ.
٧٣. عقيدة المسلمين من رسالة ابن أبي زيد القيرواني ويليه إجابة القاصي والداني بحل ألفاظ عقيدة القيرواني.
٧٤. تحذير الأخيار من التشبه بالكفار والفجار.
٧٥. إضاءة المنارة على صحة أو حسن حديث الزيارة.
٧٦. الأدلة المنيفة في نفي الكفر عن أبي حنيفة.
٧٧. تحفة الأبرار في هجرة المختار.
٧٨. إدراك الأماني بشرح بدء الأمالي.
٧٩. شرح الصدر في إثبات عذاب القبر.
٨٠. الردُّ العلمي على ضلالات محمد راتب النابلسي.
٨١. تحذير الأمة من الطاعنين في النبيِّ والسُّنَّة.
٨٢. إفادة الأنام بشرح عقيدة العوام.
٨٣. التفسير الأسمى لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾.
٨٤. الجداول المرضية في العقائد الإيمانية.

٨٥. تنبيه الأحياء على بعض ما في كتاب الإحياء،

٨٦. الشموس المكلّلة فيما تلقيته من الأحاديث المسلسلة.

٨٧. المورد المعين الجامع لكتب الأربعين.

٨٨. إرشاد الأنام بشرح وصايا أبي حنيفة الإمام.

٨٩. طريق الجنة في شرح إضاءة الدُّجُنَّة.

٩٠. منظومة إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.

٩١. الإقناع ببيان حُجّية الإجماع.

٩٢. بزوغ الشموس في بطلان حديث الجلوس.

٩٣. تحقيق وتعليق على رسائل مفتي الحبشة العلامة الشيخ محمد سراج الجبرتي الآنّي.

٩٤. تحقيق وتعليق على رسائل المحدِّث محمد سراج الجبرتي الآنّي ابن المفتي.

٩٥. الحواشي الحليميّة في الفقه والمعاني والعقيدة على مُسند الطّيالسيّ.

٩٦. تحقيق وتعليق على رسالة استِحسان الخَوض في عِلم الكلام للإمام الأشعريّ.

٩٧. تحقيق وتعليق على شرح محمَّد السَّكُونيّ على العَقيدة المُرشِدة

لابن تُومَرت.

٩٨. تحقيق وتعليق على شرح أحمد زَرُّوق على العَقيدة المُرشِدة.

٩٩. تحقيق وتعليق على شرح ابنِ النَّقّاش على العَقيدة المُرشِدة.

١٠٠. تحقيق وتعليق على شرح عبدِ الغنيّ النابُلسيّ على العَقيدة المُرشِدة.

١٠١. الإبداع في معاني خطبة الوداع.

١٠٢. الرشحاتُ العنبريةُ في فضلِ وعقيدةِ إمام النقشبنديِّة.

١٠٣. السيوف والأسنَّة في الدفعِ عن الأشاعرة أهل السنَّة.

١٠٤. الحقائق السَنِيَّة في معاني اصطلاحات الصوفية.

١٠٥. الأعطار الفائحة في فضل وتفسير سورة الفاتحة.

١٠٦. المقاصد العلية بشرح نظم العقائد النسفي.

١٠٧. الكشف الجلي لحقيقة المشبهة ابن بطة وابن عبد البر والذهبي.

١٠٨. فتح العينين على أخطاء تفسير الجلالين.

١٠٩. الاعتقاد المسدد في شرح عقيدة المفتي البرزنجي أحمد.

فهرس الكتاب